مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي رحمه الله

زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي

٧٣٦ - ٧٩٥هـ

رسائل جمعت علوماً شتى في التوحيد والفقه والتفسير والحديث
والزهد والآداب والمواعظ والرقائق والسير والتاريخ

جميع الرسائل حققت على نسخ خطية أصلية

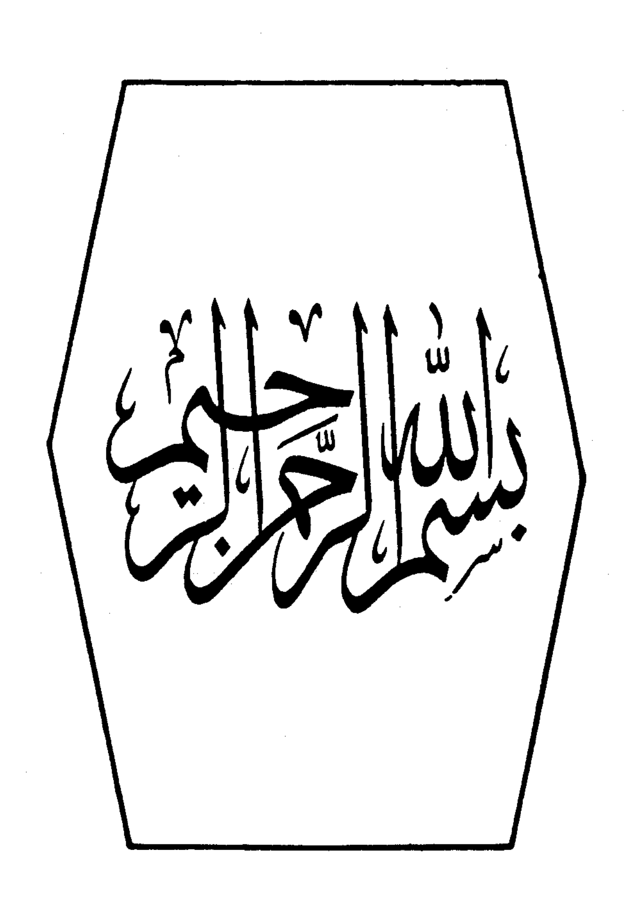
دراسة وتحقيق

أبي مصعب طلعت بن فؤاد الحلواني

الناشر

الفاروق الحديثة للطباعة والنشر




بسم الله الرحمن الرحيم





فضل علم السلف على علم الخلف



[ق/١١] بسم الله الرحمن الرحيم

رب أعن يا كريم

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين وسلم تسليمًا كثيرًا .

أما بعد ؛ فهذه كلمات مختصرة في معنى العلم ، وانقسامه إلى علم نافع وعلم غير نافع ، والتنبيه على فضل علم السلف على علم الخلف .

فنقول وبالله المستعان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله :

قد ذكر الله ـ تعالى ـ في كتابه العلم تارة في مقام المدح ، وهو العلم النافع ، وذكر العلم تارة في مقام الذم ، وهو العلم الذي لا ينفع .

فأما الأول فمثل قوله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر:٩] وقوله : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ﴾ [آل عمران:١٨] وقوله : ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [طه:١١٤] وقوله : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [فاطر:٢٨] وما قص الله سبحانه من قصة آدم وتعليمه الأسماء وعرضهم على الملائكة وقولهم : ﴿ سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ [البقرة:٣٢] وما قص الله سبحانه من قصة موسى ـ عليه السلام ـ وقوله للخضر : ﴿ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾ [الكهف:٦٦] فهذا هو العلم النافع .

وقد أخبر عن قوم أنهم أوتوا علمًا ولم ينفعهم علمهم ، فهذا علم نافع في نفسه لكن صاحبه لم ينتفع به ، قال تعالى :

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ [ق/١ب] يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾ [الجمعة:٥] وقال تعالى : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (١٧٥) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ﴾ [الأعراف:١٧٥ـ ١٧٦] وقال تعالى : ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ

عَرَضَ هَذَا الأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ ... ﴾ الآية [الأعراف: ١٦٩] وقال: ﴿ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾ [الجاثية: ٢٣] .

وعلى تأويل من تأول الآية على علم عند من أضله الله .

وأما العلم الذي ذكره الله ـ تعالى ـ على جهة الذم له ، فقوله في السحر : ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ﴾ [البقرة: ١٠٢] وقوله : ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ [غافر: ٨٣] وقوله تعالى : ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾ [الروم: ٧] .

ولذلك جاءت السنة بتقسيم العلم إلى نافع وغير نافع ، والاستعاذة من العلم الذي لا ينفع ، وسؤال العلم النافع .

ففي «صحيح مسلم» [(١)] عن زيد بن أرقم أن النبي ﷺ كان يقول : «اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ، ومن قلب لا يخشع ، ومن [ق/١٢] نفس لا تشبع ، ومن دعوة لا يستجاب لها» .

وخرجه أهل السنن من وجوه متعددة [(٢)] عن النبي ﷺ وفي بعضها : «ومن دعاء لا يسمع» .

وفي بعضها [(٣)] : «أعوذ بك من هؤلاء الأربع» .

---

(١) برقم (٢٧٢٣) .

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٢٥٥) ، وأبو يعلى (٢٨٤٥) عن أنس .
وأخرجه أحمد (٢/ ١٦٧) والنسائي (٨/ ٢٥٥) عن عبد الله بن عمرو .
وأخرجه أحمد (٢/ ٣٤٠ ، ٣٦٥) وأبو داود (١٥٤٨) ، والنسائي (٨/ ٢٦٣ ، ٢٨٤)، وابن ماجه (٣٨٣٧) عن أبي هريرة .

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ١٦٧) ، والترمذي (٣٤٨٢) عن عبد الله بن عمرو ، وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه من حديث عبد الله بن عمرو .
وأخرجه أحمد (٤/ ٣٨١) عن عبد الله بن أبي أوفي .
وأخرجه أحمد (٣/ ٢٨٣) ، والنسائي (٨/ ٢٦٣) عن أنس .
وأخرجه أحمد (٢/ ٣٤٠، ٣٦٥) ، وأبو داود (١٥٤٨) ، والنسائي (٨/ ٢٦٣) ، وابن ماجه (٣٨٣٧) عن أبي هريرة .

وخرج النسائي [1] من حديث جابر أن النبي ﷺ كان يقول : « اللهم إني أسألك علمًا نافعًا ، وأعوذ بك من علم لا (ينفع) (*) » .

وخرجه ابن ماجه [2] ولفظه أن النبي ﷺ قال : « سلوا الله علمًا نافعًا ، وتعوذوا بالله من علم لا ينفع » .

وخرجه الترمذي [3] من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ كان يقول : «اللهم انفعني بما علمتني ، وعلمني ما ينفعني ، وزدني علمًا » .

وخرج النسائي [4] من حديث أنس « أن النبي ﷺ كان يدعو : اللهم انفعني بما علمتني ، وعلمني ما ينفعني ، وارزقني علمًا تنفعني به » .

وخرج أبو نعيم [5] من حديث أنس أن النبي ﷺ كان يقول : « اللهم إنا نسألك إيمانًا دائمًا ؛ فرب إيمان غير دائم ، وأسألك علمًا نافعا ؛ فرب علم غير نافع» .

وخرج أبو داود [6] من حديث بريدة عن النبي ﷺ قال : « إن من البيان سحراً ، وإن من العلم جهلا » .

وإن صعصعة بن صوحان فسر قوله : « إن من العلم جهلا » أن يتكلف العالم إلى علمه ما لم يعلم فيجهله [ق/٢ب] ذلك .

---

(١) في «الكبرى» برقم (٧٨٦٧) .
وهذا الحديث مما فات المزي عزوه للنسائي في الكبرى في « تحفة الأشراف » (١/٣٥٧) رغم أنه أتى بنفس السند ، ولم يعزه إلا لابن ماجه ، فليتنبه لذلك .
(*) ينتفع به : «نسخة» .
(٢) برقم (٣٨٤٣) عن جابر .
(٣) برقم (٣٥٩٩) وقال : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه .
(٤) في «الكبرى» برقم (٧٨٦٨) .
(٥) في الحلية (٦/١٧٩) بلفظ : « اللهم إني أسألك إيمانًا دائمًا ، وهديًا قيمًا ، وعلمًا نافعًا .
(٦) برقم (٥٠١٢)

ويفسر أيضًا : بأن العلم الذي يضر ولا ينفع جهل ، لأن الجهل به خير من العلم به ؛ فإذا كان الجهل به خيراً منه فهو شر من الجهل ، وهذا كالسحر وغيره من الجهل ، وهذا كالسحر وغيره من العلوم المضرة في الدين أو في الدنيا .

وقد روي عن النبي ﷺ تفسير بعض العلوم التي لا تنفع .

ففي « مراسيل أبي داود »[1] عن زيد بن أسلم قال : «قيل : يا رسول الله، ما أعلم فلانا ! قال : بم ؟ قالوا بأنساب الناس ، قال : **علم لا ينفع وجهالة لا تضر** » .

وخرجه أبو نعيم في كتاب « رياضة المتعلمين » من حديث بقية عن ابن جريج عن أبي هريرة مرفوعًا .

وفيه أنهم قالوا : أعلم الناس بأنساب العرب ، وأعلم الناس بالشعر، وبما اختلفت فيه العرب . وزاد في آخره : « **العلم ثلاثة ما خلاهن فهو فضل : آية محكمة ، أو سنة قائمة ، أو فريضة عادلة** »[2] .

وهذا الإسناد لا يصح ، وبقية دلسه عن غير ثقة .

وآخر الحديث خرجه أبو داود[3] وابن ماجه[4] من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعًا : « **العلم ثلاثة وما سوى ذلك فهو فضل : آية محكمة ، أو سنة قائمة ، أو فريضة عادلة** » وفي إسناده عبد الرحمن بن زياد الإفريقي وفيه ضعف مشهور .

وقد ورد الأمر بأن يتعلم من الأنساب ما توصل به إلى الأرحام ، من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: « **تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم** »

---

(١) في كتاب الأدب - باب ما جاء في العصبية وتعلم النسب برقم (٥١١) .

(٢) أخرجه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم » (٢/ ٢٣) من طريق بقية به وقال (٢/ ٢٤): في إسناد هذا الحديث رجلان لا يحتج بهما وهما سليمان وبقية. .الخ.

(٣) برقم (٢٨٨٥) .

(٤) برقم (٥٤) .

خرجه الإمام [ق/١٣] أحمد [١] والترمذي [٢] .

وخرجه حميد بن زنجويه من طريق آخر عن أبي هريرة مرفوعًا : «**تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم ثم انتهوا ، وتعلموا من العربية ما تعرفون به كتاب الله ثم انتهوا ، وتعلموا من النجوم ما تهتدون به في ظلمات البر والبحر ثم انتهوا**»[٣] وفي إسناد رواته : ابن لهيعة ، وخرج أيضًا من رواية نعيم بن أبي هند قال : قال عمر : تعلموا من النجوم ما تهتدون به في بركم وبحركم ثم أمسكوا ، وتعلموا من النسبة ما تصلون به أرحامكم ، وتعلموا ما يحل لكم من النساء ويحرم عليكم ثم انتهوا [٤] .

وروى مسعر عن محمد بن عبيد الله قال : قال عمر بن الخطاب : تعلموا من النجوم ما تعرفون به القبلة والطريق .

وكان النخعي لا يرى بأسًا أن يتعلم الرجل من النجوم ما يهتدي به .

ورخص في تعلم منازل القمر أحمد وإسحاق ، نقله عنهما حرب ، زاد إسحاق : ويتعلم من أسماء النجوم ما يهتدي به .

---

(١) (٢/ ٣٧٤) .

(٢) برقم (١٩٧٩) وقال : هذا حديث غريب من هذا الوجه .

(٣) أخرج شطره الأول ابن عدي في الكامل (٢/ ١٢) إلى قوله : « أرحامكم » .
وفي إسناده بشر بن رافع الحارثي ، نقل ابن عدي تضعيف أحمد والنسائي له ، وقول ابن معين : شيخ كوفي وهو ثقة . . . .يحدث بمناكير .ونقل الخلاف بين العلماء هل بشر بن رافع هذا واحد أو اثنان ، وأن الذي وثقه ابن معين كوفي بينما صاحب الترجمة يمني من قبيلة بلحارث أشهر قبائل نجران . والله أعلم .
قال ابن عدي : وبشر بن رافع وأبو الأسباط إن كانا اثنين ، فلهما غير ما ذكرته ، وكان أحاديث بشر بن رافع أنكر من أحاديث أبي الأسباط وأخرج شطره الأخير ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١٤٧٤) .

(٤) وأخرجه هناد في « الزهد » (٩٩٧) من طريق عمارة بن القعقاع قال : قال عمر : «تعلموا من النجوم ما تهتدون بها وتعلموا من الأنساب ما تواصلون به » . وأورد شطره الأول الحافظ ابن حجر في «التلخيص الحبير» (٢/ ١٨٧) وقال : رواه حرب الكرماني .

وكره قتادة تعلم منازل القمر ، ولم يرخص ابن عيينة فيه ، ذكره حرب عنهما.

وقال طاوس : رب ناظر في النجوم ومتعلم حروف أبي جاد ليس له عند الله خلاق .

خرجه حرب ، وخرجه حميد بن زنجويه من رواية طاوس عن ابن عباس[1] .

وهذا محمول على علم التأثير لا علم (التسيير) (*) فإن علم التأثير باطل محرم ، وفيه ورد الحديث المرفوع : « ومن اقتبس شعبة [ق/٣ب] من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر » خرجه أبو داود [2] من حديث ابن عباس مرفوعًا .

وخرج أيضًا [3] من حديث قبيصة مرفوعًا « العيافة والطيرة والطرق من الجبت» والعيافة : زجر الطير ، والطرق : الخط في الأرض .

فعلم تأثير النجوم باطل محرم ، والعمل بمقتضاه كالتقرب إلى النجوم ، وتقريب القرابين لها كفر .

وأما علم التسيير فإذا تعلم منه ما يحتاج إليه للاهتداء ومعرفة القبلة ، والطرق كان جائزًا عند الجمهور .

وما زاد عليه فلا حاجة إليه وهو يشغل عما هو أهم منه ، وربما أدى التدقيق فيه إلى إساءة الظن بمحاريب المسلمين في أمصارهم . كما وقع ذلك كثيراً من أهل هذا العلم قديمًا وحديثًا ، وذلك يفضي إلى اعتقاد خطأ الصحابة والتابعين في صلاتهم في كثير من الأمصار ، وهو باطل .

وقد أنكر الإمام أحمد الاستدلال بالجدي ، وقال إنما ورد « ما بين المشرق والمغرب قبلة » يعني : لم يرد اعتبار الجدي ونحوه من النجوم .

---

(١) وعزاه أيضًا المناوي في « فيض القدير » (٤/ ١٧) لحميد بن زنجويه عن ابن عباس .

(*) التعبير : «نسخة» .

(٢) برقم (٣٩٠٥) .

(٣) برقم (٣٩٠٧) .

وقد أنكر ابن مسعود على كعب قوله : إن الفلك تدور . وأنكر ذلك مالك وغيره ، وأنكر الإمام أحمد على المنجمين قولهم أن الزوال يختلف في البلدان .

وقد يكون إنكارهم أو إنكار بعضهم لذلك ؛ لأن الرسل لم تتكلم في هذا وإن كان أهله يقطعون به ، وإن الاشتغال به ربما أدى إلى فساد عريض .

وقد اعترض بعض من كان يعرف هذا على حديث « النزول ثلث الليل الآخر »[1] ، وقال : ثلث الليل يختلف باختلاف البلدان [ق/١٤] فلا يمكن أن يكون النزول في وقت معين .

ومعلوم بالضرورة من دين الإسلام قبح هذا الاعتراض ، وأن الرسول ﷺ أو خلفاءه الراشدين لو سمعوا من يعترض به لما ناظروه ، بل بادروا إلى عقوبته أو إلحاقه بزمرة المخالفين المنافقين المكذبين .

كذلك التوسع في علم الأنساب هو مما لا يحتاج إليه ، وقد سبق عن عمر وغيره النهي عنه . مع أن طائفة من الصحابة والتابعين كانوا يعرفونه ويعتنون به .

وكذلك التوسع في علم العربية لغة ونحواً ، وهو مما يشغل عن العلم الأهم، والوقوف معه يَحْرِمُ علمًا نافعًا . وقد كره القاسم بن مخيمرة علم النحو ، وقال : أوله شغل وآخره بغي ، وأراد به التوسع في معرفة اللغة وغريبها وأنكر على أبي عبيد توسعه في ذلك وقال : هو يشغل عما هو أهم منه .

ولهذا يقال : إن العربية في الكلام كالملح في الطعام . يعني : أنه يؤخذ منها ما يصلح الكلام كما يؤخذ من الملح ما يصلح الطعام ، وما زاد على ذلك فإنه يفسده .

وكذلك علم الحساب يحتاج منه إلى ما يعرف به حساب (ما ينتفع)[*] من قسمة الفرائض والوصايا والأموال التي تقسم بين المستحقين لها ، والزائد على ذلك مما لا ينتفع به إلا في مجرد رياضة الأذهان وصقالها لا حاجة إليه ويشغل

(١) أخرجه البخاري (١١٤٥) ، ومسلم (٧٥٨) .
(*) في المطبوع : « يقع » .

[ق/٤ب] عما هو أهم منه .

وأما ما أُحدث بعد الصحابة من العلوم التي توسع فيها أهلها وسموها علومًا، وظنوا أن من لم يكن عالمًا بها فهو جاهل أو ضال ، فكلها بدعة . وهي من محدثات الأمور المنهي عنها ، فمن ذلك ما أحدثته المعتزلة من الكلام في القدر وضرب الأمثال لله ، وقد ورد النهي عن الخوض في القدر .

وفي (صحيحي)(*) ابن حبان [1] والحاكم [2] عن ابن عباس مرفوعًا : « **لا يزال أمر هذه الأمة موافيًا ومقاربًا ما لم يتكلموا في الولدان والقدر** » .

وقد روي موقوفًا ، ورجح بعضهم وقفه . وخرج البيهقي [3] من حديث ابن مسعود مرفوعًا : « **إذا ذكر أصحابي فأمسكوا ، وإذا ذكر النجوم فأمسكوا** » وقد روي من وجوه متعددة في أسانيدها مقال .

وروي عن ابن عباس « أنه قال لميمون بن مهران : إياك والنظر في النجوم، فإنها تدعو إلى الكهانة ، وإياك والقدر فإنه يدعو إلى الزندقة ، وإياك وشتم أحد من أصحاب محمد ﷺ فيكبك الله في النار على وجهك » [4] وخرجه أبو نعيم مرفوعًا [5] ولا يصح رفعه .

والنهي عن الخوض في القدر يكون على وجوه :

(*) صحيح : « نسخة » .

(١) برقم (٦٧٢٤ ـ إحسان) .

(٢) في « المستدرك » (١/ ٣٣) وقال : هذا حديث صحح على شرط الشيخين ، ولا نعلم له علة ولم يخرجاه.

(٣) وأخرجه الطبراني في الكبير (١٠/ ١٠٤٤٨) ، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ١٠٨) . وقال أبو نعيم : غريب من حديث الأعمش تفرد به عنه مسهر . وانظر الصحيحة للألباني برقم (٣٤) .

(٤) أخرجه اللالكائي في « شرح اعتقاد أهل السنة » (١١٣٤) .

(٥) وأخرجه السهمي في تاريخ جرجان (ص ٤٢٩) وذكر ابن حجر في اللسان (١/ ٢٩٨) أن هذا الخبر منكر .

منها : ضرب كتاب الله بعضه ببعض فينزع المثبت للقدر بآية والنافي له بأخرى ويقع التجادل في ذلك . وهذا قد روي أنه وقع [ق/١٥] في عهد النبي ﷺ وأن النبي ﷺ غضب من ذلك ونهى عنه (١) . وهذا من جملة الاختلاف في القرآن والمراء فيه ، وقد نهى عن ذلك (٢) .

ومنها : الخوض في القدر إثباتًا ونفيًا بالأقيسة العقلية ، كقول القدرية: لو قدر وقضى ثم عذب كان ظالمًا ، وقول من خالفهم : إن الله جبر العباد على أفعالهم ، ونحو ذلك .

ومنها : الخوض في سر القدر ، وقد ورد النهي عنه ، عن علي وغيره من السلف ، فإن العباد لا يطلعون على حقيقة ذلك .

ومن ذلك ـ أعني : محدثات الأمور ـ ما أحدثه المعتزلة ، ومن حذا حذوهم من الكلام في ذات الله ـ تعالى ـ وصفاته بأدلة العقول وهو أشد خطرًا من الكلام في القدر ، لأن الكلام في القدر كلام في أفعاله ، وهذا كلام في ذاته وصفاته .

(وانقسم) (*) هؤلاء إلى قسمين :

أحدهما : من نفى كثيرًا مما ورد به الكتاب والسنة من ذلك لاستلزامه عنده التشبيه بالمخلوقين ، كقول المعتزلة : لو رؤي لكان جسمًا ؛ لأنه لا يرى إلا في (جهة) (**).

وقولهم : لو كان له كلام يسمع لكان جسمًا . ووافقهم من نفى الاستواء ، فنفوه لهذه الشبهة ، وهذا طريق المعتزلة والجهمية .

وقد اتفق السلف على تبديعهم وتضليلهم ، وقد سلك سبيلهم في بعض [ق/١٥ب] الأمور كثير ممن انتسب إلى السُنَّة والحديث من المتأخرين .

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٦٦) عن عبد الله بن عمرو .

(٢) وبهذا المعنى حديث أخرجه أحمد (٢/٢٨٦) وابو داود (٤٦٠٣) وغيرهما من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : « المراء في القرآن كفر » .

(*) وتقسم : «نسخة» .

(**) وجهة : «نسخة» .

والثاني : من (رام) (*) إثبات ذلك بأدلة العقول التي لم يرد بها الأثر ، ورد على أولئك مقالتهم ، كما هي طريقة مقاتل بن سليمان ومن تابعه كنوح بن أبي مريم ، وتابعهم طائفة من المحدثين قديمًا وحديثًا ، وهو أيضًا مسلك الكَرَّامية، فمنهم من أثبت لإثبات هذه الصفات الجسم ، إما لفظًا وإما معنى ، ومنهم من أثبت لله صفات لم يأت بها الكتاب والسُّنَّة كالحركة وغير ذلك مما هي عنده لازم الصفات الثابتة .

وقد أنكر السلف على مقاتل قوله في رده على جهم بأدلة العقل ، وبالغوا في الطعن عليه ، ومنهم من استحل قتله ، منهم مكي بن إبراهيم شيخ البخاري وغيره .

والصواب ما عليه السلف الصالح من إمرار آيات الصفات وأحاديثها كما جاءت من غير تفسير لها ولا تكييف ولا تمثيل ، ولا يصح عن أحد منهم خلاف ذلك ألبتة ، خصوصًا الإمام أحمد ، ولا خوضًا في معانيها ولا ضرب مثل ، الأمثال لها .

وإن كان بعض من كان قريبًا من زمن أحمد فيهم من فعل شيئًا من ذلك اتباعًا لطريقة مقاتل ، فلا يقتدى به في ذلك ، إنما الاقتداء بأئمة الإسلام كابن المبارك ومالك والثوري والأوزاعي والشافعي وأحمد وإسحاق وأبي عبيد ونحوهم.

وكل هؤلاء لا يوجد في كلامهم شيء [ق/١٦] من جنس كلام المتكلمين فضلا عن كلام الفلاسفة ، ولم يدخل ذلك في كلامه من سلم من قدح وجرح. وقد قال أبو زرعة الرازي : كل من كان عنده علم فلم يصن علمه واحتاج في نشره إلى شيء من الكلام فلستم منه .

ومن ذلك ـ أعني : محدثات العلوم ـ ما أحدثه فقهاء أهل الرأي من ضوابط وقواعد عقلية ورد فروع الفقه إليها .

وسواء خالفت السنن أم وافقتها طردًا لتلك القواعد المقررة ، وإن كان أصلها

(*) أراد : «نسخة» .

مما تأولوه على نصوص الكتاب والسُّنَّة لكن بتأويلات يخالفهم غيرهم فيها ، وهذا الذي أنكره أئمة الإسلام على من أنكروه من فقهاء أهل الرأي بالحجاز والعراق وبالغوا في ذمه وإنكاره .

فأما الأئمة وفقهاء أهل الحديث ؛ فإنهم يتبعون الحديث الصحيح حيث كان إذا كان معمولاً به عند الصحابة ومن بعدهم أو عند طائفة منهم ، فأما ما اتفق السلف على تركه ، فلا يجوز العمل به ؛ لأنهم ما تركوه إلا على علم أنه لا يعمل به .

❊ ❊ ❊

[مطلب]

قال عمر بن عبد العزيز : خذوا من الرأي ما يوافق من كان قبلكم ؛ فإنهم كانوا أعلم منكم ، فأما ما خالف عمل أهل المدينة من الحديث فهذا كان مالك يرى الأخذ بعمل أهل المدينة ، والأكثر أخذوا بالحديث .

***

[مطلب]

ومما أنكره أئمة السلف ، الجدال والخصام والمراء في مسائل [ق/٦ب] الحلال والحرام أيضًا ، ولم يكن ذلك طريقة أئمة الإسلام ، وإنما أحدث ذلك بعدهم كما أحدثه فقهاء العراقين في مسائل الخلاف بين الشافعية والحنفية ، وصنفوا كتب الخلاف ووسعوا البحث والجدال فيها ، وكل ذلك محدث لا أصل له ، وصار ذلك علمهم ، حتى شغلهم عن العلم النافع .

وقد أنكر ذلك السلف وورد الحديث المرفوع في السنن [(١)] « **ما ضل قوم بعد هدى ، إلا أوتوا الجدل** . ثم قرأ ﴿ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ » [الزخرف:٥٨] .

وقال بعض السلف : إذا أراد الله بعبد خيرًا فتح له باب العمل وأغلق عنه باب الجدل ، وإذا أراد الله بعبد شرًا أغلق عنه باب العمل وفتح له باب الجدل .

وقال مالك : أدركت هذه البلدة وإنهم ليكرهون هذا الإكثار الذي فيه الناس اليوم - يريد المسائل .

وكان يعيب كثرة الكلام والفتيا ويقول : يتكلم (أحدهم) [(*)] كأنه جمل مغتلم ، يقول : هو كذا هو كذا ، يهدر في كلامه .

وكان يكره الجواب في كثرة المسائل ويقول : قال الله عز وجل : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ [الإسراء:٨٥] فلم يأته في ذلك جواب وقيل له : الرجل يكون عالمًا بالسنن يجادل عنها ؟ قال : لا ولكن يخبر بالسُّنَّة ، فإن قبل

---

(١) أخرجه الترمذي(٣٢٥٣) وقال : هذا حديث حسن صحيح إنما نعرفه من حديث حجاج ابن دينار ، وحجاج ثقة مقارب الحديث ، وأبو غالب اسمه حزور .
وأخرجه ابن ماجه (٤٨) .

(*) أحدكم : «نسخة» .

منه وإلا سكت . وقال : المراء والجدال في العلم يذهب بنور العلم .

وقال : المراء في العلم [ق/١٧] يقسي القلب ويورث الطعن ، وكان يقول في المسائل التي يسأل عنها كثيراً : لا أدري . وكان الإمام أحمد يسلك سبيله في ذلك.

وقد ورد النهي عن كثرة المسائل وعن أغلوطات المسائل ، وعن المسائل قبل وقوع الحوادث ، وفي ذلك ما يطول ذكره .

ومع هذا ففي كلام السلف والأئمة كمالك والشافعي وأحمد وإسحاق التنبيه على مأخذ الفقه ، ومدارك الأحكام بكلام وجيز مختصر يفهم به المقصود من غير إطالة ولا إسهاب .

وفي كلامهم من رد الأقوال المخالفة للسُنَّة بألطف إشارة و(أحسن)(*) عبارة، بحيث يغني ذلك من فهمه عن إطالة المتكلمين في ذلك بعدهم ، بل ربما لم يتضمن تطويل كلام من بعدهم من الصواب في ذلك ، ما تضمنه كلام السلف والأئمة مع اختصاره وإيجازه .

فما سكت من سكت عن كثرة الخصام والجدال من سلف الأمة جهلا ولا عجزاً ، ولكن سكتوا عن علم وخشية لله .

وما تكلم من تكلم وتوسع من توسع بعدهم باختصاصه بعلم دونهم، ولكن حبًا للكلام وقلة ورع .

كما قال الحسن وسمع قومًا يتجادلون : هؤلاء قوم ملوا العبادة وخف عليهم القول ، وقل ورعهم فتكلموا .

وقال مهدي بن ميمون : سمعت محمد بن سيرين وما رآه رجل ففطن له ، فقال : إني أعلم ما يريد ، إني لو أردت أن أماريك كنت عالمًا (بأبواب)(**)

(*) حسن : نسخة » .

(**) باب : «نسخة » .

المراء . وفي رواية قال : أنا أعلم بالمراء منك ولكني لا أماريك .

[ق/٧ب] وقال إبراهيم النخعي : ما خاصمت قط ،

وقال عبد الكريم الجزري : ما خاصم ورع قط .

وقال جعفر بن محمد : إياكم والخصومات في الدين ؛ فإنها تشغل القلب وتورث النفاق .

وكان عمر بن عبد العزيز يقول : إذا سمعت المراء فأقصر . وقال من جعل دينه غرضًا للخصومات أكثر التنقل .

وقال : إن السابقين عن علم وقفوا ، وببصر نافذ قد كَفُّوا ، وكانوا هم أقوى على البحث لو بحثوا ، وكلام السلف في هذا المعنى كثير جداً .

وقد فتن كثير من المتأخرين بهذا ، وظنوا أن من كثر كلامه وجداله وخصامه في مسائل الدين فهو أعلم ممن ليس كذلك ، وهذا جهل محض . وانظر إلى أكابر الصحابة وعلمائهم كأبي بكر ، وعمر ، وعلي ، ومعاذ، وابن مسعود ، وزيد بن ثابت كيف كانوا ؟ كلامهم أقل من كلام ابن عباس وهم أعلم منه . وكذلك كلام التابعين أكثر من كلام الصحابة ، والصحابة أعلم منهم . وكذلك تابعوا التابعين كلامهم أكثر من كلام التابعين ، والتابعون أعلم منهم . فليس العلم بكثرة الرواية ولا بكثرة المقال ، ولكنه نور يقذف في القلب يَفْهَمْ به العبدُ الحق، ويميز به بينه وبين الباطل ، ويعبر عن ذلك بعبارات [ق/١٨] وجيزة محصلة للمقاصد.

وقد كان النبي ﷺ أوتي جوامع الكلم [١] واختصر له الكلام اختصاراً .

ولهذا ورد النهي عن كثرة الكلام والتوسع في القيل والقال [٢] ، وقد قال

---

(١) أخرجه البخاري (٦٩٩٨) ، ومسلم (٥٢٣) .

(٢) يشير المصنف ـ رحمه الله ـ لحديث النبي ﷺ الذي أخرجه البخاري (١٤٧٧) ، ومسلم (١٧١٥) عن أبي هريرة ، وفيه : « إن الله كره لكم ثلاث : قيل وقال .. » الحديث .

النبي ﷺ : « **إن الله لم يبعث نبيًا إلا مبلغًا ، وإن تشقيق الكلام من الشيطان** »[(١)] يعني أن النبي إنما يتكلم بما يحصل به البلاغ ، وأما كثرة القول وتشقيق الكلام فإنه مذموم ، وكانت خطب النبي ﷺ قصداً[(٢)] ، وكان يحدث حديثًا لو عده العاد لأحصاه[(٣)] ، وقال : « **إن من البيان سحراً** »[(٤)] وإنما قاله في ذم ذلك لا مدحًا له، كما ظن ذلك من ظنه ، ومن تأمل سياق ألفاظ الحديث قطع بذلك.

وفي الترمذي[(٥)] وغيره[(٦)] عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً : « **إن الله ليبغض البليغ من الرجال ، الذي يتخلل بلسانه كما تتخلل البقرة بلسانها** » وفي المعني أحاديث كثيرة مرفوعة وموقوفة على عمر وسعد وابن مسعود وعائشة وغيرهم من الصحابة .

فيجب أن يعتقد أنه ليس كل من كثر بسطه للقول وكلامه في العلم ، كان ممن ليس كذلك .

وقد ابتلينا بجهلة من الناس يعتقدون في بعض من توسع في القول من المتأخرين أنه أعلم ممن تقدم، فمنهم من يظن [ق/٨ب] في شخص أنه أعلم من كل من تقدم من الصحابة ومن بعدهم ؛ لكثرة بيانه ومقاله ، ومنهم من يقول : هو أعلم من الفقهاء المشهورين المتبوعين ، وهذا يلزم منه ما قبله ؛ لأن هؤلاء الفقهاء المشهورين المتبوعين أكثر قولا ممن كان قبلهم ، فإذا كان من بعدهم أعلم منهم لاتساع قوله كان أعلم ممن كان أقل منهم قولاً بطريق الأولى ، كالثوري والأوزاعي والليث وابن المبارك وطبقتهم ، وممن قبلهم من التابعين والصحابة

---

(١) أخرجه عبد الرزاق (١١/١٦٣ ، ١٦٤) من مرسل مجاهد .
(٢) أخرجه مسلم (٨٦٦) .
(٣) أخرجه البخاري (٣٥٦٧) ، ومسلم (٢٤٩٣) كتاب الزهد والرقائق ، باب التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم .
(٤) أخرجه البخاري (٥١٤٦) .
(٥) برقم (٢٨٥٣) وقال : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه ، وفي الباب عن سعد.
(٦) أخرجه أحمد (٢/١٦٥ ، ١٨٧) ، وأبو داود (٥٠٠٥) .

أيضًا ؛ فإن هؤلاء كلهم أقل كلامًا ممن جاء بعدهم .

وهذا تنقص عظيم بالسلف الصالح ، وإساءة ظن بهم ، ونسبته لهم إلى الجهل وقصور العلم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

ولقد صدق ابن مسعود في قوله في الصحابة : « إنهم أبر الأمة قلوبًا ، وأعمقها علومًا ، وأقلها تكلفًا » وروي نحوه عن ابن عمر [١] أيضًا .

وفي هذا إشارة إلى أن من بعدهم أقل علومًا وأكثر تكلفًا ، وقال ابن مسعود أيضًا : « إنكم في زمان كثير علماؤه قليل خطباؤه ، وسيأتي بعدكم زمان قليل علماؤه كثير خطباؤه » [٢] فمن كثر علمه وقل قوله فهو الممدوح، ومن كان بالعكس فهو مذموم .

وقد شهد النبي ﷺ [ق/١٩] لأهل اليمن بالإيمان والفقه [٣] ، وأهل اليمن أقل الناس كلامًا وتوسعًا في العلوم (لكن) [*] علمهم علم نافع في قلوبهم ، ويعبرون بألسنتهم عن القدر المحتاج إليه من ذلك ، وهذا هو الفقه والعلم النافع.

فأفضل العلوم في تفسير القرآن ومعاني الحديث ، والكلام في الحلال والحرام ما كان مأثورًا عن الصحابة والتابعين وتابعيهم إلى أن ينتهي إلى زمن أئمة الإسلام المشهورين المقتدى بهم ، الذين سميناهم فيما سبق .

فضبط ما روي عنهم في ذلك أفضل العلم مع تفهمه وتعقله والتفقه فيه ، وما حدث بعدهم من التوسع لا خير في كثير منه ، إلا أن يكون شرحًا لكلام يتعلق من كلامهم .

وأما ما كان مخالفًا لكلامهم فأكثره باطل أو لا منفعة فيه ، وفي كلامهم في ذلك كفاية وزيادة فلا يوجد في كلام من بعدهم من حق إلا وهو في كلامهم

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ٣٠٥) .

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٧٨٩) ، والطبراني (٩/ ٨٥٦٧) .

(٣) أخرجه البخاري (٤٣٨٨) ، ومسلم (٥٢) .

(*) لأن : « نسخة » .

موجود بأوجز لفظ وأخصر عبارة ، ولا يوجد في كلام من بعدهم من باطل إلا وفي كلامهم ما يبين بطلانه لمن فهمه وتأمله ، ويوجد في كلامهم من المعاني البديعة والمآخذ الدقيقة ما لا يهتدي إليه من بعدهم ولا يُلِمّ به .

فمن لم يأخذ العلم من كلامهم فاته ذلك الخير كله مع ما يقع في كثير من الباطل متابعة لمن تأخر عنهم ، ويحتاج من أراد جمع كلامهم إلى معرفة صحيحه من سقيمه ، وذلك بمعرفة الجرح [ق/ ٩ب] والتعديل والعلل ، فمن لم يعرف ذلك فهو غير واثق بما ينقله من ذلك ويلتبس عليه حقه بباطله ، ولا يثق بما عنده من ذلك .

كما يرى من قل علمه بذلك لا يثق بما يروى عن النبي ﷺ ولا عن السلف لجهله بصحيحه من سقيمه ، فهو لجهله يجوز أن يكون كله باطلا لعدم معرفته بما يعرف به صحيح ذلك وسقيمه .

قال الأوزاعي : العلم ما جاء به أصحاب محمد ﷺ فما كان غير ذلك فليس بعلم . وكذا قال الإمام أحمد ، وقال في التابعين : أنت مخير - يعني : مخير في كتابته وتركه .

وقد كان الزهري يكتب ذلك ، وخالفه صالح بن كيسان ثم ندم على تركه كلام التابعين .

وفي زماننا يتعين كتابة كلام أئمة السلف المقتدى بهم إلى زمن الشافعي وأحمد وإسحاق وأبي عبيد ، وليكن الإنسان على حذر مما حدث بعدهم ، فإنه حدث بعدهم حوادث كثيرة ، وحدث من انتسب إلى متابعة السنة والحديث من الظاهرية ونحوهم وهو أشد مخالفة لها لشذوذه عن (الأمة) (١) وانفراده عنهم بفهم يفهمه ، أو يأخذ ما لم يأخذ به الأئمة من قبله .

فأما الدخول مع ذلك في كلام المتكلمين أو الفلاسفة فشر محض ، وقلَّ [ق/ ١٠أ] من دخل في شيء من ذلك إلا وتلطخ ببعض أوضارهم (٢) .

---

(١) في المطبوع : «الأئمة» .

(٢) أوساخهم ، وهي من وسخ الدسم واللبن « القاموس » مادة : « وضر » .

كما قال أحمد : لا يخلو من نظر في الكلام إلا تجهم . وكان هو وغيره من أئمة السلف يُحذِّرون من أهل الكلام وإن ذبوا عن السُّنَّة .

وأما ما يوجد في كلام من أحب الكلام المحدث واتبع أهله من ذم من لا يتوسع في الخصومات والجدال ونسبته إلى الجهل أو إلى الحشو، وإلى أنه غير عارف بالله أو غير عارف بدينه ، فكل ذلك من خطوات الشيطان نعوذ بالله منه .

ومما أُحدث من العلوم والكلام في العلوم الباطنة من المعارف وأعمال القلوب وتوابع ذلك ، بمجرد الرأي والذوق أو الكشف وفيه خطر عظيم ، وقد أنكره أعيان الأئمة كالإمام أحمد وغيره .

وكان أبو سليمان يقول : إنه لتمر بي النكتة من نكت القوم فلا أقبلها إلا بشاهدين عدلين : الكتاب والسُّنَّة .

وقال الجنيد : عِلْمُنا هذا مقيد بالكتاب والسُّنَّة ، من لم يقرأ القرآن ويكتب الحديث لا يقتدى به في علمنا هذا .

وقد اتسع الخرق في هذا الباب ، ودخل فيه قوم إلى أنواع الزندقة والنفاق ، ودعوى أن أولياء الله أفضل من الأنبياء ، أو أنهم مستغنون عنهم ، وإلى التنقص بما جاءت به [ق/١٠ب] الرسل من الشرائع ، وإلى دعوى الحلول والاتحاد أو القول بوحدة الوجود ، وغير ذلك من أصول الكفر والفسوق والعصيان ، كدعوى الإباحة، وحل محظورات الشرائع .

وأدخلوا في هذا الطريق أشياء كثيرة ليست من الدين في شيء ، فبعضها زعموا أنه يحصل به ترقيق القلوب كالغناء والرقص ، وبعضها زعموا أنه يراد لرياضة النفوس ، كعشق الصور المحرمة ونظرها ، وبعضها زعموا أنه لكسر النفوس والتواضع ، كشهوة اللباس وغير ذلك مما لم تأت به الشريعة ، وبعضه يصد عن ذكر الله وعن الصلاة كالغناء والنظر المحرم ، وشابهوا بذلك الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعبًا .

***

[العلم النافع] (*)

فالعلم النافع من هذه العلوم كلها ضبط نصوص الكتاب والسنة وفهم معانيها، والتقيد في ذلك بالمأثور عن الصحابة والتابعين وتابعيهم في معاني القرآن والحديث، وفيما ورد عنهم من الكلام في مسائل الحلال والحرام والزهد والرقائق والمعارف وغير ذلك ، والاجتهاد على تمييز صحيحه من سقيمه أولاً ، ثم الاجتهاد على الوقوف على معانيه وتفهمه ثانيًا ، وفي ذلك كفاية لمن عقل ، وشغل لمن بالعلم النافع عني واشتغل.

ومن وقف على هذا وأخلص القصد فيه لوجه الله عز وجل واستعان عليه ، أعانه وهداه ووفقه وسدده وفهمه وألهمه ، وحينئذ يثمر له هذا العلم ثمرته الخاصة به وهي خشية الله ، كما قال عز وجل ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [فاطر:٢٨] .

قال ابن مسعود [ق/ ١١ب] وغيره : كفى بخشية الله علماً ، وكفى بالاغترار بالله جهلا (١) . وقال بعض السلف : ليس العلم بكثرة الرواية ولكن العلم الخشية .

وقال بعضهم : من خشي الله فهو عالم ومن عصاه فهو جاهل . وكلامهم في هذا المعنى كثير جداً .

وسبب ذلك أن هذا العلم النافع يدل على أمرين :

أحدهما : على معرفة الله وما يستحقه من الأسماء الحسنى والصفات العلى والأفعال الباهرة ، وذلك يستلزم إجلاله وإعظامه وخشيته ، ومهابته ومحبته

(*) كل عنوان بين معقوفتين ليس في الأصول ووضع لتنبيه القارئ .

(١) أخرجه ابن المبارك في « الزهد » (ص١٥) ، وأحمد في «الزهد » (ص١٥٨) ، والطبراني في « الكبير » (٩/ ٨٩٢٧) .

ورجاءه والتوكل عليه ، والرضا بقضائه والصبر على بلائه .

والأمر الثاني : المعرفة بما يحبه ويرضاه وما يكرهه ويسخطه من الاعتقادات والأعمال الظاهرة والباطنة والأقوال .

فيوجب ذلك لمن علمه المسارعة إلى ما فيه محبة الله ورضاه والتباعد عما يكرهه ويسخطه ؛ فإذا أثمر العلم لصاحبه هذا فهو علم نافع ، فمتى كان العلم نافعًا ووقر في القلب لله ، فقد خشع القلب وانكسر له وذل هيبة وإجلالا وخشية ومحبة وتعظيمًا ومتى خشع القلب لله وانكسر له وذل قنعت النفس بيسير الحلال من الدنيا ، وشبعت به فأوجب لها ذلك القناعة والزهد في الدنيا . وكل ما هو فان لا يبقى من المال والجاه وفضول العيش الذي ينقص به حظ صاحبه [ق/ ١١ب] عند الله من نعيم الآخرة وإن كان كريمًا على الله كما قال ذلك ابن عمر وغيره من السلف وروي مرفوعًا .

وأوجب ذلك أن (تكون) (*) بين العبد وبين ربه عز وجل معرفة خاصة ، فإن سأله أعطاه ، وإن دعاه أجابه ، كما قال في الحديث الإلهي : **«ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ـ إلى قوله ـ فلئن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه »** (١) وفي رواية (٢) : **« ولئن دعاني لأجيبنه»** .

وفي وصيته ﷺ لابن عباس : **« احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده أمامك ، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة »** (٣) فالشأن في أن العبد يكون بينه وبين ربه معرفة خاصة بقلبه بحيث يجده قريبًا منه يستأنس به في خلوته ويجد

(*) يكون : « نسخة » .

(١) أخرجه البخاري (٦٥٠٢) .

(٢) أخرجه أحمد (٦/٢٥٦) . وقال الهيثمي في « المجمع » (١٠/٢٦٩) : رواه البزار وأحمد والطبراني في الأوسط وفيه عبد الواحد بن قيس وقد وثقه غير واحد وضعفه غيرهم، وبقية رجال أحمد رجال الصحح ، ورجال الطبراني في « الأوسط » رجال الصحيح غير شيخه هارون بن كامل .

(٣) أخرجه أحمد (١/٣٠٧) .

حلاوة ذكره ودعائه ومناجاته وخدمته، ولا يجد ذلك إلا من أطاعه في سره وعلانيته ، كما قيل لوهيب بن الورد : أيجد حلاوة الطاعة من عصى ؟ قال : لا ، ولا من هم.

ومتى وجد العبد هذا فقد عرف ربه وصار بينه وبينه معرفة خاصة ؛ فإذا سأله أعطاه وإذا دعاه أجابه ، كما قالت شعوانة لفضيل : أما بينك وبين ربك ما إذا دعوته أجابك ؟ فغشي عليه .

والعبد لا يزال يقع في شدائد وكرب في الدنيا وفي البرزخ وفي الموقف ؛ [ق/١١٢] فإذا كان بينه وبين ربه معرفة خاصة كفاه الله ذلك كله ، وهذا هو المشار إليه في وصية ابن عباس بقوله ﷺ « **تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة** »[(١)].

وقيل لمعروف : ما الذي هيجك إلى الانقطاع ؟ وذكر له الموت والقبر والموقف والجنة والنار ، فقال : إن ملكًا هذا بيده إذا كانت بينك وبينه معرفة كفاك هذا كله.

فالعلم النافع ما عرف بين العبد وربه (ودل)[(*)] عليه حتى عرف ربه ووحده وأنس به واستحيا من قربه وعبده كأنه يراه ، ولهذا قالت طائفة من الصحابة[(٢)] : إن أول علم يرفع من الناس : الخشوع .

وقال ابن مسعود : إن أقوامًا يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، ولكن إذا وقع في القلب فرسخ فيه نفع .

وقال الحسن : العلم علمان ، فعلم على اللسان فذاك حجة الله على ابن آدم، وعلم في القلب فذاك العلم النافع . وكان السلف يقولون : العلماء ثلاثة :

---

(١) سبق تخريجه .

(*) ودله : « نسخة » .

(٢) منهم : شداد بن أوس كما في مسند أحمد (٦ / ٢٦) ، وعبادة بن الصامت عند الترمذي (٢٦٥٣) وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب ، وحذيفة عند الحاكم (٤/ ٥١٦) وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

عالم بالله عالم بأمر الله ، وعالم بالله ليس بعالم بأمره ، وعالم بأمر الله ليس بعالم بالله .

وأكملهم الأول ، وهو الذي يخشى الله ويعرف أحكامه ، فالشأن كله في أن العبد يستدل بالعلم على ربه فيعرفه ؛ فإذا عرفه ربه فقد وجده منه قريبًا ، ومتى وجده منه قريبًا قربه إليه ، وأجاب [ق/١٢ب] دعاءه كما في الأثر الإسرائيلي : ابن آدم اطلبني تجدني ، فإن وجدتني وجدت كل شيء ، وإن فتك فاتك كل شيء ، وأنا أحب إليك من كل شيء . وكان ذو النون يردد هذه الأبيات بالليل :

اطلبوا لأنفسكم مثل ما وجدت أنـــــا

قد وجدت لي سكنًا ليس في هواه عنـــا

إن بعدت قربني أو قربت منه دنـــــــا

وكان الإمام أحمد - رحمه الله - يقول عن معروف : معه أصل العلم : خشية الله .

فأصل العلم : العلم بالله الذي يوجب خشيته ، ومحبته والقرب منه والأُنس به والشوق إليه ، ثم يتلوه العلم بأحكام الله ، وما يحبه ويرضاه من العبد من قول أو عمل أو حال أو اعتقاد .

فمن تحقق بهذين العلمين كان علمه علمًا نافعًا ، وحصل له العلم النافع والقلب الخاشع والنفس القانعة والدعاء المسموع ، ومن فاته هذا العلم النافع وقع في الأربع التي استعاذ منها النبي ﷺ وصار علمه وبالا وحجة عليه ، فلم ينتفع به ؛ لأنه لم يخشع قلبه لربه ، ولم تشبع نفسه من الدنيا ، بل ازداد عليها حرصًا ولها طلبًا ، ولم يسمع دعاؤه لعدم امتثاله لأوامر ربه وعدم اجتنابه لما يسخطه ويكرهه ، هذا إن كان علمه علمًا يمكن الانتفاع به ، وهو المتلقى عن الكتاب والسنة ؛ فإن كان متلقى من غير ذلك فهو [ق/١١٣] غير نافع في نفسه ، ولا يمكن الانتفاع به ، بل ضره أكثر من نفعه .

***

[علامة العلم الغير نافع]

وعلامة هذا العلم الذي لا ينفع أن يكسب صاحبه الزهو والفخر والخيلاء ، وطلب العلو والرفعة في الدنيا والمنافسة فيها ، وطلب مباهاة العلماء ومماراة السفهاء وصرف وجوه الناس إليه ، وقد ورد عن النبي ﷺ: « **أن من طلب العلم لذلك فالنار النار** »(١) .

وربما ادعى بعض أصحاب هذه العلوم معرفة الله وطلبه والإعراض عما سواه، وليس غرضهم بذلك إلا طلب التقدم في قلوب الناس من الملوك وغيرهم، وإحسان ظنهم بهم ، وكثرة أتباعهم ، والتعظم بذلك على الناس ، وعلامة ذلك إظهار دعوى الولاية كما كان يدعيه أهل الكتاب ، وكما ادعاه القرامطة والباطنية ونحوهم ، وهذا بخلاف ما كان عليه السلف من احتقار نفوسهم وازدرائها باطنًا وظاهرًا .

وقال عمرو : من قال أنه عالم فهو جاهل ، ومن قال أنه مؤمن فهو كافر ، ومن قال هو في الجنة فهو في النار .

ومن علامات ذلك : عدم قبول الحق والانقياد إليه والتكبر على من يقول الحق ، خصوصًا إن كان دونهم في أعين الناس ، والإصرار على الباطل خشية تفرق قلوب الناس عنهم بإظهار الرجوع إلى الحق .

وربما أظهروا بألسنتهم ذم أنفسهم واحتقارها على رءوس الأشهاد ؛ ليعتقد الناس فيهم أنهم عند أنفسهم متواضعون فَيُمْدَحُون بذلك ، وهو من دقائق أبواب الرياء ، كما نبه عليه التابعون فمن بعدهم من العلماء .

ويظهر منهم من قبول المدح واستجلابه (مما) (*) ينافي الصدق والإخلاص؛

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٥٤) ، وابن حبان (٧٧) ، والحاكم (١/٨٦) .

(*) ما : « نسخة » .

فإن الصادق يخاف النفاق على نفسه ويخشى على نفسه من سوء الخاتمة ، فهو في شغل شاغل عن قبول المدح واستحسانه .

فلهذا كان من علامات أهل العلم النافع أنهم لا يرون لأنفسهم حالا ولا مقامًا ، ويكرهون بقلوبهم التزكية والمدح ، ولا يتكبرون على أحد .

قال الحسن : إنما الفقيه الزاهد في الدنيا الراغب في الآخرة ، البصير بدينه المواظب على عبادة ربه . وفي رواية عنه قال : الذي لا يحسد من فوقه ، ولا يسخر ممن دونه ، ولا يأخذ على علم علمه الله أجراً . وهذا الكلام الأخير قد روي معناه عن ابن عمر (١) من قوله .

وأهل العلم النافع كلما ازدادوا من هذا العلم ازدادوا لله (تواضعًا) (*) وخشية وانكساراً وذلا .

قال بعض السلف : ينبغي للعالم أن يضع التراب على رأسه تواضعاً لربه .

فإنه كلما ازداد علمًا بربه ومعرفة به ازداد [ق/ ١١٤] منه خشية ومحبة وازداد له ذلا وانكساراً .

ومن علامات العلم النافع : أنه يدل صاحبه على الهرب من الدنيا ، وأعظمها الرياسة والشهرة والمدح ، فالتباعد عن ذلك والاجتهاد في مجانبته من علامات العلم النافع فإن وقع شيء من ذلك من غير قصد واختيار كان صاحبه في خوف شديد من عاقبته ، بحيث أنه يخشى أن يكون مكراً واستدراجًا ، كما كان الإمام أحمد يخاف ذلك على نفسه عند اشتهار اسمه وبُعْدِ صيته .

ومن علامات العلم النافع : أن صاحبه لا يدعي العلم ولا يفخر به على أحد، ولا ينسب غيره إلى الجهل إلا من خالف السنة وأهلها ؛ فإنه يتكلم فيه غضبًا لله لا غضبًا لنفسه ولا قصداً لرفعتها على أحد .

وأما من علمه غير نافع فليس له شغل سوى التكبر بعلمه على الناس،

---

(١) أخرجه الدارمي (١/ ٨٨) .

(٢) نوراً : « نسخة » .

وإظهار فضل علمه عليهم ونسبتهم إلى الجهل ، وتنقصهم ليرتفع بذلك عليهم وهذا من أقبح الخصال وأردئها ، وربما نسب من كان قبله من العلماء إلى الجهل والغفلة والسهو، فيوجب له حب نفسه وحب ظهورها ، وإحسان ظنه بها وإساءة ظنه بمن سلف .

وأهل العلم النافع على ضد هذا . يسيئون الظن بأنفسهم ، ويحسنون الظن بمن سلف من العلماء ، ويقرون بقلوبهم وأنفسهم [ق/ ١٤ب] بفضل من سلف عليهم ويعجزهم عن بلوغ مراتبهم والوصول إليها أو مقاربتها .

وما أحسن قول أبي حنيفة وقد سئل عن علقمة والأسود : أيهما أفضل ؟ فقال: والله ما نحن بأهل أن نذكرهم، فكيف نفضل بينهم ؟ ! .

وكان ابن المبارك إذا ذكر أخلاق من سلف ينشد :

لا تعرضن لذكرنا في ذكرهم ليس الصحيح إذا مشى كالمقعد

ومن علمه غير نافع إذا رأى لنفسه فضلا على من تقدمه في المقال وتشقق الكلام ، ظن لنفسه عليهم فضلا في العلم أو الدرجة عند الله لفضل خص به عمن سبق فاحتقر من تقدمه ، وأزرى عليه بقلة العلم ، ولا يعلم المسكين أن قلة كلام من سلف إنما كان ورعًا و خشية لله ، ولو أراد الكلام وإطالته لما عجز عن ذلك ، كما قال ابن عباس لقوم سمعهم يتمارون في الدين : أما علمتم أن لله عباداً أسكتتهم خشية الله من غير عي ولا بكم ، وإنهم لهم العلماء والفصحاء والطلقاء والنبلاء ، العلماء بأيام الله غير أنهم إذا تذكروا عظمة الله طاشت لذلك عقولهم وانكسرت قلوبهم وانقطعت ألسنتهم ، حتى إذا استفاقوا من ذلك يسارعون إلى الله بالأعمال الزاكية ، يعدون أنفسهم من المفرطين ، وإنهم لأكياس أقوياء ومع الظالمين والخاطئين ، [ق/١١٥] وإنهم لأبرار برآء ، إلا أنهم لا يستكثرون له الكثير ، ولا يرضون له بالقليل ، ولا يدلون عليه بالأعمال ، هم حيث ما لقيتهم مهتمون مشفقون وجلون خائفون . خرجه أبو نعيم (١) وغيره (٢) .

---

(١) في الحلية (١/ ٣٢٥) .

(٢) وأخرجه ابن المبارك في الزهد (١٤٩٥) ، وأحمد في الزهد ص ٤٣ ، والآجري في الشريعة ص ٥٩ ، ٦٠ .

وأخرج الإمام أحمد [1] والترمذي [2] من حديث أبي أمامة ، عن النبي ﷺ قال « **الحياء والعي شعبتان من الإيمان ، والبذاء والبيان شعبتان من النفاق** » وحسنه الترمذي ، وخرجه الحاكم [3] وصححه .

وخرج ابن حبان في « صحيحه » [4] عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال: «**البيان من الله والعي من الشيطان ، وليس البيان بكثرة الكلام ولكن البيان الفصل في الحق ، وليس العي قلة الكلام ولكن من سفه الحق** » .

وفي مراسيل محمد بن كعب القرظي ، عن النبي ﷺ : « **ثلاث ينقص بهن العبد في الدنيا ويدرك بهن في الآخرة ما هو أعظم من ذلك : الرحم والحياء وعي اللسان** » .

قال عون بن عبد الله [5] : ثلاث من الإيمان : الحياء والعفاف والعي ، عي اللسان لا عي القلب ولا عي العمل ، وهن مما يزدن في الآخرة وينقصن من الدنيا، وما يزدن في الآخرة أكبر مما ينقصن من الدنيا . وروي هذا مرفوعًا [6] من

---

(١) (٥/٢٦٩) .

(٢) برقم (٢٠٢٧) وقال : هذا حديث حسن غريب ؛ إنما نعرفه من حديث أبي غسان محمد بن مطرف .

(٣) (١/٥٢) وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، وله شاهد صحيح على شرطهما .

(٤) برقم (٥٧٩٦ إحسان) .

(٥) أخرجه معمر في جامعه (١١/ ١٤٢ ـ مع المصنف) ..

(٦) أخرجه الدارمي (٥٠٩) من طريق عون بن عبد الله قال : قلت لعمر بن العزيز حدثني فلان ـ رجل من أصحاب رسول الله ﷺ ـ فعرفه عمر ، قلت : حدثني أن رسول الله ﷺ قال : « ثم إن الحياء والعفاف والعي ... » فذكر الحديث . وأخرجه البخاري في « التاريخ الكبير » (٧ / ١٨٠) ، والطبراني في المعجم الكبير (١٩ / ٦٣) وابن أبي الدنيا في « مكارم الأخلاق » (٨٧) من طريق إياس بن معاوية بن قرة عن أبيه عن جده مرفوعًا .

قال الهيثمي في المجمع (٨ / ٢٧) : رواه الطبراني ، وفيه عبد الحميد بن سوار ، وهو ضعيف .

وجه ضعيف .

وقال بعض السلف : إن كان الرجل ليجلس إلى القوم فيرون أن به عيًّا وما به عي إنه لفقيه مسلم .

فمن عرف قدر السلف عرف أن سكوتهم عما سكتوا عنه من ضروب الكلام وكثرة الجدال والخصام ، والزيادة في البيان على مقدار الحاجة لم يكن عيًّا ولا جهلاً ولا قصوراً ، وإنما كان ورعًا وخشية لله واشتغالا عما لا ينفع بما ينفع .

وسواء في ذلك كلامهم في أصول الدين وفروعه ، وفي تفسير القرآن والحديث ، وفي الزهد والرقائق والحكم والمواعظ ، وغير ذلك مما تكلموا فيه .

فمن سلك سبيلهم فقد اهتدى ، ومن سلك غير سبيلهم ودخل في كثرة السؤال والبحث والجدال والقيل والقال ؛ فإن اعترف لهم بالفضل وعلى نفسه بالنقص كان حاله قريبًا .

وقد قال إياس بن معاوية : ما من أحد لا يعرف عيب نفسه إلا وهو أحمق. قيل له : فما عيبك ؟ قال : كثرة الكلام .

وإن ادعى لنفسه الفضل ولمن سبقه النقص والجهل؛ فقد ضل ضلالا مبينًا وخسر خسرانًا عظيمًا .

وفي الجملة ففي هذه الأزمان الفاسدة إما أن يرضى الإنسان لنفسه أن يكون عالماً عند الله أولا يرضى إلا بأن يكون عند أهل الزمان عالمًا ؛ فإن رضي بالأول فليكتف بعلم الله فيه .

ومن كان بينه وبين الله معرفة اكتفى بمعرفة الله إياه ، ومن لم يرض إلا بأن يكون عالماً عند الناس دخل في قوله ﷺ « **من طلب العلم ليباهي به العلماء ، أو يماري به السفهاء ، أو يصرف به وجوه الناس إليه ، فليتبوأ مقعده من النار** »[1] .

---

(١) تقدم من حديث جابر - دون قوله - « فليتبوأ مقعده من النار ».

وهذه الزيادة أخرجها الترمذي (٢٦٥٥) بلفظ : « من تعلم علمًا لغير الله ، أو أراد به غير الله ، فليتبوأ مقعده من النار » وهو حديث آخر غير حديث : « من طلب =

قال وهيب بن ورد : رب عالم يقول له الناس : عالم ، وهو معدود عند الله من الجاهلين .

وفي « صحيح مسلم »[1] عن أبي هريرة عن النبي ﷺ « **إن أول من تسعر به النار ثلاثة : أحدهم من قرأ القرآن وتعلم العلم ليقال هو قارئٌ أو هو عالم ، ويقال له : قد قيل ذلك ، ثم أمر به فيسحب على وجهه حتي ألقي في النار** » .

فإن لم تقنع نفسه بذلك حتى تصل درجة الحكم بين الناس ، حيث كان أهل الزمان لا يعظمون من لم يكن كذلك ولا يلتفتون إليه ، فقد استبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير وانتقل من درجة العلماء إلى درجة الظلمة .

ولهذا قال بعض السلف لما أريد على القضاء فأباه : إنما تعلمت العلم لأحشر به مع الأنبياء لا مع الملوك ؛ فإن العلماء (يحشرون)[*] مع الأنبياء والقضاة (يحشرون)[*] مع الملوك .

ولابد للمؤمن من صبر قليل حتى يصل به إلى راحة طويلة ، فإن جزع ولم يصبر فهو كما قال ابن المبارك : من صبر فما أقل ما يصبر ، ومن جزع فما أقل ما يتمتع .

وكان الإمام الشافعي رحمه الله ينشد :

يا نفس ما هي إلا صبر أيـــام كأن مدتها أضغاث أحـلام

يا نفس جوزي عن الدنيا مبادرة وخل عنها فإن العيش قدام

فنسأل الله تعالى علمًا نافعًا ، ونعوذ به من علم لا ينفع ، ومن قلب لا

= العلم ليجاري به العلماء » فليتنبه لذلك .

وقال الترمذي : وفي الباب عن جابر - إلى أن قال - هذا حديث حسن غريب لانعرفه من حديث أيوب إلا من هذا الوجه .

وأخرجها أيضاً ابن ماجه (٢٥٨) وإسنادها ضعيف منقطع بين خالد بن دريك وابن عمر.

(١) برقم (١٩٠٥) بنحوه .

(*) محشورون : « نسخة » .

يخشع ، ومن نفس لا تشبع ، ومن دعاء لا يسمع .

اللهم إنا نعوذ بك من هؤلاء الأربع ، الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين .

❋ ❋ ❋

فصل :
[في مشابهة علماء السوء من المسلمين بأهل الكتاب]

ليتدبر ما ذم به الله أهل الكتاب من قسوة القلوب بعد إتيانهم الكتاب، ومشاهدتهم الآيات ، كإحياء القتيل المضروب ببعض البقرة ، ثم نهينا عن التشبه بهم في ذلك فقيل لنا : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ [الحديد:١٦] .

وبين في موضع آخر سبب قسوة قلوبهم ، فقال سبحانه : ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ﴾ [المائدة:١٣] فأخبر أن قسوة قلوبهم كان عقوبة لهم على نقضهم ميثاق الله ، وهو مخالفتهم لأمره وارتكابهم لنهيه بعد أن أخذت عليهم مواثيق الله وعهوده ألا تفعلوا ذلك .

ثم قال تعالى : ﴿ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ﴾ [المائده:١٣] فذكر أن قسوة قلوبهم أوجبت لهم خصلتين مذمومتين:

إحداهما : تحريف الكلم من بعد مواضعه .

والثانية : نسيانهم حظًا مما ذكروا به ، والمراد تركهم وإهمالهم نصيبًا مما ذكروا به من الحكمة والموعظة [ق/ ١/١٦] الحسنة ، فنسوا ذلك وتركوا العمل به وأهملوه.

وهذان الأمران موجودان في الذين فسدوا من علمائنا ؛ لمشابهتهم لأهل الكتاب.

أحدهما : تحريف الكلم ، فإن من تفقه لغير العمل يقسو قلبه فلا يشتغل بالعمل ؛ بل بتحريف الكلم وصرف ألفاظ الكتاب والسنة عن مواضعها ،

والتلطف في ذلك بأنواع الحيل اللطيفة من حملها على مجازات اللغة المستبعدة ونحو ذلك .

والطعن في ألفاظ السنن حيث لم يمكنهم الطعن في ألفاظ الكتاب . ويذمون من تمسك بالنصوص وأجراها على ما يفهم منها ويسمونه جاهلا أو حشويًّا .

وهذا يوجد في المتكلمين في أصول الديانات ، وفي فقهاء الرأي وفي صوفية الفلاسفة والمتكلمين .

والثاني : نسيان حظ مما ذكروا به من العلم النافع فلا تتعظ قلوبهم ؛ بل يذمون من تعلم ما يبكيه ويرق به قلبه ويسمونه قاصًّا .

ونقل أهل الرأي في كتبهم عن بعض شيوخهم : أن ثمرات العلوم تدل على شرفها ؛ فمن اشتغل بالتفسير فغايته أن يقص على الناس ويذكرهم ، ومن اشتغل برأيهم وعلمهم فإنه يفتي ويقضي ويحكم ويدرس ، وهؤلاء لهم نصيب من الذين: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾ [الروم:٧] .

والحامل لهم على هذا شدة محبتهم للدنيا وعلوها .

ولو أنهم زهدوا في الدنيا ورغبوا في [ق/١٦ب] الآخرة ، ونصحوا أنفسهم وعباد الله لتمسكوا بما أنزل الله على رسوله ، وألزموا الناس بذلك ، فكان الناس حينئذ أكثرهم لا يخرجون عن التقوى ، فكان يكفيهم ما في نصوص الكتاب والسنة ، ومن خرج منهم عنهما كان قليلا ، فكان الله يقيض من يفهم من معاني النصوص ما يرد به الخارج عنها إلى الرجوع إليها ، ويستغني بذلك عما ولدوه من الفروع الباطلة (*) ، والحيل المحرمة التي بسببها فتحت أبواب الربا وغيره من المحرمات ، واستحلت محارم الله بأدنى الحيل كما فعل أهل الكتاب .

وهدى الله الذين آمنو لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

(*) الباطنة : « نسخة » .

وصلي الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيراً إلى يوم الدين، وحسبنا الله ونعم الوكيل (*) .

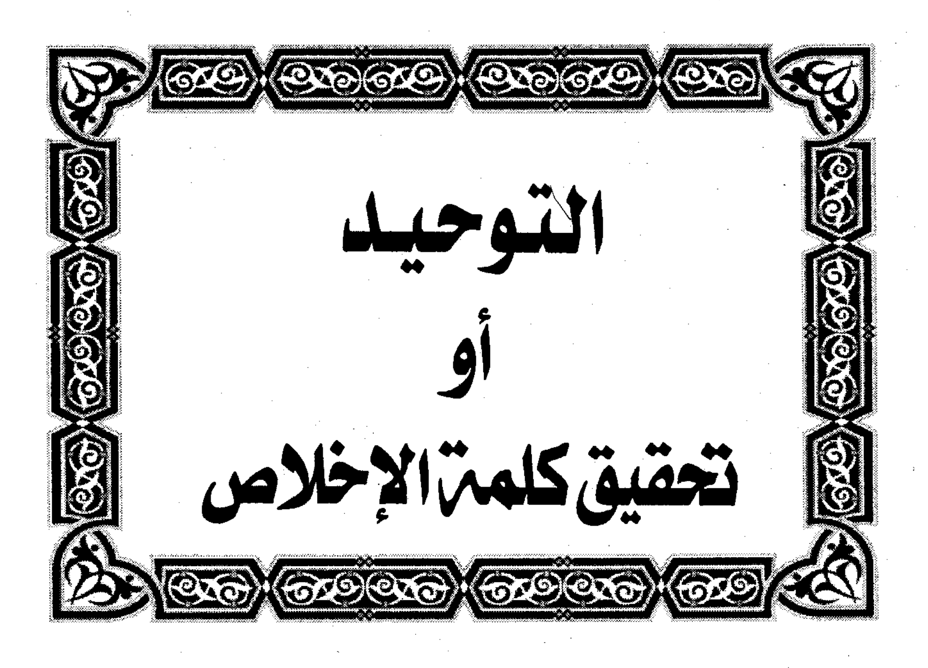
---

(١) كتب في آخر الرسالة :

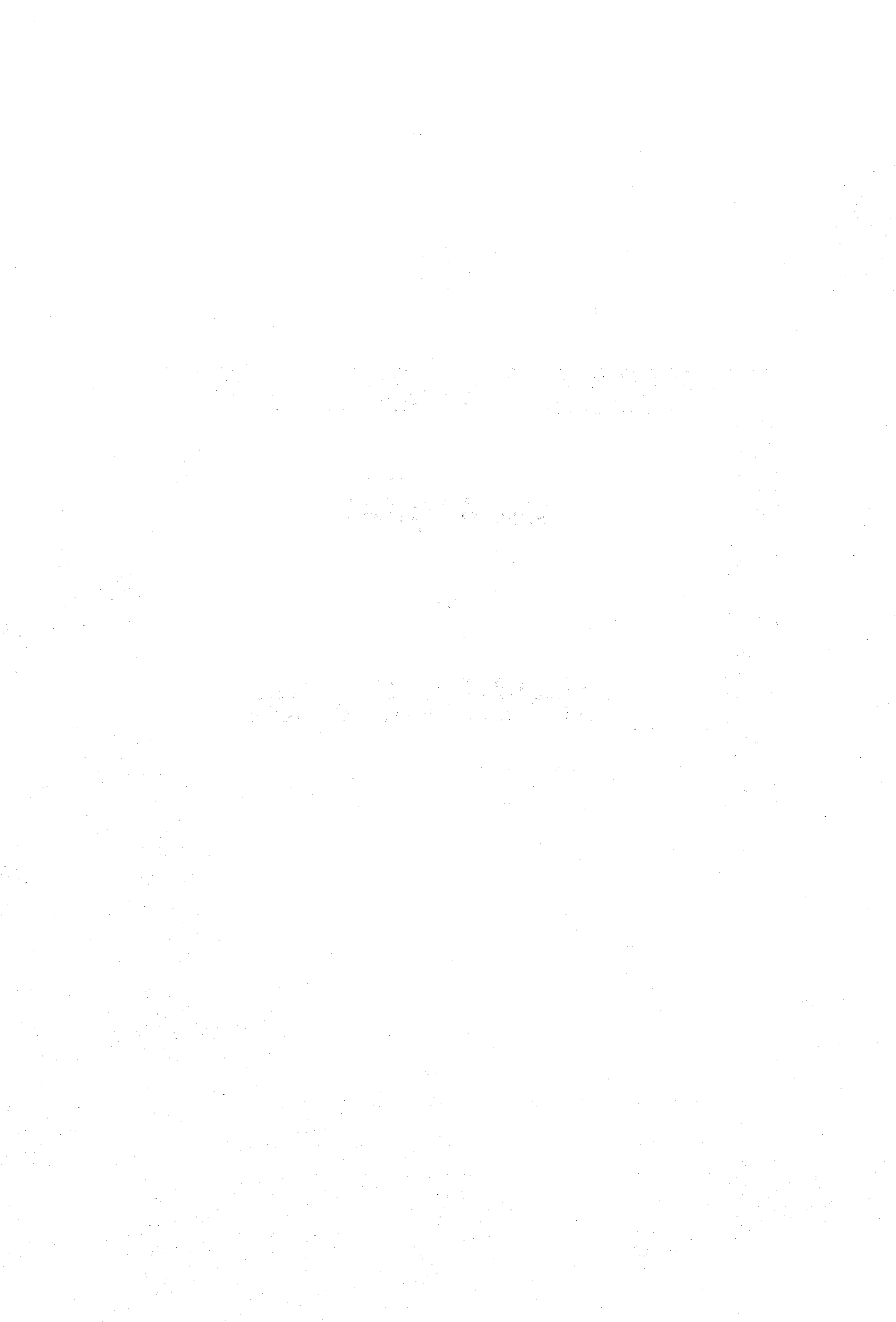
يلوح الخط في القرطاس دهراً   وكاتبه رميم في التـــــــراب

خرجت من التراب بغير ذنب   وعدت مع الذنوب إلى التراب

حشرنا الله في زمرة أوليائه في دار كرامته بمنه وكرمه آمين .



التوحيد
أو
تحقيق كلمة الإخلاص



بسم الله الرحمن الرحيم

[ق/ ١أ] وهو حسبي وبه أستعين

قال الشيخ الإمام العالم العلامة شيخ الإسلام زين الدين بن رجب ـ رحمه الله تعالى ـ :

خرج البخاري [(١)] ومسلم [(٢)] في الصحيحين عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: «كان النبي ﷺ ومعاذ رديفه على الرحل ، فقال : يا معاذ . قال: لبيك يا رسول الله وسعديك ! قال : « يا معاذ » قال : لبيك يا رسول الله وسعديك. قال: يا معاذ . قال : لبيك يا رسول الله وسعديك قال : ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله إلا حرمه الله على النار . قال : يا رسول الله ، ألا أخبر بها الناس فيستبشروا ! قال: إذًا يتكلوا » فأخبر بها معاذ عند موته تأثمًا .

وفي « الصحيحين » [(٣)] عن عتبان بن مالك ، عن النبي ﷺ [ق/١ب] قال: «إن الله حرّم على النار من قال : لا إله إلا الله يبتغي بها وجه الله».

وفي « صحيح مسلم » عن أبي هريرة ـ أو أبي سعيد ، بالشك [(٤)] ـ أنهم كانوا مع النبي ﷺ في (غزاة) [(*)] تبوك فأصابتهم مجاعة ، فدعا النبي ـ ﷺ ـ بنطع [(٥)] فبسطه ، ثم دعا بفضل أزوادهم ، فجعل الرجل يجيء بكف ذرة،

(١) برقم (١٢٨) .

(٢) برقم (٣٠/ ٤٨) من هذا الطريق أيضًا .

(٣) أخرجه البخاري (٤٢٥ مطولا) ومسلم (٣٣ مطولا ، ٣٣/ ٢٦٣ ص ٤٥٥) .

(٤) برقم (٢٧/ ٤٥ ص ٥٦ ـ ٥٧) والشاك هنا هو الأعمش ، ورواه مسلم أيضًا (٢٧/ ٤٤ ص ٥٥ ـ ٥٦) عن أبي هريرة بغير شك .

(*) غزوة « نسخة » .

(٥) النطع : هو بساط متخذ من أديم ، وفيه أربع لغات : فتح النون وكسرها ، ومع كل واحد فتح الطاء وسكونها .

وكانت الأنطاع تبسط بين أيدي الملوك والأمراء حين أرادوا قتل أحد صبراً ، ليصان =

وجعل الآخر بكف تمرٍ، وجعل الآخر يجيء بكسرة ، حتى اجتمع على النطع من ذلك شيء يسير ، فدعا رسول الله ﷺ بالبركة ، ثم قال : **خذوا في أوعيتكم** . فأخذوا في أوعيتهم ، حتى ما تركوا في العسكر وعاءً إلا ملئوه . قال: فأكلوا حتى شبعوا وفَضَلَتْ فَضْلَةٌ ، فقال رسول الله ﷺ : **أشهد أن لا إله إلا الله ، وأني رسول الله ، لا يلقى الله بهما عبدٌ غير شاك فيهما فيحجب عن الجنة»** .

وفي « الصحيحين » [1] عن أبي ذر ، عن النبي ﷺ قال : **« ما من عبد قال : لا إله إلا الله ، ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة** . قلت : وإن زنى ، وإن سرق؟! قال : وإن زنى ، وإن سرق . قالها ثلاثًا، ثم قال في الرابعة : **على رغم أنف أبي ذر** . فخرج أبو ذر ، وهو يقول : وإن رغم أنف أبي ذر » .

وفي « صحيح مسلم » [2] عن عبادة ، أنه قال عند موته : سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : **« من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله حَرّم الله عليه النار »** .

وفي « الصحيحين » [3] عن عبادة عن النبي [ق/١٢] ﷺ قال : **«من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن عيسى عبد الله ورسوله ، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، وأن الجنة حق والنار حق ، أدخله الله الجنة على ما كان من عمل »** .

وفي هذا المعنى أحاديث كثيرة جداً ، يطول ذكرها .

* * *

= المجلس من الدم . انظر المصباح المنير مادة « نطع » وشرح النووي لصحيح مسلم.

(١) أخرجه البخاري (٥٨٢٨) ، ومسلم (٩٤) .

(٢) برقم (٢٩) .

(٣) أخرجه البخاري (٣٤٣٥) ، ومسلم (٢٨) .

أهل التوحيد لا يخلدون في النار وإن دخلوها

وأحاديث هذا الباب نوعان :

أحدهما : ما فيه أنَّ من أتى بالشهادتين دخل الجنة ، أو لم يحجب عنها ؛ وهذا ظاهر ؛ فإن النار لا يخلد فيها أحد من أهل التوحيد الخالص ، وقد يدخل الجنة ولا يحجب عنها إذا طُهِّر من ذنوبه بالنار .

وحديث أبي ذر معناه : أن الزنا والسرقة لا يمنعان دخول الجنة مع التوحيد ، وهذا حق لا مرية فيه ، ليس فيه أنه لا يعذب يومًا عليهما مع التوحيد .

وفي « مسند البزار »[1] عن أبي هريرة مرفوعًا : « **من قال : لا إله إلا الله نفعته يومًا من دهره ، يُصيبه قبل ذلك ما أصابه** » .

---

(١) برقم (٣ - كشف) وقال : لا نعلمه يروى عن النبي ﷺ إلا بهذا الإسناد .
ورواه عيسى بن يونس عن الثوري عن منصور أيضًا ، وقد روي عن أبي هريرة موقوفًا، ورفعه أصح.
وسئل الدراقطني في العلل (١١/ ٢٣٨ - ٢٤٠) برقم (٢٢٦٠) عن هذا الحديث فقال: يرويه هلال بن يساف عن الأغر ، حدث به منصور بن المعتمر وحصين بن عبد الرحمن ، واختلف عنهما ؛ فأما منصور ، فرواه الثوري عن منصور ، واختلف عنه؛ فرواه عيسى بن يونس وابن إسماعيل الفارسي عن الثوري عن منصور مرفوعًا إلى النبي ﷺ .
وخالفهما أبو نعيم ؛ فوقفه على أبي هريرة وزاد ابن إسماعيل الفارسي وهو محمد بن إسماعيل في هذا الحديث كلمة لم يقلها غيره ، وهي قوله : « **لقنوا موتاكم لا إله إلا الله** » .
ورواه أبو عوانة ، واختلف عنه ؛ فرواه حبَّان بن هلال عن أبي عوانة عن منصور مرفوعًا ؛ وغيره يرويه عن أبي عوانة موقوفًا .
وكذلك رواه إبراهيم بن طهمان وجرير بن عبد الحميد وأبو حفص الأبار عن =

والثاني : ما فيه أنه يحرم على النار ، وهذا قد حمله بعضهم على الخلود فيها ، أو على نار يخلَّد فيها أهلُها ، وهي ما عدا الدرك الأعلى، فإن الدرك الأعلى يدخله خلق كثير من عصاة الموحدين بذنوبهم ، ثم يخرجون بشفاعة الشافعين ، وبرحمة أرحم الراحمين .

وفي « الصحيحين » [(1)] : « **إن الله ـ تعالى ـ يقول : وعزتي وجلالي لأخرجن من النار من قال : لا إله إلا الله** » .

***

= منصور ، وأما حصين بن عبد الرحمن ، فرواه عمرو بن عثمان الكلابي عن زهير بن معاوية عن حصين عن هلال عن الأغر عن أبي هريرة عن النبي ﷺ .

وخالفه شعبة وهشيم وعبثر بن القاسم ؛ رووه عن حصين عن هلال موقوفًا .

ورواه علي بن عابس عن حصين عن الأغر عن أبي هريرة موقوفًا ، أسقط منه هلال بن يساف ، والصحيح عن حصين ومنصور الموقوف .

(1) أخرجه البخاري (٧٥١٠) ، ومسلم (١٩٣/ ٣٢٦) في كتاب الإيمان باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها .

شروط لا إله إلا الله

وقالت طائفة من العلماء : المراد من هذه الأحاديث : أن لا إله إلا الله [ق/ ٢ب] سبب لدخول الجنة والنجاة من النار ، ومتقض لذلك ، ولكن المقتضي لا يعمل عمله إلا باستجماع شروطه وانتفاء موانعه ، فقد يتخلف عنه مقتضاه لفوات شرط من شروطه ، أو لوجود مانع ؛ وهذا قول الحسن ووهب بن منبه وهو الأظهر .

وقال الحسن للفرزدق ـ وهو يدفن امرأته ـ : ما أعددت لهذا اليوم ؟ قال: شهادة أن لا إله إلا الله منذ سبعين سنة . قال الحسن : نعم العُدة إن لـ « لا إله إلا الله » شروطًا ؛ فإياك وقذف المحصنة ! .

وروي عنه أنه قال للفرزدق : هذا العمود . فأين الطنب [1] ؟

وقيل للحسن : إن ناسًا يقولون : من قال : لا إله إلا الله دخل الجنة ؟ فقال : من قال : لا إله إلا الله ، فأدّى حقها وفرضها دخل الجنة.

وقال وهب بن منبه لمن سأله : أليس لا إله إلا الله مفتاح الجنة ؟ قال: بلى، ولكن (ليس) [*] مفتاح إلا وله أسنانٌ ؛ فإن جئت بمفتاح له أسنان فُتح لك، وإلا لم يُفتَحْ لك .

وهذا الحديث : « إن مفتاح الجنة لا إله إلا الله » خرجه الإمام أحمد[2] بإسناد

(*) ما من « نسخة » .

(١) قال في القاموس المحيط : هو حبل طويل يشد به سرادق البيت أو الوتد .

(٢) في مسنده (٥/ ٢٤٢) .

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٢١) : رواه أحمد والبزار ، وفيه انقطاع بين شهر ومعاذ ، وإسماعيل بن عياش روايته عن أهل الحجاز ضعيفة ، وهذا منها .

وقد أخرجه ابن عدي في الكامل (٤ / ٣٨ ـ ٣٩) وقال ابن عدي (٤ / ٤٠) : =

منقطع . عن معاذ قال : « قال لي رسول الله ﷺ : إذا سألك أهلُ اليمن عن مفتاح الجنة فقل : شهادة أن لا إله إلا الله » .

ويدل على صحة هذا القول أن النبي ﷺ رتَّب دخول الجنة على الأعمال الصالحة في كثير من النصوص ، كما في « الصحيحين » [1] عن أبي [ق/١٣] أيوب أن رجلاً قال : يا رسول الله ! أخبرني بعمل يدخلني الجنة . فقال: « تعبد الله ، لا تشرك به شيئًا ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصل الرحم » .

وفي « صحيح مسلم » [2] عن أبي هريرة « أن رجلا قال : يا رسول الله ، دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة . قال : تعبد الله لا تشرك به شيئًا ، وتقيم الصلاة المكتوبة ، وتؤدي الزكاة المفروضة ، وتصوم رمضان . فقال الرجل: والذي نفسي بيده ، لا أزيد على هذا شيئًا ولا أَنْقُصُ منه .

فقال النبي ﷺ : من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا » .

وفي « المسند » [3] عن بشير بن الخصاصية قال : أتيت النبيَّ - ﷺ - لأبايعه فاشترط عليّ : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن أقيم الصلاة ، وأن (أؤدي) [4] الزكاة ، وأن أحُج حجة الإسلام ، وأن أصوم رمضان ، وأن أجاهد في سبيل الله ، فقلت : يا رسول الله ، أما [اثنتان] [5] فوالله لا أطيقهما : الجهاد والصدقة ! فقبض رسول الله ﷺ يده ثم حركها ، وقال : فلا جهاد ولا صدقة ، فبم تدخل الجنة إذًا ؟! قلت : يا رسول الله ! أن أبايعك ، فبايعته عليهن كلهن » .

= ولشهر بن حوشب هذا غير ما ذكرت من الحديث .... وشهر هذا ليس بالقوي في الحديث، وهو ممن لا يحتج بحديثه ولا يتدين به .

(١) أخرجه البخاري (١٣٩٦) ، ومسلم (١٣) .

(٢) برقم (١٤) ، وكذا البخاري (١٣٩٧) .

(٣) (٥/ ٢٢٤) وفي إسناده مؤثر بن عفارة وهو مجهول .

(٤) « أوتي » : نسخة .

(٥) في الأصول المخطوطة « اثنتين » وما نقلته من المسند ، وهو الصواب .

ففي هذا الحديث أن الجهاد والصدقة شرط في دخول الجنة ، مع حصول [ق/٣ب] التوحيد والصلاة والصيام والحج .

ونظير هذا أن النبي ﷺ قال : « **أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله** »[١] .

ففهم عمر ، وجماعة من الصحابة أن من أتى بالشهادتين امتنع من عقوبة الدنيا بمجرد ذلك ، فتوقفوا في قتال مانعي الزكاة ، وفهم الصِّدِّيق أنه لا يمتنع قتاله إلا بأداء حقوقها ، لقوله ﷺ : « **فإذا فعلوا ذلك منعوا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها . وقال : الزكاة حق المال** »[٢].

وهذا الذي فهمه الصديق ؛ قد رواه عن النبي ﷺ (صريحًا غير واحد من الصحابة)[*] منهم : ابن عمر[٣] وأنس[٤] وغيرهما[٥] ، وأنه قال : « **أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة** » .

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥) ، ومسلم (٢٢) من حديث ابن عمر بهذا اللفظ ، وورد بلفظ: « حتى يقولوا » في الصحيحين من حديث عمر بن الخطاب ، وفي صحيح البخاري من حديث أنس ، وفي صحيح مسلم من حديث جابر .

(*) جماعة من الصحابة « نسخة » .

(٢) انظر تخريج الحديث السابق .

(٣) كما سبق في الصحيحين .

(٤) أخرجه البخاري (٣٩٢) .

(٥) منهم :

أ ـ جابر بن عبد الله ، كما عند مسلم برقم (٢١/ ٣٥) .

ب ـ وعمر ، كما عند البخاري برقم (١٣٩٩) ، ومسلم برقم (٢٠) .

جـ ـ وأبو هريرة ، كما عند مسلم برقم (٢١) .

وقد دل على ذلك قوله تعالى : ﴿ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ﴾ [التوبة : ٥] .

كما دل قوله تعالى : ﴿ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ [التوبة : ١١] ، على أن الأخوة في الدين لا تثبت إلا بأداء الفرائض مع التوحيد ، فإن التوبة من الشرك لا تحصل إلا بالتوحيد.

ولما قرر أبو بكر هذا للصحابة رجعوا إلى قوله [١] ، ورأوه صوابًا.

فإذا عُلم أن عقوبة الدنيا لا ترفع عمن أدّى الشهادتين مطلقًا .

[ق/١٤] بل قد يعاقب بإخلاله بحق من حقوق الإسلام ، فكذلك عقوبة الآخرة.

وقد ذهب طائفة إلى أن هذه الأحاديث المذكورة أولا وما في معناها، كانت قبل نزول الفرائض والحدود ، منهم :

الزهري والثوري وغيرهما .

وهذا بعيد جدًا ، فإن كثيرًا منها كان بالمدينة قد نزل بعد نزول الفرائض والحدود ، وفي بعضها أنه كان في غزوة تبوك (وهي) (*) في آخر حياة النبي ﷺ .

وهؤلاء منهم من يقول في هذه الأحاديث أنها منسوخة ، ومنهم من يقول: (هي) (**) محكمة ، ولكن ضم إليها شرائط ، ويلتفت هذا إلى أن الزيادة على النص : هل هي نسخ أم لا ؟ والخلاف في ذلك بين الأصوليين مشهور .

وقد صرَّح الثَّوري وغيره بأنها منسوخة ، وأن نسخها الفرائض والحدود ، وقد يكون مرادهم بالنسخ البيان والإيضاح ، فإن السلف كانوا يطلقون النسخ

---

(١) وعلى رأسهم عمر رضي الله عنه كما عند البخاري (١٤٠٠) ، ومسلم (٢٠) حيث قال : « فوالله ما هو إلا أن قد شرح الله صدر أبي بكر للقتال ، فعرفت أنه الحق » .

(*) وهو « نسخة » .

(**) إنها : « نسخة » .

على مثل ذلك كثيراً ، ويكون مقصودهم أن آيات الفرائض والحدود تبين بها توقفُ دخول الجنة والنجاة من النار على فعل الفرائض واجتناب المحارم ، فصارت تلك النصوص منسوخة ، أي : مبيَّنة مفسَّرة، ونصوص الفرائض والحدود ناسخة أي : مفسِّرة لمعنى تلك ، موضِّحة لها.

* * *

فهم النصوص المطلقة في ضوء النصوص المقيدة

وقالت طائفة : تلك النصوص المطلقة قد جاءت مقيَّدة في أحاديث أخر ، ففي بعضها : « من قال [ق/ ٤ب] : لا إله إلا الله مُخلصًا »(١) وفي بعضها : (مُستيقنًا) (*) »(٢) ، وفي بعضها : « يصدق قلبه لسانه »(٣) وفي بعضها : «يقولها حقًا من قبله »(٤) وفي بعضها : « قد ذل بها لسانه، واطمأن بها قلبه»(٥) .

وهذا كله إشارة إلى عمل القلب ، وتحققه بمعنى الشهادتين ، فتحققه بقول : لا إله إلا الله أن لا يأله القلب غير الله حبًا ورجاءً ، وخوفًا ، وتوكلا واستعانة ، وخضوعًا وإنابة وطلبًا ، وتحققه بأن محمداً رسول الله ، ألا يعبد الله بغير ما شرعه الله على لسان رسوله محمد ﷺ .

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٢٣٦) .

(*) « متيقنا » : « نسخة » .

(٢) أخرجه مسلم (٣١) من حديث أبي هريرة .

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ٣٠٧) قال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٤٠٧) : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير معاوية بن معتب ، وهو ثقة .

(٤) أخرجه أحمد (١/ ٦٣) .
قال الهيثمي في « المجمع » (١/ ٢٠) : قلت : لعمر حديث رواه ابن ماجه ، بغير هذا السياق ، ورجاله ثقات ، رواه أحمد .

(٥) أخرجه البيهقي في الشعب رقم (٩) من حديث أبي قتادة .
وأورده الهيثمي في المجمع (١/ ٢٦) عن سعد بن عبادة قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « من قال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، أطاع بها قلبه ، وذل بها لسانه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله حرمه الله ـ عز وجل ـ على النار » .
وقال الهيثمي : رواه الطبراني في الأوسط وفيه عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، والأكثر على تضعيفه .

وقد جاء هذا المعنى مرفوعًا إلى النبي ﷺ صريحًا أنه قال : « من قال : لا إله إلا الله مخلصًا دخل الجنة . قيل : ما إخلاصها يا رسول الله ؟! : قال : أن تحجزك (عما) (*) حرم الله عليك » .

وهذا يُروى من حديث أنس بن مالك (١) ، وزيد بن أرقم (٢) ، ولكن إسنادهما لا يصح . وجاء أيضًا من مراسيل الحسن نحوه .

وتحقيق هذا المعنى وإيضاحه أن قول العبد : لا إله إلا الله يقتضي أن لا إله غير الله ، والإله الذي يطاع فلا يعصى هيبة له وإجلالا ، ومحبة وخوفًا ورجاء ، وتوكلاً عليه ، وسؤالا منه ، ودعاء له ، ولا يصلح ذلك كله إلا لله عز وجل ، فمن أشرك مخلوقًا في شيء من هذه الأمور التي هي من خصائص الإلهية كان ذلك قدحًا [ق/١٥] في إخلاصه في قول : لا إله إلا الله ، ونقصًا في توحيده (فكان فيه عبودية لذاك المخلوق) (**) بحسب ما فيه من ذلك .

❋ ❋ ❋

(*) عن كل ما : « نسخة » .

(١) أخرجه الخطيب في تاريخه (١٢/ ٦٤) .

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٥/ ٥٠٧٤) ، وفي الأوسط (٣ ـ مجمع البحرين).
وأورده الهيثمي في المجمع (١/ ٢٣) وقال : رواه الطبراني في الأوسط والكبير إلا أنه قال في الكبير : قال رسول الله ﷺ : « إخلاصه أن تحجزه عما حرم الله عليه» وفي إسناده : محمد بن عبد الرحمن بن غزوان ، وهو وضاع .

(**) وكان فيه من عبودية المخلوق « نسخة » .

الشرك والكفر له أصل وفروع

وهذا كله من فروع الشرك ، ولهذا ورد إطلاق الكفر والشرك على كثير من المعاصي (التي) (*) منشؤها من طاعة غير الله أو خوفه أو رجائه ، أو التوكل عليه أو العمل لأجله ، كما ورد في (الصحيح) (**) إطلاق الشرك على الرياء[1]، وعلى الحلف بغير الله [2] ، وعلى التوكل على غير الله والاعتماد عليه، وعلى من سوَّى بين الله وبين المخلوق في المشيئة ، مثل أن يقول : ما شاء الله وشاء فلان [3] .

وكذا قوله : ما لي إلا الله وأنت ؛ وكذلك ما يقدح في التوكل وتفرد الله بالنفع والضر : كالطيرة ، والرُّقَى المكروهة ، وإتيان الكهان وتصديقهم بما يقولون، وكذلك اتباع هوى النفس فيما نهى الله عنه ، قادحٌ في تمام التوحيد وكماله .

ولهذا أطلق الشرع على كثير من الذنوب التي منشؤها من اتباع هوى النفس بما هو كفر وشرك ؛ كقتال المسلم [4] ، ومن أتى حائضًا أو امرأة في

(*) الذي : « نسخة » .

(**) في نسخة استانبول : صحيح ، وما أثبته الأنسب للسياق ، والأحاديث في « المسند » وليست في الصحيح .

(1) أخرجه أحمد (٥/ ٤٢٨) بلفظ : « إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر . قالوا : وما الشرك الأصغر يا رسول الله ؟ قال : « الرياء » من حديث محمود بن لبيد.

(2) أخرجه أحمد (٢/ ١٢٥) ، وأبو داود (٣٢٥١) ، والترمذي (١٥٣٥) . بلفظ : « لا تحلف بأبيك ؛ فإنه من حلف بغير الله فقد أشرك » من حديث ابن عمر .

(3) أخرجه أحمد (٥/ ٣٨٤ ، ٣٩٤ ، ٣٩٨) ، وأبو داود (٤٩٨٠) بلفظ : « لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان » من حديث حذيفة بن اليمان .

(4) أخرج البخاري (٦٠٤٤) ، ومسلم (٦٤) من حديث ابن مسعود مرفوعًا بلفظ : =

دبرها [1] ، ومن شرب الخمر في المرة الرابعة [2] ، وإن كان ذلك لا يخرجه عن الملّة بالكلية .

ولهذا قال السلف : كُفر دون كفر ، وشرك دون شرك .

= «سباب المسلم فسوق ، وقتاله كفر » .

(1) أخرج الترمذي (١٣٥) وغيره من حديث أبي هريرة مرفوعًا بلفظ : « من أتى حائضًا أو امرأة في دبرها أو كاهنا فقد كفر بما أنزل على محمد » .
وقال الترمذي : لا نعرف هذا الحديث إلا من حديث حكيم الأثرم عن أبي تميمة الهجيمي عن أبي هريرة . وإنما معنى هذا عند أهل العلم على التغليظ . وقد روي عن النبي ﷺ قال : « من أتى حائضًا فليتصدق بدينار » . فلو كان إتيان الحائض كفرًا لم يؤمر فيه بالكفارة .
وضعف محمد هذا الحديث من قبل إسناده .

(2) أخرج الترمذي (١٤٤٤) وغيره من حديث معاوية مرفوعًا بلفظ : « من شرب الخمر فاجلدوه ، فإن عاد في الرابعة فاقتلوه » .
قال الترمذي : وفي الباب عن أبي هريرة والشريد وشرحبيل بن أوس وجرير وأبي الرَّمَد البَلَوي وعبد الله بن عمرو .
وقال أبو عيسى : حديث معاوية هكذا روى الثوري أيضًا عن عاصم عن أبي صالح عن معاوية عن النبي ﷺ ، وروى ابن جريج ومعمر عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ .
قال : سمعت محمداً يقول : حديث أبي صالح عن معاوية عن النبي ﷺ في هذا أصح من حديث أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ ، وإنما كان هذا في أول الأمر ثم نسخ بعد .
هكذا روى محمد بن إسحاق عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ قال : « إن من شرب الخمر فاجلدوه ، فإن عاد في الرابعة فاقتلوه » ، قال : ثم أتي النبي ﷺ بعد ذلك برجل قد شرب الخمر في الرابعة فضربه ولم يقتله .
وكذلك روى الزهري عن قبيصة بن ذؤيب عن النبي ﷺ نحو هذا ، قال : فرفع القتل وكانت رخصة ، والعمل على هذا الحديث عند عامة أهل العلم لا نعلم بينهم اختلافًا في ذلك في القديم والحديث ، ومما يقوي هذا ما روي عن النبي ﷺ من أوجه كثيرة أنه قال : « لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله ، وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث : النفس بالنفس ، والثيب الزاني ، والتارك لدينه » .

وقد ورد إطلاق الإله على الهوى المتَّبع ، قال تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ ﴾ [الجاثية:٢٣] وقال الحسن : هو الذي لا يهوى شيئًا [ق/٥ب] إلا ركبه . وقال قتادة : هو الذي كلما هوى شيئًا ركبه ، وكلما اشتهى شيئًا أتاه لا يحجزُه عن ذلك ورعٌ ولا تقوى .

ورُوِيَ من حديث أبي أمامة مرفوعًا بإسناد ضعيف : « ما تحت ظل السماء إلهٌ يعبد أعظم عند الله من هوى متَّبع »[1] .

وفي حديث آخر : « لا تزال لا إله إلا الله تدفع عن أصحابها حتى يؤثروا دنياهم على دينهم ، فإذا فعلوا ذلك رُدَّت عليهم ، وقيل لهم : كذبتم »[2] .

---

(١) أخرجه ابن عدي (٢/ ٣٠١) ، (٣/ ٦٩) والطبراني في الكبير (٨/ ٧٥٠٢)، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ١١٨) من طريق الحسن بن دينار عن الخصيب بن جحدر عن راشد بن سعد عن أبي أمامة .
قال ابن عدي (٢ / ٣٠١) : وهذا إن كان البلاء فيه من الحسن ، وإلا من الخصيب ابن جحدر، ولعله أضعف منه .
وقال ابن عدي (٣ / ٦٩) : وللخصيب أحاديث غير ما ذكرته ، وأحاديثه قلما يتابعه أحد عليها ، وربما روى عنه ضعيف مثله مثل عباد بن كثير والحسن بن دينار، كما ذكرته ، فلعل البلاء منهم لا منه .
وقال الهيثمي في المجمع (١/ ١٩٣) : رواه الطبراني في الكبير ، وفيه الحسن بن دينار ، وهو متروك الحديث .

(٢) أخرجه أبو يعلى (٤٠٣٤) من حديث أنس .
وسئل أبو حاتم الرازي عنه كما في العلل لابنه برقم (١٨٥٧) فقال : هذا خطأ ، إنما هو أبو سهيل عن مالك بن أنس عن النبي ﷺ مرسل .
وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ٢٧٧): رواه البزار وإسناده حسن. قلت : وليس كما قال.
وأخرجه العقيلي في الضعفاء (٢/ ٢٩٧) من حديث أبي هريرة ، وفي إسناده : عبد الله بن محمد بن عجلان ، قال عنه العقيلي : منكر الحديث ، لا يتابع على هذين الحديثين . وذكر هذا الحديث وآخر .
وأورده الهيثمي في المجمع (٧/ ٢٧٧) وقال : رواه البزار ، وفيه : عبد الله بن محمد ابن عجلان ، وهو ضعيف جداً . اهـ .
وللحديث روايات أخرى كلها ضعيفة .

ويشهد لذلك الحديث الصحيح عن النبي ﷺ : « **تعس عبد الدينار ، تعس عبد الدرهم ، تعس عبد القطيفة ، تعس عبد الخميصة ، تعس وانتكس ، وإذا شيك فلا انتقش** »[1] .

فدل هذا على أن كل من أحب شيئًا وأطاعه ، وكان غاية قصده ومطلوبه ، ووالى لأجله ، وعادى لأجله ؛ فهو عبده ، وذلك الشيء معبوده وإلهه .

***

(١) أخرجه البخاري (٢٨٨٦) .

طاعة الشيطان
تقدح في توحيد الرحمن

ويدل عليه أيضًا أن الله ـ تعالى ـ سمَّى طاعة الشيطان في معصية عبادةً للشيطان ، كما قال تعالى : ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ﴾ [يس: ٦٠] .

وقال حاكيًا عن خليله إبراهيم أنه قال لأبيه : ﴿يَا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴾ [مريم: ٤٤] .

فمن لم يحقق عبودية الرحمن وطاعته فإنه يعبد الشيطان بطاعته له ، ولم يخلُص من عبادة الشيطان إلا من أخلص [ق/١٦] عبودية الرحمن ، وهم الذين قال فيهم : ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾ [الحجر: ٤٢] .

فهم الذين (حققوا) (*) قول : « لا إله إلا الله » وأخلصوا في قولها، وصدقوا قولهم بفعلهم ، فلم يلتفتوا إلى غير الله ، محبةً ورجاءً وخشية وطاعة وتوكلا ، وهم الذين صدقوا في قول : « لا إله إلا الله » وهم عباد الله حقًّا .

فأما من قال : « لا إله إلا الله » بلسانه ثم أطاع الشيطان ، وهواه في معصية الله ومخالفته فقد كذب فعلُهُ قولَهُ ، ونقص من كمال توحيده بقدر معصية الله في طاعة الشيطان والهوى ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ﴾ [القصص: ٥٠] ﴿ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص: ٢٦] .

فيا هذا كن عبد الله لا عبد الهوى ، فإن الهوى يهوي بصاحبه في النار : ﴿أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ [يوسف: ٣٩] «تعس عبد الدرهم ، تعس عبد الدينار » والله ما ينجو غدًا من عذاب الله إلا من حقق عبودية الله

(*) حفظوا : « نسخة » .

وحده، ولم يلتفت معه إلى شيء من الأغيار » .

من علم أن إلهه ومعبوده فرد ، فليُفرده بالعبودية ﴿ وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠] .

كان بعض العارفين يتكلم على أصحابه على رأس جبل ، فقال في كلامه: لا ينال أحد مراده حتى ينفرد فرداً بفرد ، فانزعج واضطرب ، حتى رأى أصحابه أن الصخور قد تدكدكت ، وبقي على ذلك ساعات ، فلما أفاق فكأنه نُشر من قبر .

قوله : « لا إله إلا الله » يقتضي أن لا يحب سواه ، فإن الإله [ق/٦ب] هو الذي يطاع ، محبةً وخوفًا ورجاءً ، ومن تمام محبته محبةُ ما يحبه وكراهية ما يكرهه ، فمن أحب شيئًا مما يكره الله ، أو كره شيئًا مما يحبه الله لم يكمل توحيده ولا صدقه في قول : لا إله إلا الله ، وكان فيه من الشرك الخفي بحسب ما كرهه مما يحبه الله ، وما أحبه مما يكرهه الله . قال تعالى : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾ [محمد: ٢٨] .



دلالة محبة الله عز وجل

قال الليث ، عن مجاهد في قوله تعالى : ﴿ لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴾ [النور: ٥٥] قال : لا تحبوا غيري .

وفي صحيح الحاكم [(١)] عن عائشة عن النبي ﷺ قال : « **الشرك أخفى من دبيب الذرِّ على الصفا في الليلة الظلماء ، وأدناه أن تحب على شيء من الجور ، أو تبغض على شيء من العدل ، وهل الدين إلا الحب والبغض ؟** » .

قال الله عز وجل : ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ** ﴾ [آل عمران: ٣١] .

وهذا نص في أن محبة ما يكرهه الله وبغض ما يحبه متابعة للهوى ، والموالاة على ذلك والمعاداة عليه من الشرك الخفي .

وقال الحسن : اعلمْ أنك لن تحب الله حتى تحب طاعته !

وسئل ذو النون : متى أحبّ ربي ؟ قال : إذا كان ما يبغضه عندك أمرَّ من الصبر .

وقال بشر بن السري : ليس من أعلام الحب أن تحب ما يبغضه حبيبك .

وقال أبو يعقوب النَّهْرجَوري : كل من ادعى محبة الله [ق/١٧] ولم يوافق الله في أمره فدعواه باطلة .

وقال يحيى بن معاذ : ليس بصادقٍ من ادعى محبة الله ولم يحفظ حدوده .

وقال رويم : المحبة : الموافقة في جميع الأحوال . وأنشد :

وَلَوْ قُلْتَ لي مُتْ متُّ سمعًا وطَاعَةً
وَقلت لِدَاعي المَوْتِ أهلا ومَرْحبًا

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه (٢/ ٢٩١) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم =

ويشهد لهذا المعنى أيضًا قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٣١] .

قال الحسن : قال أصحاب النبي ﷺ : يا رسول ، الله إنا نحب ربنا حبًّا شديدًا ؛ فأحبَّ الله أن يجعل لحبه علمًا . فأنزل الله ـ تعالى ـ هذه الآية .

ومن هنا يُعلم أنه لا تتم شهادة أن لا إله إلا الله إلا بشهادة أن محمدًا رسول الله ؛ فإنه إذا علم أنه لا تتم محبة الله إلا بمحبة ما يحبه وكراهة ما يكرهه . ولا طريق إلى معرفة ما يحبه وما يكرهه إلا من جهة محمد المبلّغ عن الله ما يحبه وما يكرهه ، فصارت محبة الله مستلزمة لمحبة رسوله وتصديقه ومتابعته .

ولهذا قرن الله بين محبته ومحبة رسوله في قوله : ﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ ...﴾ إلى قوله : ﴿ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ [التوبة: ٢٤] كما قرن بين طاعته وطاعة رسوله في مواضع كثيرة.

وقال ﷺ : « ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء [ق/٧ب] لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يرجع إلى الكفر بعد إذ أنقذه الله منه ، كما يكره أن يلقى في النار »[(١)] .

* * *

= يخرجاه . وتعقبه الذهبي في التلخيص قائلا : عبد الأعلى ، قال الدارقطني : ليس بثقة .

(١) أخرجه البخاري (١٦) ، ومسلم (٤٣) من حديث أنس .

تلازم الظاهر والباطن

هذا حال السحرة لما سكنت المحبة قلوبهم ، سمحوا ببذل نفوسهم، قالوا لفرعون : « اقض ما أنت قاض » ومتى تمكنت المحبة في القلب لم تنبعث الجوارح إلا إلى طاعة الرب .

وهذا هو معنى الحديث الإلهي الذي خرَّجه البخاري في « صحيحه » [1] وفيه: « ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه ؛ فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها » . وفي بعض الروايات : « فبي يسمع ، وبي يبصر وبي يبطش ، وبي يمشي».

والمعنى أن محبة الله إذا استغرق بها القلب واستولت عليه لم تنبعث الجوارح إلا إلى مراضي الرب ، وصارت النفس حينئذ مطمئنة ، ففنيت بإرادة مولاها عن مرادها وهواها .

يا هذا ، اعبد الله لمراده منك لا لمرادك منه ، فمن عبده لمراده منه فهو ممن يعبد الله على حرف ، إن أصابه خير اطمأن به ، وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ، ومتى قويت المعرفة والمحبة لم يُرد صاحبها إلا ما يريده مولاه .

وفي بعض الكتب السالفة : من أحب الله لم يكن شيءٌ عنده آثر من رضاه ، ومن أحبَّ الدنيا لم يكن شيء عنده آثر من هوى [ق/ ١٨] نفسه.

وروى ابن أبي الدنيا بإسناده عن الحسن قال : (ما نظرت) (*) ببصري، ولا نَطَقْتُ بلساني، ولا بَطَشْتُ بيدي، ولا نَهَضْتُ على قدمي ، حتى أنظر على طاعة

(١) برقم (٦٥٠٢) من حديث أبي هريرة .

(*) ما ضربت : « نسخة » .

أو معصية ، فإن كانت طاعة تقدمتُ ، وإن كانت معصية تأخرت .

هذا حال خَوَاصّ المحبين الصادقين ، فافهموا ـ رحمكم الله ـ هذا ، فإنه من دقائق أسرار التوحيد الغامضة . وإلى هذا أشار ﷺ في خطبته لما قدم المدينة حيث قال : « أحبوا الله من كل قلوبكم » وقد ذكرها ابن إسحاق [١] وغيره .

فإن من امتلأ قلبه من محبة الله لم يكن فيه فراغ لشيء من إرادات النفس والهوى ، وإلى ذلك أشار القائل بقوله :

أروح وقد ختمت على فؤادي	بحبِّك أن يَحُلَّ به سواكا
فلو أني استطعت غضضت طَرْفي	فلم أنْظُر به حتى أراكا
أحبك لا ببعضي بل بكلِّي	وإن لم يُبق حُبُّك لي حِراكا
وفي الأحباب مخصوص بوجدٍ	وآخر يدَّعي معه اشتراكا
إذا اشتبكت دموعٌ في خدودٍ	تبيَّن من بكى ممن تباكى
فأما من بكى فيذوبُ وجدًا	وينطقُ بالهوى من قد تشاكى

متى بقي للمحب من نفسه حظ ، فما بيده من المحبة إلا الدعوى ، إنما المحب من يفنى عن نفسه كله، ويبقى بحبيبه ، «فبي يسمع ، وبي يبصر».

القلب بيت الرب :

وفي الإسرائيليات يقول [ق/ ٨ب] الله : « ما وسعني سمواتي ولا أرضي ، ولكن وسعني قلبُ عبدي المؤمن »[٢]. فمتى كان القلب فيه غير الله ، فالله أغنى الأغنياء عن الشرك ،وهو لا يرضى بمزاحمة أصنام الهوى.

الحق ـ تعالى ـ غيور ، يغار على عبده المؤمن من أن يسكن في قلبه سواه ،

---

(١) أخرج ذلك البيهقي في الدلائل (٢/ ٥٢٤ ـ ٥٢٥) من طريق ابن إسحاق ، وذكر ذلك ابن هشام في السيرة (٢/ ١٤٦ ـ ١٤٧) دون إسناد .

(٢) انظر مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (١٨/ ١٢٢) فقد ذكر أن هذا الحديث من الإسرائيليات .

وأن يكون فيه شيء لا يرضاه .

أردناكموا صِرْفًا فلما مَزَجْتُم بعُدْتُم بمقدار التفاتكموا عنَّا
وقلنا لكم لا تُسْكِنُوا غَيْرَنَا فأسْكَنْتُموا الأغيار ما أنتموا مِنَّا

***

النجاة لا تكون إلا لصاحب القلب السليم

لاينجو غداً إلا من لقي الله بقلب سليم، ليس فيه سواه؛ قال الله - تعالى -: ﴿ يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ (٨٨) إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [الشعراء: ٨٨ - ٨٩] .

القلب السليم هو الطاهر من أدناس المخالفات ، فأما المتلطخ بشيء من المكروهات فلا يصلح لمجاورة حضرة (القدوس) (*) إلا بعد أن يطهر في كير العذاب ، فإذا زال منه الخبث صلح حينئذ للمجاورة ، إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا .

فأما القلوب الطيبة فتصلح للمجاورة من أول الأمر : ﴿ سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ [الزمر: ٧٣] ﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ ﴾ [النحل: ٣٢] .

ومن لم يُحرق اليوم قلبَه بنار الأسف على ما سلف ، أو بنار الشوق إلى لقاء الحبيب ، فنار جهنم له أشد حراً .

ما يحتاج إلى التطهير بنار جهنم إلا من لم يُكمل تحقيق التوحيد والقيام بحقوقه .



(*) القدس : « نسخة » .

احذروا الرياء

أول من تُسعر به النار من الموحدين العباد المراءون [ق/١٩] بأعمالهم؛ أولهم العالم والمجاهد والمتصدق للرياء [(١)] ، لأن يسير الرياء شرك.

ما ينظر المرائي إلى الخلق في عمله إلا لجهله بعظمة الخالق .

المرائي يُزوِّر التواقيع على اسم الملك ليأخذ البراطيل [(٢)] لنفسه ، ويوهم أنه من خاصة الملك ، وهو ما يعرف الملك بالكلية .

نقش المرائي على الدرهم الزائف اسم الملك ليروج ، والبهرج [(٣)] ما يجوز إلا على غير الناقد .

وبعد أهل الرياء يدخل النار أصحاب الشهوات وعبيد الهوى ، الذين أطاعوا هواهم ، وعصوا مولاهم ، فأما عبيد الله حقًّا ، فيقال لهم: ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ [الفجر : ٢٧ ـ ٣٠] .

نار جهنم تنطفئ بنور إيمان الموحدين .

في الحديث : « تقول النار للمؤمن : (جُزْ) [(٤)] ، فقد أطفأ نورك

---

(١) يشير إلى الحديث الذي رواه مسلم برقم (١٩٠٥) من حديث أبي هريرة .

(٢) البراطيل : جمع برطيل بكسر الباء ، وهو الرشوة ، ويقال في المثل : البراطيل تنصر الأباطيل . كأنه مأخوذ من البرطيل الذي هو المعول ؛ لأنه يستخرج به ما استتر . وفتح الباء عاميٌّ ـ المصباح المنير (ص ٤٢) .

(٣) البهرج : مثل جعفر . الرديء من الشيء . . ودرهمٌ بَهْرَجٌ : رديء الفضة . وبُهْرِجَ الشيءُ ـ بالبناء للمفعول ـ : أخذ به على غير الطريق ـ المصباح المنير (ص ٦٤) .

(٤) كذا وقع في الأصول المخطوطة ، وفي جميع النسخ المطبوعة ومصادر التخريج [جُز يا مؤمن] .

لهبي!» [1] .

وفي المسند [2] عن جابر عن النبي ﷺ : « لا يبقى (برٌّ) (*) ولا فاجرٌ إلا دخلها ، فتكون على المؤمن بردًا وسلامًا ، كما كانت على إبراهيم حتى إن للنار ضجيجًا من بردهم » .

هذا ميراث ورثه المحبون من حال الخليل ـ عليه السلام .

نار المحبة في قلوب المحبين تخاف منها نار جهنم .

قال الجنيد: قالت النار : يا رب [ق/٩ب] لو لم أطعك هل كنت تعذبني بشيء هو أشد مني ؟ قال : نعم كنت أسلط عليك ناري الكبرى. قالت: وهل هناك نار أعظم مني وأشد ؟! قال : نار محبتي أسكنها قلوب أوليائي المؤمنين .

قفا قليلا بها عليَّ فلا	أقلَّ من نظرة أردّدها
ففي فؤاد المحبِّ نارُ جويً	أحرُّ نار الجحيم أبردُها
لولا دموع المحبين تطفئ بعض	حرارة الوجد لاحترقوا كمدًا
دعوه يطفي بالدموع حرارة	على كبدٍ حرّي دعوه دعُواه
سلوا عاذليه يعذروه هنيهة	فبالعذل دون الشوقِ قد قتلوه

كان بعض العارفين، يقول : أليس عجبًا أن أكون حيًا بين أظهركم ، وفي

(١) أخرجه ابن عدي في الكامل (٦/ ٣٩٤) ، والطبراني في الكبير (٢٢/ ٦٦٨) ، وأبو نعيم في الحلية (٩/ ٣٢٩) ، والخطيب في تاريخ بغداد (٩/ ٢٣٢) من طرق عن بشير بن طلحة عن خالد بن دريك عن يعلي بن منية مرفوعًا .
قلت : وهذا الطريق فيه علتان ، إحداهما : ضعف بشير بن طلحة ، والثانية : الانقطاع بين خالد بن دريك ويعلي بن منية .
وقد أخرجه البيهقي في الشعب (٤٦٩ ـ سلفية) من طريق سليم بن منصور بن عمار حدثني أبي عن الهقل بن زياد عن خالد بن دريك عن بشير ، وهو منكر .
قلت: وقد حدث قلب في هذا السند ؛ لأن خالدًا شيخ بشير لا تلميذه .

(٢) (٣/ ٣٢٨ ، ٣٢٩) .

(*) مؤمن : « نسخة » .

قلبي من الاشتياق إلى ربي مثل شُعَلِ النار التي لا تنطفئ ؟!

ولم أرَ مِثْل نارِ (المحبين)(*) ناراً   تزيدُ بِبُعْد موقِدِها اتِّقادًا

ما للعارفين شغل بغير مولاهم ، ولا همّ في غيره .

وفي الحديث : « من أصبح وهمه غير الله فليس من الله » [1] .

قال بعضهم : من أخبرك أن الله وليه [و] [2] همه في غيره فلا تصدقه .

وكان داود الطائي يقول في الليل : همك عطّل عليّ الهموم ، وحال بيني وبين السهاد ، وشوقي إلى النظر إليك أوبق مني اللذات ، وحال بيني وبين الشهوات ، فأنا في سجنك أيها الكريم مطلوب.

ما لي شُغْلٌ سواه ما لي شُغلُ   ما يصرفُ قلبي عن هواه عذل

ما أصنع إن جفَا وخَابَ الأملُ   مني بَدلٌ ومنه مالي بَدَلُ

[ق/١٠ب] إخواني : إذا فهمتم هذا المعنى فهمتم معنى قول النبي ﷺ : «من شهد أن لا إله إلا الله (صدقًا) (**) من قلبه حرّمه الله على النار» [3] .

❋ ❋ ❋

(*) الحب : « نسخة » .

(١) أخرجه بهذا اللفظ ابن بشران في « الأمالي » (٧/ ١/١٠٥) ، (ج١٩/ ٣/ ٢) كما في الضعيفة للألباني برقم (٣١١) ، والحاكم (٤/ ٣٢٠) من طريق إسحاق بن بشر ، ثنا مقاتل بن سليمان عن حماد عن إبراهيم عن عبد الرحمن بن يزيد عن ابن مسعود مرفوعًا .

ونقل العلامة الألباني ـ رحمه الله ـ قول ابن بشران : « هذا حديث غريب ، تفرد به إسحاق بن بشر » وقال الذهبي في « التلخيص » : « إسحاق ومقاتل ليسا بثقتين ولا صادقين » .

وحكم عليه العلامة الألباني بالوضع ؛ فراجعه في الضعيفة برقم (٣١١) .

(٢) سقطت من الناسخ ، وبها يستقيم المعنى .

(**) خالصًا : « نسخة » .

(٣) أخرجه البخاري (١٢٨) .

من صدق في قول
لا إله إلا الله نجا من كربات يوم القيامة

فأما من دخل النار من أهل الكلمة ، فلقلة صدقه في قولها ، فإن هذه الكلمة إذا صدقت في قولها طهَّرت القلب من كل ما سوى الله ، ومتى بقي في القلب أثر (لما سوى) (*) الله ، فمن قلة (صدقه) (**) في قولها.

من صَدَق في قوله : لا إله إلا الله ، لم يحبّ سواه ، ولم يرج إلا إياه ، ولم يخش أحداً إلا الله ، ولم يتوكل إلا على الله ، ولم يبق له بقية من آثار نفسه وهواه .

ومع هذا فلا تظنوا أن المراد أن المحب مطالب بالعصمة ، وإنما هو مطالب كلما زَلَّ أن يتلافى تلك الوصمة .

قال زيد بن أسلم : إن الله ليحبُّ العبد حتى يبلغ من حبه له أن يقول: اذهب فاعمل ما شئت فقد غفرت لك .

وقال الشعبي : إذا أحب الله عبداً لم يضره (ذنب) (***) .

وتفسير هذا الكلام أن الله عزَّ وجل له عناية بمن يحبه من عباده ، فكلما زلق ذلك العبد في هوة الهوى أخذ بيده إلى نجوة النجاة ، ييسر له أسباب التوبة ، وينبهه على قبح الزلة ، فيفزع إلى الاعتذار ، ويبتليه [ق/١٠ب] بمصائب مكفّرة لما جنى .

وفي بعض الآثار : يقول الله : « **أهل ذكري أهل مجالستي ، وأهل طاعتي**

(*) لسوى : « نسخة » .

(**) الصدق : « نسخة » .

(***) ذنبه : « نسخة » .

أهل كرامتي ، وأهل مصيبتي لا أؤيسهم من رحمتي ، إن تابوا فأنا حبيبهم ، وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم ، أبتليهم بالمصائب لأطهرهم من المعائب » .

وفي « صحيح مسلم » (1) عن جابر عن النبي ﷺ قال : « الحمى تذهب الخطايا كما يذهب الكير الخبث » .

وفي « المسند » (2) و« صحيح ابن حبان » (3) عن عبد الله بن مغفل « أن رجلا لقي امرأة كانت بَغِيًّا في الجاهلية ، فجعل يلاعبها حتى بسط يده إليها ، فقالت : مه (4) فإن الله أذهب الشرك وجاء بالإسلام ! فتركها وولَّى ، فجعل يلتفت خلفه وينظر إليها حتى أصاب وجهه حائطًا ، فأتى النبيَّ - ﷺ - والدم يسيل على وجهه، فأخبره بالأمر فقال ﷺ : «أنت عبد أراد الله بك خيراً » . ثم قال : «إن الله إذا أراد بعبد خيراً عجَّل عقوبته في الدنيا ، وإذا أراد بعبد شراً أمسك ذنبه حتى يوافى يوم القِيامة » .

يا قوم ، قلوبكم على أصل الطهارة ، وإنما أصابها رشاش من نجاسة الذنوب، فرشوا عليها قليلا من (ماء) (*) العيون ، وقد طهرت .

اعزموا على فطام النفوس عن رضاع الهوى ، فالحِمية رأس الدواء .

متى طالبتكم بمألوفاتها ، فقولوا لها كما قالت تلك المرأة لذلك الرجل ، الذي [ق/111] دمي وجهه : قد أذهب الله الشرك وجاء بالإسلام ، والإسلام يقتضي الاستسلام والانقياد للطاعة .

ذكِّروها مدحةَ ﴿ إنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ [فصلت: ٣٠] لعلها تَحِنَّ إلى الاستقامة .

---

(1) برقم (٢٥٧٥) .

(2) (٤/ ٨٧) .

(3) برقم (٢٩١١ ـ إحسان) .

وقال الهيثمي في المجمع (١٠/ ١٩١) : ورجال أحمد رجال الصحيح .

(4) اسكت واكفف .

(*) دمع : « نسخة » .

عرّفوها اطلاع من هو أقرب إليها من حبل الوريد ، لعلها تستحي من قربه ونظره : ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ﴾[العلق: ١٤]﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾ [الفجر: ١٤].

راود رجل امرأة في فلاة ليلا فأبت ، فقال لها :ما يرانا إلا الكواكب، قالت: فأين مُكَوْكِبُها ؟!

أكره رجلٌ امرأة على نفسها ، وأمرها بغلق الأبواب ففعلت ، فقال لها : هل بقي باب لم تغلقيه ؟ قالت : نعم ، الباب الذي بيننا وبين الله ! فلم يتعرض لها .

رأى بعض العارفين رجلا يكلم امرأة ، فقال : إن الله يراكما ، سترنا الله وإياكما !.

سُئِل الجنيد : بم يستعان على غض البصر ؟ قال : بعلمك أن نظر الله إليك أسبقُ من نظرك إلى ما تنظر .

وقال المحاسبي : المراقبة : علم القلب بقرب الرب .

كلما قويت المعرفة بالله قوي الحياء من قربه ونظره .

وصّى النبي ﷺ رجلا أن يستحي من الله كما يستحي من رجل صالح من عشيرته لا يفارقه [1] .

---

(١) أخرجه أبوبكر الإسماعيلي كما ذكر ابن كثير في تفسيره (٤/ ٣٠٥) من حديث نصر ابن خزيمة بن جنادة بن علقمة حدثني أبي عن نصر بن علقمة ، عن أخيه ، عن عبد الرحمن بن عائذ قال : قال عمر : « جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : زودني حكمة أعيش بها . فقال : استح الله كما تستحي رجلا من صالح عشيرتك لا يفارقك » .
قال ابن كثير : هذا حديث غريب .
وأخرجه ابن عدي (٢/ ١٣٦) ، (٤/ ٩٠) من حديث أبي أمامة قال : قال رسول الله ﷺ : « استحي الله استحياءك من رجلين من صالحي عشيرتك » .
وفي إسناده جعفر بن الزبير (وصفدي) بن سنان ، قال ابن عدي : ولجعفر بن الزبير هذا أحاديث غير ما ذكرت عن القاسم ، وعامتها مما لا يتابع عليه ، والضعف على حديثه بيِّن . =

. . . .

= وقال عن الرواية الأخرى (٤/ ٩٠) : وهذا يرويه الليث ، عن يزيد بن أبي حبيب، عن أبي الخير ، عن سعيد بن زيد عن النبي ﷺ وأتى به (صفدي)(*) عن جعفر بن القاسم ، عن أبي أمامة ، ولعل البلاء فيه من جعفر لا من صفدي ، فإن صفدي خير من جعفر بن الزبير ، ولصفدي غير ما ذكرت من الحديث يتبين على حديثه ضعفه .

قلت : وحديث سعيد بن يزيد أخرجه أحمد في الزهد (ص ٥٩) والطبراني في الكبير (٦/ ٥٥٣٩) ومحمد بن نصر المروزي في تعظيم قدر الصلاة (٨٢٧) .

قال الهيثمي في المجمع (١٠ / ٢٨٤) : ورجاله وثقوا على ضعف في بعضهم .

وأخرجه البيهقي في الشعب (٧٧٣٨) من طريق ليث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير سمع سعيد بن زيد « أن رجلا قال للنبي ﷺ أوصني . . » فذكره.

قال البيهقي : كذا قال : سعيد بن زيد ، وقال غيره : سعيد بن يزيد بن أبي حبيب عن سعيد بن يزيد الأزدي عن ابن عم له قال : « قلت : يا رسول الله . . . » فذكره، وروي هذا عن جعفر بن الزبير ـ وهو ضعيف ـ عن القاسم عن أبي أمامة عن النبي ﷺ .

وسئل الدارقطني في العلل (٤/ ٤٢١ ـ ٤٢٢) برقم [٦٦٩] عن هذا الحديث فقال : حدث به يزيد بن أبي حبيب واختلف عنه ، فرواه الليث بن سعد عن يزيد عن أبي الخير عن سعيد بن زيد أو سعد بن زيد عن النبي ﷺ .

وخالفه عبد الحميد بن جعفر فرواه عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير عن سعيد بن زيد عن ابن عم له قال : « قلت : يا رسول الله أوصني . . . » الحديث .

وقول عبد الحميد بن جعفر أشبه .

وذكر الحديث ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٤/ ٧٢) : وقال : وليس بمحفوظ. ثم ذكر الخلاف في السند .

وذكر في المراسيل (ص ٦٨) أن سعيد بن يزيد ليست له صحبة.

وأخرجه البيهقي في الشعب (٧٧٣٩) من طريق المعارك بن عباد البصري عن أبي عباد عن جده أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة مرفوعًا بلفظ مختلف ، وقال البيهقي : إسناده ضعيف ، وله شاهد ضعيف .

وقال المناوي في فيض القدير (٥/ ٣٥) : فيه ضعفاء منهم : معارك بن عباد ، أورده الذهبي في الضعفاء وقال : ضعفه الدراقطني وغيره .

وللحديث شاهد أخرجه البزار (١٩٧٢ ـ كشف) من حديث معاذ ، وفي إسناده : سعيد بن كثير وابن لهيعة وهما ضعيفان .

(*) تصحف في الكامل إلى « صغدي » بالغين المعجمة ، والصواب : صفدي ـ بالفاء .

قال بعضهم : استح من الله على قدر قربه منك ، وخف الله على قدر قدرته عليك .

[ق/١١ب] كان بعضهم يقول لي منذ أربعين سنة ما خطوت خطوة لغير الله، ولا نظرت إلى شيء أستحسنه حياءً من الله - عزّ وجل - :

كأنَّ رقيبًا منك يرعى خواطري   وآخر يرعى ناظري ولساني
فما أبصرت عيناي بعدك منظرًا   لغيرك إلا قلتُ قد رَمَقاني
ولا بدرت من فِيٍّ بعدك لفظة   لغيرك إلا قلتُ قد سمعاني
ولا خطرت من ذكر غيرك خطرة   على القلب إلا عرَّجا بعناني

❋ ❋ ❋

فصل
فضائل كلمة التوحيد

وكلمة التوحيد لها فضائل عظيمة لا يمكن ها هنا استقصاؤها ؛ فلنذكر بعض ما ورد فيها .

فهي كلمة التقوى ، كما قاله عمر [1] وغيره من الصحابة .

وهي كلمة الإخلاص ، وشهادة الحق ، ودعوة الحق ، وبراءة من الشرك، ونجاة هذا الأمر ، ولأجلها خُلق الخلق .

كما قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦].

ولأجلها أرسلت الرسل وأنزلت الكتب ، قال تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥] وقال تعالى : ﴿يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاتَّقُونِ ﴾ [النحل: ٢] .

وهذه الآية أول ما عدَّد الله على عباده من النعم في سورة النعم التي تسمى «سورة النحل » .

ولهذا قال ابن عيينة : ما أنعم الله على العباد نعمة أعظم من أن عرَّفهم لا إله إلا الله ، وإن لا إله إلا الله لأهل [ق/١١٢] الجنة كالماء البارد لأهل الدنيا ، ولأجلها

---

(١) أخرج أحمد في مسنده (١ / ٦٣) من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ثم إني لأعلم كلمة لا يقولها عبد حقًا من قلبه إلا حرم على النار » . فقال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أنا أحدثك ما هي كلمة الإخلاص التي أعز الله تبارك وتعالى بها محمداً ﷺ ، وهي كلمة التقوى ... » الحديث .

أعدت دارُ الثواب ودار العقاب في الآخرة .

فمن قالها ومات عليها كان من أهل دار الثواب ، ومن ردها كان من أهل العقاب .

ومن أجلها أُمرت الرسل بالجهاد ، فمن قالها عصم ماله ودمه ، ومن أباها فماله ودمه (هدر) (*) .

وهي مفتاح دعوة الرسل ، وبها كلم الله موسى كفاحًا [1] .

وفي « مسند البزار » [2] وغيره عن عياض الأنصاري عن النبي ﷺ قال: «**إن لا إله إلا الله كلمة حقٍّ على الله كريمة ، ولها من الله مكان ، وهي كلمة جُمعت وشُرِكَتْ ؛ فمن قالها صادقًا أدخله الله الجنة ، ومن قالها كاذبًا أحرزت ماله ، وحقنت دمه ، ولقي الله فحاسبه** » .

وهي مفتاح الجنة كما تقدم .

وهي ثمن الجنة ؛ قاله الحسن .

وجاء مرفوعًا من وجوهٍ ضعيفة [3] : «**ومن كانت آخر كلامه دخل الجنة**»[4] .

وهي نجاة من النار :

(*) حلال : « نسخة » .

(1) أي مواجهة ليس بينهما حجاب ولا رسول . النهاية (٤ / ١٨٥) .

(2) أورده الهيثمي في المجمع (١ / ٢٦) وقال : رواه البزار ورجاله موثقون ، إن كان تابعيه عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود .

(3) منه ما أخرجه ابن عدي (٦/ ٣٤٨) من حديث أنس .
وفي إسناده : موسى بن إبراهيم قال عنه ابن عدي : حدث بالمناكير عن قوم ثقات أو من لا بأس بهم . ثم ذكر له عدة روايات ثم قال : ولموسى بن إبراهيم هذا أحاديث غير ما ذكرت عن ثقات الناس ، وهو بيِّن الضعف على رواياته وحديثه .

(4) أخرجه أحمد (٥/ ٢٣٣ ، ٢٤٧) بلفظ : « من كان آخر كلامه لا إله إلا الله وجبت له الجنة » . وأبو داود (٣١١٦) بلفظ : « دخل الجنة » . والحاكم (١/ ٣٥١، ٥٠٠) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

وسمع النبي ﷺ مؤذنًا يقول : أشهد أن لا إله إلا الله ، فقال : «خرج من النار » خرجه مسلم [1] .

وهي توجب المغفرة :

في «المسند » [2] عن شداد بن أوس وعبادة بن الصامت أن النبي ﷺ قال لأصحابه يومًا : **ارفعوا أيديكم وقولوا : لا إله إلا الله . فرفعنا أيدينا ساعة، ثم** وضع رسول الله ﷺ يده ، ثم قال : **الحمد لله ، اللهم بعثتني بهذه الكلمة وأمرتني بها ، ووعدتني الجنة عليها ، وأنك لا تخلف الميعاد** . ثم قال : **أبشروا ، فإن الله** [ق/١٢ب] **قد غفر لكم** » .

وهي أحسن الحسنات :

قال أبو ذر : « قلت يا رسول الله ، علمني عملا يقربني من الجنة ، ويباعدني من النار ، قال : « **إذا عملت سيئة فاعمل حسنة ، فإنها عشر أمثالها** . قلت : يا رسول الله ، لا إله إلا الله من الحسنات ؟ قال : **هي أحسن الحسنات**» [3] .

---

(١) برقم (٣٨٢) ولفظه : « **خرجت من النار** » .

(٢) (٤/ ١٢٤) .

وأخرجه البزار في مسنده (٢٧١٧ ـ البحر الزخار) وكما في كشف الأستار (١٠) ، والطبراني في الكبير (٧/ ٧١٦٣) ، والحاكم في المستدرك (١/ ٥٠١) .

قال البزار : وهذا لا نعلمه يروى إلا بهذا الإسناد .

وقال الحاكم : حال إسماعيل بن عياش يقرب من الحديث قبل هذا، فإنه أحد أئمة الشام ، وقد نسب إلى سوء الحفظ ، وأنا على شرطي في أمثاله .

وقال الذهبي في التلخيص : راشد ضعفه الدارقطني وغيره ، ووثقه دحيم .

وقال الهيثمي في المجمع (١/ ٢٤) : رواه أحمد والطبراني والبزار ، ورجاله موثقون.

وقال أيضًا في (١٠/ ٨٤) : رواه أحمد وفيه راشد بن داود وقد وثقه غير واحد وفيه ضعف ، وبقية رجاله ثقات .

(٣) أخرجه أحمد (٥/ ١٦٩) .

وقال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٨٤) : رواه أحمد ورجاله ثقات ، إلا أن شمر بن =

وهي تمحو الذنوب والخطايا :

وفي « سنن ابن ماجه »[1] عن أم هانئ بنت أبي طالب عن النبي ﷺ قال : « **لا إله إلا الله لا تترك ذنبًا ، ولا يسبقها عملٌ** » .

رؤي بعض السلف بعد موته في المنام ، فسئل عن حاله ، فقال : ما أبقت لا إله إلا الله شيئًا .

وهي تجدد ما دُرِسَ من الإيمان في القلب :

وفي « المسند »[2] « أن النبي ﷺ قال لأصحابه : **جَدِّدوا إيمانكم** . قالوا: كيف نجدد إيماننا ؟! قال : **قولوا : لا إله إلا الله** » .

وهي التي لا يعدلها شيء في الوزن ، فلو وزنت بالسموات والأرض رجحت بهن .

كما في « المسند »[3] عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ : « **أن نوحًا قال**

= عطية حدّث به عن أشياخه عن أبي ذر ، ولم يسم أحدًا منهم .

(١) برقم (٣٧٩٧) . قال في الزوائد : في إسناده زكريا بن منظور ، وهو ضعيف.

(٢) (٢/ ٣٥٩) ، وأخرجه ابن عدي (٤/ ٧٧) ، والحاكم (٤/ ٢٥٦) من طريق صدقة بن موسى ثنا محمد بن واسع عن سُمَيْرِ بن نهار عن أبي هريرة مرفوعًا.
وفي إسناده صدقة بن موسى قال عنه ابن عدي : وبعض أحاديث مما يتابع عليه ، وبعضه مما لا يتابع عليه .
وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وتعقبه الذهبي بأن صدقة ضعفوه.
وقال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٨٥) : رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد ثقات.

(٣) (٢/ ١٧٠ ، ٢٢٥) ، وأخرجه الحاكم (١/ ٤٩) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه للصقعب بن زهير ، فإنه ثقة قليل الحديث .
وقال الذهبي : صحيح الإسناد والصقعب ثقة ، ورواه ابن عجلان عن زيد بن أسلم مرسلا .
وأورده الهيثمي (٤/ ٢١٩ ـ ٢٢٠) مطولا في كتاب الوصايا وقال : ورجال أحمد ثقات.

لابنه عند موته : آمُرُك بلا إله إلا الله ، فإن السموات السبع والأرضين السبع لو وضعت في كفة ، ووضعت لا إله إلا الله في كفة ، رجحت بهن لا إله إلا الله ، ولو أن السموات السبع والأرضين السبع كن حلقة مبهمة قَصَمْتهنَّ لا إله إلا الله » .

وفيه أيضًا عن عبد الله بن عمرو [1] عن النبي ﷺ : « أن موسى ـ عليه السلام ـ قال : يا رب ، علمني شيئًا أذكرك به وأدعوك به . قال : يا موسى ، قل : لا إله إلا الله ، [ق/١١٣] قال : يا رب ! ، كل عبادك يقولون هذا . ! قال : قل : لا إله إلا الله أنت . فقال : لا إله إلا أنت ، إنما أريد شيئًا تخصني به . قال : يا موسى ، لو أن السموات السبع وعامرهن غيري والأرضين السبع في كفة ، ولا إله إلا الله في كفة، مالت بهن لا إله إلا الله » [2] .

ولذلك ترجح بصحائف الذنوب :

كما في حديث السجلات والبطاقة ، وقد خرَّجه أحمد [3] والنسائي [4]

---

(١) كذا وقع في نسختنا الخطية عزو الحديث إلى المسند وإلى عبد الله بن عمرو .
قال العلامة الألباني ـ رحمه الله ـ : إن العزو للمسند خطأ كما أن عزوه إلى حديث عبد الله بن عمرو خطأ ، وإنما هو من حديث أبي سعيد الخدري . ا هـ .

(٢) أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة (٨٣٤ ، ١١٤١) ، وأبو يعلى (١٣٩٣)، وابن حبان (٦٢١٨ ـ إحسان) ، والحاكم في « المستدرك » (١/ ٥٢٨ ـ ٥٢٩) وأبو نعيم في الحلية (٨/ ٣٢٧ ـ ٣٢٨) من طرق عن عبد الله بن وهب قال : أخبرني عمرو بن الحارث أن دراجًا أبا السمح حدثه عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري مرفوعًا .
قال أبو نعيم :غريب من حديث عمرو لم يروه عنه إلا ابن وهب .
وقال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٨٢) : ورجاله قد وثقوا ، وفيهم ضعف .
وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .
قلت : وليس كما قال ، لأن في رواية دراج عن أبي الهيثم ضعف كما ذكر العلماء.

(٣) (٢/ ٢١٣ ، ٢٢١ ـ ٢٢٢) .

(٤) لم أجده في سنن النسائي ولا في تحفة الأشراف وهو من رواية أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو ، وهو في سنن ابن ماجه (٤٣٠٠) ، وفي مستدرك الحاكم (١/ ٦، ٥٢٩) وقال الحاكم : هذا حديث صحيح لم يخرج في الصحيحين ، وهو صحيح على شرط مسلم .

والترمذي [1] أيضًا من حديث عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ .

وهي التي تخرق الحجب كلها حتى تصل إلى الله عز وجل .

وفي « الترمذي » [2] عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال : **«لا إله إلا الله ليس لها دون الله حجاب ، حتى تصل إليه »** .

وفيه أيضًا [3] عن أبي هريرة عن النبي - ﷺ - : **« ما قال عبدٌ : لا إله إلا الله مخلصًا إلا فتحت له أبواب السماء حتى تُفضي إلى العرش ما اجتُنبت الكبائر »** .

ويُروى عن ابن عباس مرفوعًا : **« ما من شيء إلا بينه وبين الله حجابٌ ، إلا قول : لا إله إلا الله ، كما أن شفيتك لا تحجبها كذلك ، لا يحجبها شيءٌ ، حتى تنتهي إلى الله عز وجل »** [4] .

وقال أبو أمامة: ما من عبد يهلل تهليلة فينهنهها [5] شيء دون العرش.

وهي التي ينظر الله إلى قائلها ، ويجيب دعاه .

خرَّج النسائي في كتاب « اليوم والليلة » [6] من حديث رجلين من الصحابة عن النبي ﷺ : **« من قال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، مخلصًا بها روحه** [ق/١٣ب] **مصدقًا بها قلبه ولسانه ،إلا فَتق الله له السماء فتقًا، حتى ينظر إلى قائلها من أهل الأرض ، وحُقّ لعبدٍ نظر الله**

---

(١) برقم (٢٦٣٩) وقال : هذا حديث حسن غريب .

(٢) برقم (٣٥١٨) وقال : هذا حديث غريب من هذا الوجه ، وليس إسناده بالقوي.

(٣) برقم (٣٥٩٠) وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه .

(٤) أخرجه الختلي في الديباج كما في اللآلئ المصنوعة للسيوطي (٢/ ٣٤٥) وفي إسناده : عثمان بن عطاء بن أبي أسلم الخراساني ، وقد ضعفه ابن معين والساجي ، ولينه غيرهما وقالوا : ليس بالقوي قال أبو حاتم : يكتب حديثه ولا يحتج به.
وقد استفدت في تخريج هذا الحديث من أخي أبي إسحاق السمنودي مجدي بن حمودة في تخريجه لنفس الرسالة - رغم اعتراضي عليه في مواضع كثيرة منها .

(٥) يكفها : القاموس المحيط مادة : « نهنه » .

(٦) برقم (٢٨) .

إليه أن يعطيه سؤله [*] » .

وهي الكلمة التي يصدق الله قائلها .

كما خرجه النسائي [1] والترمذي [2] وابن حبان [3] من حديث أبي هريرة وأبي سعيد ، عن النبي ﷺ قال : « إذا قال العبد : لا إله إلا الله والله أكبر ، صدّقه ربه ، وقال : لا إله إلا أنا وأنا أكبر وإذا قال : لا إله إلا الله وحده ، يقول الله : لا إله إلا أنا وحدي . وإذا قال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، قال الله : لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي . وإذا قال : لا إله إلا الله وحده ، لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، قال الله : لا إله إلا أنا ، لي الملك ، ولي الحمد . وإذا قال : لا إله إلا الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، قال الله : لا إله إلا أنا ، ولا حول ولا قوة إلا بي » .

وكان يقول : « من قالها في مرضه ثم مات لم تطعمه النار » [4] .

وهي أفضل ما قاله النبيون ، كما ورد في دعاء يوم عرفة [5] .

(*) سؤاله : « نسخة » .

(١) في عمل اليوم والليلة (٣٠، ٣١) من طريقين عن أبي إسحاق عن الأغر أبي مسلم أنه شهد على أبي هريرة وعلى أبي سعيد أنهما شهدا على رسول الله ﷺ قال . . . الحديث .

وأخرجه النسائي (٣٢) من طريق شعبة عن أبي إسحاق عن الأغر عن أبي هريرة موقوفًا ، ولم يذكر أبا سعيد .

(٢) برقم (٣٤٣٠) وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب . وقد رواه شعبة عن أبي إسحاق عن الأغر أبي مسلم عن أبي هريرة وأبي سعيد بنحو هذا الحديث بمعناه، ولم يرفعه شعبة .

(٣) برقم (٨٥١ ـ إحسان) .

(٤) هذا لفظ الترمذي برقم (٣٤٣٠) .

(٥) أخرجه مالك في الموطأ (١/ ٤٢٢ ـ ٤٢٣ ـ بترقيم عبد الباقي) من حديث طلحة بن عبيد الله بن كريز أن رسول الله ﷺ قال . . . الحديث .

قال ابن عبد البر في التمهيد (٦ / ٣٩) : لا خلاف عن مالك في إرسال هذا الحديث كما رأيت ولا أحفظه بهذا الإسناد مسندًا من وجه يحتج بمثله ، وقد جاء مسندًا من حديث علي بن أبي طالب وعبد الله بن عمرو بن العاص . =

وهي أفضل الذكر :

كما في حديث جابر المرفوع : « أفضل الذكر لا إله إلا الله »[1] .

وعن ابن عباس قال: أحبُّ كلمة إلى الله ـ تعالى ـ لا يقبل الله عملاً إلا بها.

وهي أفضل الأعمال وأكثرها تضعيفًا ، وتعدل عتق الرقاب ، وتكون حرزاً من الشيطان .

كما في « الصحيحين »[2] عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ

= فأما حديث علي ، فإنه يدور على دينار أبي عمرو ، عن ابن الحنفية ، وليس دينار ممن يحتج به .

وحديث عبد الله بن عمرو من حديث عمرو بن شعيب ، وليس [من] دون عمرو من يحتج به فيه . وأحاديث الفضائل لا يحتاج فيها إلى من يحتج به . اهـ .

قلت : أما حديث علي فأخرجه الطبراني في الدعاء (٨٧٤) وإسناده ضعيف .

وقد ورد من حديث ابن عمر فأخرجه العقيلي في الضعفاء (٣/ ٤٦٢) من طريق فرج بن فضالة عن يحيى بن سعيد عن نافع عن ابن عمر . . . فذكره .

قال العقيلي : لا يتابع عليه ـ أي : فرج بن فضالة ، وقد نقل عن عبد الرحمن بن مهدي أن حديث فرج بن فضالة عن يحيى بن سعيد أحاديث منكرة مقلوبة .

وأما حديث عبد الله بن عمرو فأخرجه الترمذي (٣٥٨٥) من طريق حماد بن أبي حميد عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مرفوعًا .

قال الترمذي : هذا حديث غريب من هذا الوجه ، وحماد بن أبي حميد هو محمد بن أبي حميد ، وهو أبو إبراهيم الأنصاري المدني ، وليس بالقوي عند أهل الحديث .

وأخرجه ابن عدي (٤/ ٢٩٠) من طريق مالك عن سمي عن أبي صالح عن أبي هريرة .

قال ابن عدي : وهذا منكر عن مالك عن سمي عن أبي هريرة ، لا يرويه عنه غير عبد الرحمن بن يحيى هذا ، وعبد الرحمن غير معروف . وهذا الحديث في الموطأ عن زياد ابن أبي زياد عن طلحة بن عبيد الله بن كريز عن النبي ـ عليه السلام ـ مرسلا .

(١) أخرجه الترمذي (٣٣٨٣)وقال : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث موسى بن إبراهيم ، وأخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة (٨٣١) ، وابن ماجه (٣٨٠٠) ، وابن حبان (٨٤٦ ـ إحسان) ، والحاكم (١/ ٥٠٣) وقال : هذا حديث صحيح ، ولم يخرجاه .

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٩٣) ، ومسلم (٢٦٩١) .

«من قال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير [ق/١١٤] في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب ، وكتب له مائة حسنة ومُحي عنه مائة سيئة ، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يُمسي ، ولم يأت أحدُ بأفضل مما جاء به ، إلا(أحد) (*) عمل أكثر من ذلك » .

وفيهما أيضا عن أبي أيوب (١) ، عن النبي - ﷺ - : « من قالها عشر مرات كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل » .

وفي « الترمذي » (٢) عن ابن عمر مرفوعًا : « من قالها إذا دخل السوق وزاد

(*) رجل : « نسخة » .

(١) أخرجه البخاري (٦٤٠٤) ، ومسلم (٢٦٩٣) وذكر البخاري اختلافًا في وقف الحديث ورفعه ثم قال : والصحيح قول عمرو .
أي : عمرو بن ميمون وروايته عن ابن أبي ليلى عن أبي أيوب مرفوعًا .

(٢) برقم (٣٤٢٨) من طريق محمد بن واسع قال : قدمت مكة فلقيني أخي سالم بن عبد الله بن عمر فحدثني عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال . . . فذكره .
قال أبو عيسى : هذا حديث غريب .
وقد رواه عمرو بن دينار - وهو قهرمان آل الزبير - عن سالم بن عبدالله هذا الحديث نحوه.
وأخرجه الترمذي (٣٤٢٩) من طريق عمرو بن دينار - قهرمان آل الزبير - عن سالم ابن عبد الله بن عمر عن أبيه عن جده مرفوعًا .
قال أبو عيسى : وعمرو بن دينار هذا هو شيخ بصري ، وقد تكلم فيه بعض أصحاب الحديث من غير هذا الوجه .
ورواه يحيى بن سليم الطائفي عن عمران بن مسلم عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر عن النبي ﷺ ولم يذكر فيه عن عمر رضي الله عنه .
وسئل أبو حاتم الرازي عن هذا الحديث كما في العلل لابنه برقم (٢٠٣٨) فقال: هذا حديث منكر .
قال ابن أبي حاتم : وهذا الحديث هو خطأ ، إنما أراد عمران بن مسلم عن عمرو بن دينار - قهرمان آل الزبير - عن سالم عن أبيه . فغلط وجعل بدل عمرو ، عبد الله بن دينار ، وأسقط سالمًا من الإسناد .
وذكر الدارقطني في العلل (٢/ ٤٨ - ٥٠) برقم (١٠١) اختلافًا في جعل الحديث من رواية عمر ، ومن رواية ابن عمر مرفوعًا ، ومن رواية عمر موقوفًا . =

فيها : يحيي ويميت ـ كُتِبَ له ألف ألف حسنةٍ ، ومُحِيَ عنه ألف ألف سيئةٍ ، ورفع له ألف ألف درجةٍ » .

وفي رواية : « وبني له بيت في الجنة »[1] .

ومن فضائلها أنها أمان من وحشة القبر وهول الحشر :

كما في المسند وغيره[2] ، عن النبي ﷺ قال : « ليس على أهل لا إله إلا الله وحشةٌ في قبورهم ولا في نشورهم ، وكأني بأهل لا إله إلا الله قد قاموا يَنْقُضون التراب عن رءوسهم ، ويقولون: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ ﴾

= قال الدارقطني : ويشبه أن يكون الاضطراب فيه من عمرو بن دينار ؛ لأنه ضعيف قليل الضبط.

ثم ذكر أن عمرو بن دينار ضعيف الحديث لا يحتج به .

(١) وهي عند الترمذي (٣٤٢٩) .

(٢) هذا الحديث ليس في المسند كما ذكر العلامة الألباني ـ رحمه الله ـ في تعليقه على هذه الرسالة (ص ٦٤) ، وإنما أخرجه ابن عدي في الكامل (٢/ ٦٥) ، والطبراني في الأوسط (٤٩٧٨) ،والبيهقي في البعث والنشور (٧٩) ، (٩٩) وغيرهم من حديث ابن عمر .

قال ابن عدي وقد رواه من طريق بهلول بن عبد الله الكندي : ولبهلول هذا غير ما ذكرت من الحديث قليل ، وأحاديثه عمن روى عنه فيه نظر ، وحديثه عن أبي إسحاق أنكر منه عن غيره ، وإنما ذكرته لأبين أن أحاديثه ليس مما يتابعه الثقات عليها ، إذ لم أرَ لمن تكلم في الرجال فيه كلامًا .

وقال البيهقي في الشعب : تفرد به عبد الرحمن بن زيد بن أسلم .

وقال أيضا : وروي من وجه آخر ضعيف عن ابن عمر ، قد أخرجناه في كتاب البعث والنشور .

وذكر الهيثمي في المجمع (١٠/ ٨٢ ـ ٨٣) له روايتين ثم قال : وفي الرواية الأولى يحيى الحماني ، وفي الأخرى مجاشع بن عمرو وكلاهما ضعيف .

وقال أيضًا (١٠/ ٣٣٣) : رواه الطبراني وفيه جماعة لم أعرفهم .

وأخرجه ابن حبان في المجروحين (٢/ ٢٦٨) من حديث ابن عباس وقال : وهذا خبر باطل ، إنما يعرف هذا من حديث عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن ابن عمر فقط .

[فاطر: ٣٤]».

وفي حديث مرسل [(١)] : من قال : « **لا إله إلا الله الملك الحق المبين كل يوم مائة مرة كانت له أمانًا من الفقر ، وأنسًا من وحشة القبر ، واستجلب الغنى واستقرع باب الجنة** ».

وهي شعار المؤمنين إذا قاموا من القبور :

قال النضر بن عربي : بلغني أن الناس إذا قاموا من قبورهم كان شعارهم : لا إله إلا الله .

وقد خرَّج الطبراني [(٢)] حديثًا مرفوعًا : « **إن شعار هذه الأمة على الصراط** [ق/١٤ب] : **يا لا إله إلا أنت** » .

ومن فضائلها أنها تفتح لقائلها أبواب الجنة الثمانية ، يدخل من أيها شاء :

كما في حديث عمر عن النبي ﷺ فيمن أتى بالشهادتين بعد الوضوء ، خرجه مسلم [(٣)] .

وفي الصحيحين [(٤)] عن عبادة عن النبي ﷺ قال : « **من قال : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن عيسى عبد الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، وأن الجنة حقٌّ وأن النار حقٌّ ، وأن الله يبعث من في**

---

(١) أخرجه أبو نعيم في صفة الجنة (١٨٥) وفي الحلية (٨/ ٢٨٠) من طريق مالك بن أنس عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ . . فذكره ولم يذكر أبو نعيم «عليًا » في إسناد الحلية .

قال أبو نعيم في الحلية : غريب من حديث سالم عن مالك ـ رضي الله تعالى عنه .

(٢) في الكبير (١٣/ ١٦٨) وفي الأوسط (١٦٠) من طريق ابن لهيعة عن أبي قبيل عن عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعًا .

قال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٣٥٩) رواه الطبراني في الكبير والأوسط وفيه من وثق على ضعفه ، وعبدوس بن محمد لم أعرفه .

(٣) برقم (٢٣٤) .

(٤) أخرجه البخاري (٣٤٣٥) ، ومسلم (٢٨) .

القبور ، فتحت له ثمانية أبواب من الجنة يدخل من أيها شاء » .

وفي حديث عبد الرحمن بن سمرة عن النبي ﷺ في قصة منامه الطويل، وفيه قال : « ورأيت رجلا من أمتي انتهى إلى أبواب الجنة ، فأغلقت الأبواب دونه، فجاءته شهادة أن لا إله إلا الله ، ففتحت له الأبواب ، وأدخلته الجنة » (١) .

ومن فضائلها أن أهلها وإن دخلوا النار بتقصيرهم في حقوقها فإنهم لابد أن يخرجوا منها :

وفي الصحيحين (٢) عن أنس عن النبي ﷺ قال : يقول الله : «وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي ، لأخرجن منها من قال ـ لا إله إلا الله» .

وخرّج الطبراني (٣) عن أنس عن النبي ـ ﷺ ـ قال : « إن أناسًا [ق/ ١١٥] من أهل لا إله إلا الله يدخلون النار بذنوبهم ، فيقول لهم أهل اللات والعزى : ما أغنى عنكم قول : لا إله إلا الله ! فيغضب الله لهم فيخرجهم من النار ، فيدخلون الجنة» .

ومن كان في سُخطه محسنًا فكيف يكون إذا ما رضي ؟! لا يُسوي بين من وحَّده وإن قصر في حقوق توحيده وبين من أشرك به .

قال بعض السلف : كان إبراهيم ـ عليه السلام ـ يقول : اللهم لا تشرك من

---

(١) أخرجه الطبراني في الأحاديث الطوال بآخر المعجم الكبير برقم (٣٩) من طريق سليمان بن أحمد الواسطي ، ثنا مروان بن معاوية الفزاري ، ثنا الوزير بن عبد الرحمن ، عن علي بن زيد بن جدعان عن سعيد بن المسيب عن عبد الرحمن بن سمرة. . . فذكره .
قال الهيثمي في المجمع (٧/ ١٨٠): رواه الطبراني بإسنادين في أحدهما : سليمان ابن أحمد الواسطي ، وفي الآخر : خالد بن عبد الرحمن المخزومي ، وكلاهما ضعيف.

(٢) أخرجه البخاري (٧٥١٠)، ومسلم (١٩٣) ، وقد سبق تخريجه في أول الرسالة.

(٣) في الأوسط برقم (٧٢٨٩) .
قال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٣٩٧) ، رواه الطبراني في الأوسط وفيه من لم أعرفهم.

كان يشرك بك بمن كان لا يشرك بك .

كان بعض السلف يقول في دعائه : اللهم إنك قلت عن أهل النار إنهم ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾ [النحل:٣٨] . ونحن نقسم بالله جهد أيماننا : ليبعثن الله من يموت ، اللهم لا تجمع بين أهل القسمين في دار واحدة .

كان أبو سليمان يقول : إن طالبني ببخلي طالبته بجوده ، وإن طالبني بذنوبي طالبته بعفوه ، وإن أدخلني النار أخبرت أهل النار أني كنت أحبه.

ما أطيب وصله وما أعذبه وما أثقل هجره وما أصعبه

في السخط وفي الرضا ما أهيبه القلب يُحبُّه وإن عذَّبه

وكان بعض العارفين يبكي طول ليله ، ويقول : إن تعذبني فإني لك محب ، وإن ترحمني فإني لك محب . العارفون يخافون من الحجاب أكثر مما تخافون من العذاب .

قال [ق/١٥ب] ذو النون : خوف النار عند خوف الفراق كقطرة في بحر لُجيٍّ.

كان بعضهم يقول : إلهي وسيدي ومولاي ! لو أنك عذبتني بعذابك كله كان ما فاتني من قربك أعظم عندي من العذاب .

قيل لبعضهم : لو طردك ما كنت تفعل ؟ فقال :

أنا إن لم أجد من الحبِّ وَصْلا رُمْتُ في النار منزلا ومَقيلا

ثم أزعجت أهلها بندائي بُكرةً في (عُرَاصها)(*) وأصيلا

معشر المشركين نُوحوا على من يدَّعي أنه يُحبُّ الخليـــلا

لم يكن في الذي ادّعاه محقًّا فجزاه به العذاب الطَّويلا

***

(*) عرصاتها : « نسخة » .

الله الله أيها الناس تمسكوا بأصل دينكم

إخواني اجتهدوا اليوم في تحقيق التوحيد ، فإنه لا يوصل إلى الله سواه ، واحرصوا على القيام بحقوقه ، فإنه لاينجي من عذاب الله إلا إياه .

ما نطق الناطــقون إذ نطـــقوا   أحسن من لا إله إلا هو

تبارك ذو الجـــلال ومـــن   أشهد أن لا إله إلا هو

مـــن لِذُنُوبي ومـــن يُمحّصها   غيرك يا من لا إله إلا هو

جنانُ خـــلد لمن يُوَحـــدهُ   أشهد أن لا إله إلا هو

نيـــرانه لا تحـــرق مـــن   (يشهد)(**) أن لا إله إلا هو

أقولُها مخلصًا بلا بخل   اشهد أن لا إله إلا هو

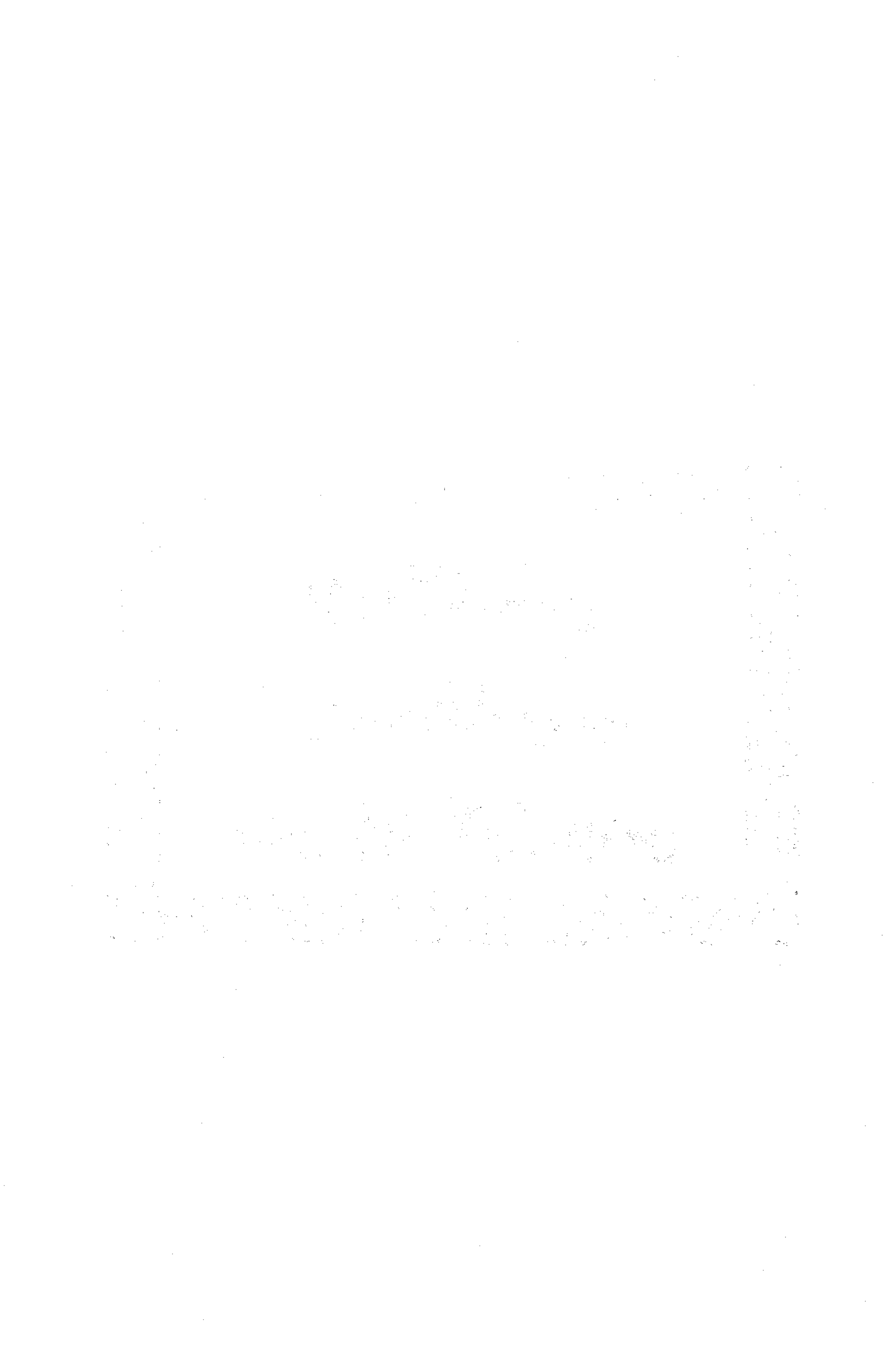
آخره والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

وحسبنا الله ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

❋ ❋ ❋

(**) حقق : « نسخة » .


نور الاقتباس
في مشكاة وصية
النبي ﷺ لابن عباس



[ق/١ ب] بسم الله الرحمن الرحيم

رب يسر يا كريم

الحمد لله رب العالمين حمداً كثيراً طيبًا مباركًا فيه كما يحب ربنا ويرضى، وكما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله ، وصلى الله على محمد النبي الأمي وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيراً .

خرج الإمام أحمد (١) من حديث حنش الصنعاني ، عن ابن عباس [رضي الله عنهما] (٢) .

قال : « كنت رديف (النبي) (*) ﷺ فقال : يا غلام - أو يا غُلَيِّم - ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن ؟ فقلت : بلى ، فقال : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده أَمامك ، تَعَرَّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة ، وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله ، قد جف القلم بما هو كائن ، فلو أن الخلق كلهم جميعًا أرادوا أن ينفعوك بشيء لم يقضه الله [عليك] (**) لم يقدروا عليه ، وإن أرادوا أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يقدروا عليه ، واعلم أن في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً ، وأن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسراً » .

هكذا ساقه من طريق حنش مع إسنادين آخرين منقطعين ، وفي السياق أنه لا يحفظ حديث بعضهم من بعض .

---

(١) (١/ ٢٩٣) .
(٢) ما بين المعقوفتين من المطبوعة .
(*) رسول الله « نسخة » .
(**) ما بين المعقوفتين من المطبوعة بتحقيق النجار ، وفي المسند : « لم يكتبه الله عليك » .

وخرجه أيضًا [(١)] من طريق حنش وحده مختصرًا ، ولفظه :

« يا غلام ، إني محدثك حديثًا : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، فقد رفعت الأقلام وجفت [ق/ ١٢] **الكتب ، فلو جاءت الأمة ينفعوك بشيء لم يكتبه الله لك لما استطاعت ، ولو أرادت أن تضرك بشيء لم يكتبه الله لك لما استطاعت عليه ، واعلم أن في الصبر على ما تكره خيرًا كثيرًا ، وأن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسرًا »** .

هكذا ساقه من طريق [حنش] [(٢)] ، وخرجه الترمذي [(٣)] بنحو هذا السياق المختصر ولفظه :

« إني أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف » .

وقال : حديث حسن صحيح .

وقال الحافظ أبو عبد الله بن منده : لهذا الحديث طرق عن ابن عباس وهذا أصحها . قال : وهذا إسناد مشهور ورواته ثقات .

قلت : قد روي هذا الحديث عن ابن عباس من رواية جماعة ؛ عنه فمنهم : علي ابنه ، وعطاء ، وعكرمة . ومن رواية عمر [(٤)] مولى غفرة ، وعبد الملك بن

---

(١) (١/ ٣٠٧) .

(٢) ما بين المعقوفتين سقط من الناسخ والسياق يقتضيه ، وانظر بداية العزو .

(٣) برقم (٢٥١٦) .

(٤) أخرجها العقيلي (٣ / ١٧٨) ، والطبراني (١١/ ١١٥٦٠) ونقل العقيلي قول ابن يونس قلت لعمر مولى غفرة : سمعت من ابن عباس ؟ قال : أدركت زمانه .
قال العقيلي : وهذا المتن يروى عن ابن عباس وغيره عن النبي ﷺ بأسانيد لينة .

عمير [1] ، وابن أبي مليكة عن ابن عباس [2] . وقيل أنهما لم يسمعا منه ، وفي أسانيدها جميعها مقال ، وفي ألفاظها بعض الزيادة والنقص .

وروي عن النبي ﷺ [ق/ ٢ب] أنه وصى بذلك ابن عباس من حديث علي بن أبي طالب ، وأبي سعيد الخدري [3] ، وسهل بن سعد ، وغيرهم من الصحابة ، وفي أسانيدها أيضًا مقال .

وذكر العقيلي [4] أن أسانيد الحديث كلها لينة ، وبعضها أصلح من بعض.

قلت : وأجود أسانيده من رواية حنش عن ابن عباس التي ذكرناها ، وهو إسناد حسن لا بأس به .

وقد استوفينا ذكر طرق الحديث مع الكلام عليها في كتاب « شرح الترمذي».

ومقصودنا ها هنا الكلام على معنى الحديث وشرح ألفاظه، فإنه تضمن وصايا عظيمة وقواعد كلية من أهم أمور الدين وأجلها ، حتى قال الإمام أبو الفرج [ابن الجوزي] (*) في كتابه « صيد الخاطر » : تدبرت هذا الحديث فأدهشني وكدت أطيش . ثم قال : وا أسفًا من الجهل بهذا الحديث ، وقلة الفهم لمعناه .

* * *

(١) أخرجه الحاكم (٣ / ٥٤١) .
(٢) أخرجه العقيلي (٣ / ٣٩٧ ـ ٣٩٨) وقال : الأسانيد في هذا لينة .
(٣) أخرجه ابن عدي في الكامل (٧ / ٢٢٧) في ترجمة يحيى بن ميمون بن عطاء أبي أيوب التمار ، والخطيب في تاريخ بغداد (١٤ / ١٢٤) ونقل ابن عدي عن عمرو بن علي الفلاس أنه قال عن يحيى بن ميمون : كنت عنده وكان كذابًا يحدث عن علي بن زيد بأحاديث موضوعة ... ومنها حديث أبي نضرة عن أبي سعيد أن النبي ﷺ قال لابن عباس : ..... الحديث .
(*) ما بين المعقوفتين من المطبوعة .
(٤) في « الضعفاء الكبير » (٣ / ٥٤) .

فقوله ﷺ : « احفظ الله يحفظك »

يعني : احفظ حدود الله وحقوقه وأوامره ونواهيه وحفظ ذلك هو الوقوف عند أوامره بالامتثال ، وعند نواهيه بالاجتناب ، وعند حدوده فلا تتجاوز ولا تتعدى ما أمر به إلى ما نهى عنه .

فدخل في ذلك فعل الواجبات جميعًا وترك المحرمات كلها ، كما في حديث أبي ثعلبة المرفوع :

« إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها ، وحرم حرمات فلا تنتهكوها ، وحد حدودًا [ق/ ١٣] فلا تعتدوها » (١) .

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٢ / ٥٨٩) ، والدارقطني في سننه (٤ / ١٨٤) من طريق داود بن أبي هند عن مكحول عن أبي ثعلبة الخشني .
وأخرجه البيهقي في « السنن الكبير » (١٠ / ١٢) موقوفًا على أبي ثعلبة الخشني من نفس الطريق المرفوع .
قال البيهقي : هذا موقوف ، وأنبأنيه شيخنا أبو عبد الله الحافظ في « المستدرك » فيما لم يقرأ عليه إجازة حدثني علي بن عيسى ثنا محمد بن عمرو الحرشي ثنا علي بن مسهر عن داود بن أبي هند . . . فذكر نفس الإسناد .
وسئل الدارقطني في العلل (٦ / ٣٢٤) برقم (١١٧٠) عن هذا الحديث فقال : يرويه مكحول واختلف عنه ، فرواه داود بن أبي هند عن مكحول ، واختلف عنه ، فرواه إسحاق الأزرق عن داود بن أبي هند عن مكحول عن أبي ثعلبة مرفوعًا.
وتابعه محمد بن فضيل عن داود .
ورواه حفص بن غياث ويزيد بن هارون عن داود فوقفاه .
وقال قحذم : سمعت مكحولا يقول : لم يتجاوز به .
والأشبه بالصواب مرفوعًا وهو أشهر .
قال ابن رجب في جامع العلوم والحكم (١ / ٢٤٠) : وله علتان : إحداهما أن مكحولا لم يصح له السماع عن أبي ثعلبة ، كذلك قال أبو مسهر الدمشقي وأبو نعيم وغيرهم .
=

وذلك كله يدخل في حفظ حدود الله، كما ذكره الله في قوله : ﴿وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ...﴾ الآية [التوبة : ١١٢] .

وقال تعالى : ﴿ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾ [ق: ٣٢ ، ٣٣] .

وفسر الحفيظ ها هنا بالحافظ لأوامر الله ، وفسر بالحافظ لذنوبه حتى يرجع منها ، وكلاهما يدخل في الآية .

ومن حفظ وصية الله لعباده وامتثلها فهو داخل أيضًا ، والكل يرجع إلى معنى واحد .

وقد ورد في بعض ألفاظ حديث يوم المزيد في الجنة :

« إن الله تعالى يقول لأهل الجنة ، إذا استدعاهم إلى زيارته وكشف لهم الحجب : مرحبًا بعبادي الذين حفظوا وصيتي ، ورعوا عهدي ، وخافوني بالغيب ، وكانوا مني على كل حال مشفقين »[(١)] .

= والثانية : أنه اختلف في رفعه ووقفه على أبي ثعلبة ، ورواه بعضهم عن مكحول من قوله ، لكن قال الدارقطني : الأشبه بالصواب المرفوع ، قال : وهو أشهر » اهـ .

قلت : وله شاهد من حديث أبي الدرداء مرفوعًا أخرجه ابن عدي في الكامل (١ / ٤٠٤) ، والطبراني في الصغير (٢ / ١٢٢ ـ ١٢٣) .

قال الطبراني : لم يروه عن قرة إلا أصرم بن حوشب .

وقال ابن عدي بعد أن نقل قول يحيى بن سعيد القطان في أصرم بن حوشب : أنه كذاب خبيث ، وقول البخاري : متروك الحديث .

قال ابن عدي : وهذه الأحاديث بواطيل عن قرة بن خالد كلها ، لا يحدث بها عنه غير أصرم هذا .

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة (٥٣) ، وأبو نعيم في « صفة الجنة » (٤١١) وعزاه لهما المنذري في الترغيب والترهيب (٤ / ٣٠٧) فقال : رواه ابن أبي الدنيا وأبو نعيم هكذا معضلا ، ورفعه منكر ، والله أعلم . وقال الحافظ ابن كثير في «النهاية» (٢ / ٥٢٠) : وهذا مرسل ضعيف غريب ، وأحسن أحواله أن يكون من كلام بعض السلف فوهم بعض رواته ، فجعله مرفوعًا وليس كذلك ، والله أعلم .

فأمره ﷺ لابن عباس بحفظ الله يدخل فيه هذا كله .

ومن أعظم ما يجب حفظه من المأمورات الصلوات الخمس ، قال تعالى : ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَى﴾[البقرة : ٢٣٨] وقال: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾[المعارج : ٣٤] .

وقال النبي ﷺ :

« من حافظ عليها كان له عند الله عهداً أن يدخله الجنة... » [1] الحديث.

وفي حديث آخر :

« من حافظ عليهن كنَّ له نوراً [ق/ ٣ب] وبرهانًا ونجاة يوم القيامة »[2]. الحديث .

وكذلك الطهارة فإنها مفتاح الصلاة ، وقال النبي ﷺ : « لا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن » [3] .

فإن العبد تنتقض طهارته ولا يعلم بذلك إلا الله ، فالمحافظة على الوضوء للصلاة دليل على ثبوت الإيمان في القلب.

ومما أمر الله بحفظه الأيمان لَمَّا ذكر كفارة اليمين قال : ﴿ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ ﴾ [المائدة : ٨٩] فإن الأيمان كثيراً ما تقع من الناس وموجباتها مختلفة ، فتارة يجب بها كفارة يمين وتارة يجب بها كفارة مغلظة ، وتارة يلزم بها المحلوف عليه من طلاق ونحوه . فمن حفظ أيمانه دل على دخول الإيمان في قلبه .

وكان السلف كثيراً يحافظون على الأيمان ، فمنهم من كان لا يحلف بالله ألبتة، ومنهم من كان يتورع حتى يكفر عما شك في الحنث فيه . ووصى الإمام

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ (١/ ١٢٣) (١٤) ، وأحمد (٥/ ٣١٩) .

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ١٦٩) ،والطبراني في « الأوسط » (١٧٦٧) .

(٣) أخرجه أحمد (٥/ ٢٨٠) ، والدارمي (١ / ١٦٨) والطبراني في الكبير (٢/ ١٤٤٤) .

أحمد ـ رحمه الله ـ عند موته أن تخرج عنه كفارة يمين . وقال: أظن أني حنثت في يمين حلفتها .

وقد روي عن أيوب ـ عليه السلام ـ أنه كان إذا مر باثنين يحلفان بالله ذهب فكفر عنهما بيمين ، لئلا يأثمان وهما لا يشعران .

ولهذا لما حلف على ضرب امرأته مائة جلدة ، أفتاه الله بالرخصة لحفظه لأيمانه وأيمان غيره .

وقد اختلف [ق/ ١٤] العلماء ، هل تتعدى الرخصة لحلفه أم لا ؟

وقال يزيد بن أبي حبيب : بلغني أن من حملة العرش من يسيل من عينيه أمثال الأنهار من البكاء ، فإذا رفع رأسه قال : سبحانك ، ما (تخشى) (*) حق خشيتك ؟ فيقول الله تعالى : لكن الذين يحلفون باسمي كاذبين لا يعلمون ذلك.

وقد ورد التشديد العظيم في الحلف الكاذب ، ولا يصدر كثرة الحلف بالله والحلف به كاذبًا من الجهل بالله وقلة هيبته في الصدور.

ومما يلزم المؤمن حفظه رأسه وبطنه ، كما في حديث ابن مسعود المرفوع : **«الاستحياء من الله حق الحياء أن يحفظ الرأس وما وعى ، ويحفظ البطن وما حوى»** خرجه الإمام أحمد [(١)] والترمذي[(٢)] .

وحفظ الرأس وما وعى ، يدخل فيه السمع والبصر واللسان من المحرمات .

وحفظ البطن وما حوى : يتضمن حفظ القلب عن الإصرار على محرم . وقد جُمِعَ ـ ذلك كله في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾ [الإسراء : ٣٦] .

ويدخل في حفظ البطن وما حوى : حفظه من إدخال الحرام إليه من

(*) تخشى : « نسخة » .

(١) (١/ ٣٨٧) .

(٢) برقم (٢٤٥٨) وقال : هذا حديث إنما نعرفه من هذا الوجه من حديث أبان بن إسحاق عن الصباح بن محمد .

المأكولات والمشروبات .

ومما يجب حفظه من المنهيات : حفظ اللسان والفرج . وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ :

« من حفظ ما بين لحييه وما بين رجليه دخل الجنة » خرجه [ق/ ٤ب] الحاكم[1] .

وخرجه البخاري[2] من حديث سهل بن سعد عن النبي ﷺ ولفظه : « من يضمن لي ما بين لحييه ورجليه ، أضمن له الجنة » .

وفي مسند الإمام أحمد[3] عن أبي موسى ، عن النبي ﷺ قال :

« من حفظ ما بين فقميه[4] وفرجه دخل الجنة » .

وقد أمر الله بحفظ الفروج خاصة ومدح الحافظين لها ، قال تعالى : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ... ﴾ الآية [النور: ٣٠] .

وقال تعالى : ﴿ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ ﴾ [الأحزاب : ٣٥].

وقال : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ...﴾ الآية [المؤمنون : ٥ ، ٦] .

وقد روي عن أبي إدريس الخولاني أن أول ما وصى الله آدم عند إهباطه إلى الأرض بحفظ فرجه ، أن لا يضعه إلا في حلال .

❋ ❋ ❋

---

(١) في « المستدرك » (٤/ ٣٥٧) .

(٢) برقم (٦٤٧٤) .

(٣) (٤/ ٣٩٨) .

(٤) الفُقْم : بالضم والفتح ، اللَّحي ، يريد من حفظ لسانه وفرجه . النهاية مادة «فقم » .

قوله : « يحفظك »

يعني أن من حفظ حدود الله وراعى حقوقه ، حفظه ، فإن الجزاء من جنس العمل ، كما قال تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ [البقرة : ٤٠] .

وقال : ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ [البقرة : ١٥٢] .

وقال : ﴿ إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ ﴾ [محمد : ٧] .

وحفظ الله ـ تعالى ـ لعبده وماله .

وفي حديث ابن عمر قال : لم يكن رسول الله ﷺ يدع هؤلاء الدعوات حين يمسي وحين يصبح :

[ق/ ١٥] « اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة ، اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي ، اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي واحفظني من بين يدي ومن خلفي ، وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي ، وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي » .

خرجه الإمام أحمد [(١)] وأبو داود [(٢)] والنسائي [(٣)] وابن ماجه [(٤)] .

وهذا الدعاء منتزع من قوله ـ عز وجل ـ : ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ ﴾ الآية [الرعد : ١١] .

قال ابن عباس : هم الملائكة يحفظونه بأمر الله ، فإذا جاء القدر خلوا عنه[(٥)].

---

(١) (٢/ ٢٥) .
(٢) (٥٠٧٤) .
(٣) (٨/ ٢٨٢) .
(٤) برقم (٣٨٧١) .
(٥) أخرج ابن جرير في تفسيره (١٣ / ١١٧) شطره الأول .

وقال علي رضي الله عنه : إن مع كل رجل ملكين يحفظانه مما لم يُقَدَّرْ ، فإذا جاء القَدَرُ خليا بينه وبينه ، وإن الأجل جنة حصينة [1] .

وقال مجاهد : ما من عبد إلا له ملك يحفظه في نومه ويقظته من الجن والإنس والهوام ، فما من شيء يأتيه إلا قال : وراءك ، إلا شيئًا قد أذن الله فيه فيصيبه .

ومن حفظ الله للعبد : أن يحفظه في صحة بدنه وقوته وعقله وماله.

قال بعض السلف : العالم لا يحزن ، وقال بعضهم : من جمع القرآن متع بعقله .

وتأول ذلك بعضهم على قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴾ [التين : ٥] وهو أرذل العمر ﴿ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ [التين : ٦] .

وكان أبو الطيب الطبري قد جاوز المائة سنة وهو ممتع بعقله وقوته ، فوثب يومًا من سفينة كان فيها إلى الأرض وثبة شديدة . [ق/٥ب] فعوتب على ذلك ، فقال : هذه جوارح حفظناها عن المعاصي في الصغر ، فحفظها الله علينا في الكبر .

وعكس هذا أن الجنيد رأى شيخًا يسأل الناس ، فقال : إن هذا ضيع الله في صغره ، فضيعه الله في كبره .

وقد يحفظ الله العبد بصلاحه في ولده وولد ولده ، كما قيل في قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا ﴾ [الكهف : ٨٢] : إنهما حفظا بصلاح أبيهما .

وقال محمد بن المنكدر : إن الله ليحفظ بالرجل الصالح ولده وولد ولده وقريته التي هو فيها ، والدويرات التي حولها ، فما يزالون في حفظ من الله وستره.

وقال ابن المسيب لابنه : يا بني (لأزيدن) (*) في صلاتي من أجلك ، رجاء

---

(١) أخرجه ابن سعد في « الطبقات الكبرى » (٣ / ٣٤ ـ طبعة دار صادر) ، والطبري في تفسيره (١٣ / ١١٩) .

(*) في « المطبوع » : إني لأزيد .

أن أحفظ فيك . وتلا هذه الآية : ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا ﴾ [الكهف: ٨٢] .

وقال عمر بن عبد العزيز : ما من مؤمن يموت إلا حفظه الله في عقبه وعقب عقبه .

وقال يحيى بن إسماعيل بن سلمة بن كُهيل : كان لي أخت أسنّ مني فاختلطت وذهب عقلها وتوحشت ، وكانت في غرفة في أقصى سطوحنا ، فمكثت بذلك بضع عشرة سنة ،فبينما أنا نائم ذات ليلة إذا باب يدق نصف الليل، فقلت: من هذا ؟ قالت : كجه ، فقلت :أختي ؟! قالت : أختك ، ففتحت الباب فدخلت ولا عهد لها بالبيت أكثر من عشر سنين .

فقالت : أتيت الليلة في منامي فقيل لي : إن الله قد حفظ [ق/ ١٦] أباك إسماعيل لسلمة جدك ، وحفظك لأبيك إسماعيل ؛ فإن شئت دعوت الله فذهب ما بك ، وإن شئت صبرت ولك الجنة ؛ فإن أبا بكر وعمر قد شفعا فيك إلى الله عز وجل بحب أبيك وجدك إياهما ، فقلت : فإذا كان لابد من اختيار أحدهما فالصبر على ما أنا فيه والجنة ، وإن الله عز وجل لواسع بخلقه لا يتعاظمه شيء ، إن شاء أن يجمعهما لي فعل.

قالت : فقيل لي : فإن الله قد جمعهما لك ورضي عن أبيك وجدك بحبهما أبا بكر وعمر رضي الله عنهما ، قومي فانزلي ، فأذهب الله تعالى ما كان بها .

ومتى كان العبد مشتغلا بطاعة الله فإن الله عز وجل يحفظه في تلك الحال ، كما في مسند الإمام أحمد [1] عن حميد بن هلال عن رجل قال :

« أتيت النبي ﷺ فإذا هو يريني بيتًا فقال : إن امرأة كانت فيه فخرجت في سرية من المسلمين وتركت ثنتي عشرة عنزًا وصيصيتها [2] ، كانت تنسج بها قال : ففقدت عنزًا ، من غنمها وصيصيتها فقالت : يا رب ، إنك قد ضمنت لمن خرج في سبيلك أن تحفظ عليه ، وإني قد فقدت عنزًا من غنمي

---

(١) (٥/ ٦٧) . قال الهيثمي في المجمع (٥ / ٢٧٧) : ورجاله رجال الصحيح .

(٢) الصِّيصيَةُ : هي الصِّنارة التي يغزل بها وينسج .

وصيصيتي ، وإني أنشدك عنزي وصيصيتي . قال : فجعل رسول الله ﷺ يذكر شدة مناشدتها ربها تبارك وتعالى . قال رسول الله ﷺ : **فأصبحت عنزها ومثلها وصيصيتها ومثلها ، وهاتيك** [ق/ ٦ ب] **[فأتها]** . قال : فقلت : بل أصدقك » .

وكان شيبان الراعي يرعى غنمًا في البرية ، فإذا جاءت الجمعة خط عليها خطًّا وذهب إلى الجمعة ثم يرجع وهي كما تركها .

وكان بعض السلف في يده الميزان يزن بها دراهم ، فسمع الأذان فنهض ونفضها على الأرض وذهب إلى الصلاة ، فلما عاد جمعها فلم يذهب منها شيء.

ومن أنواع حفظ الله لمن حفظه في دنياه : أن يحفظه من شر كل من يريده بأذى من الجن والإنس .

كما قال تعالى : ﴿ **وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا** ﴾ [الطلاق : ٢] قالت عائشة رضي الله عنها : يكفيه غم الدنيا وهمها .

وقال الربيع بن خثيم . يجعل له مخرجًا من كل ما ضاق على الناس.

وكتبت عائشة إلى معاوية : إن اتقيت الله كفاك الناس ، وإن اتقيت الناس لم يغنوا عنك من الله شيئًا (١) .

وكتب بعض الخلفاء إلى الحكم بن عمرو الغفاري كتابًا يأمره فيه بأمر يخالف كتاب الله ، فكتب إليه الحكم : إني نظرت في كتاب الله فوجدته قَبلَ كتاب أمير المؤمنين ، وإن السموات والأرض لو كانتا رتقًا على امرئ فاتقى الله عز وجل ، جعل الله له مخرجًا ، والسلام .

قال بعضهم شعرًا :

بتقوى الإله نجا من نجا ... وفاز وصار إلى مَارَجَا

ومن يتق الله يجعل له ... كما قال من أمره مَخْرَجَا

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧ / ٢٤٤) برقم (٣٥٧١٧) ، والبيهقي في «الزهد الكبير» (٨٨٥) .

ويرزقه من حيث لا يحتسب وإن ضاق أمراً به فرجًا

كتب بعض السلف إلى أخيه :

أما بعد : فإنه من اتقى الله فقد حفظ [ق/١٧] نفسه ، ومن ضيع تقواه فقد ضيع نفسه ، والله الغني عنه .

ومن عجيب حفظ الله تعالى لمن حفظه : أن يجعل الحيوانات المؤذية بالطبع حافظة له من الأذى وساعية في مصالحه ، كما جرى لسفينة [(١)] مولى النبي ﷺ حيث كسر به المركب وخرج إلى جزيرة فرأى السبع ، فقال له : يا أبا الحارث ، أنا سفينة مولى النبي ﷺ فجعل يمشي حوله ويدله على الطريق حتى أوقفه عليها ، ثم جعل يُهَمْهِمُ كأنه يودعه وانصرف عنه .

وكان أبو إبراهيم السائح قد مرض في برية بقرب دير ، فقال : لو كنت عند باب الدير لنزل الرهبان فعالجوني ، فجاء السبع فاحتمله على ظهره حتى وضعه على باب الدير فرآه الرهبان فأسلموا وكانوا أربعمائة.

وكان إبراهيم بن أدهم نائمًا في بستان وعنده حية في فمها طاقة نرجس، فما زالت تذب عنه حتى استيقظ .

فمن حفظ الله حفظه من الحيوانات المؤذية بالطبع ، وجعل تلك الحيوانات حافظة له .

ومن ضيع الله ضيعه الله بين خلقه ، حتى يدخل عليه الضرر بشيء ممن كان يرجو أن ينفعه ، ويصير أخص أهله به وأرفقهم به يؤذيه .

كما قال بعضهم : إني لأعصى الله [ق/ ٧ب] فأعرف ذلك في خلق خادمي وحماري . يعني : أن خادمه يسوء خلقه عليه ولا يطيعه ، وحماره يستعصي عليه فلا يواتيه لركوبه . فالخير كله مجموع في طاعة الله والإقبال عليه ، والشر كله مجموع في معصيته والإعراض عنه .

---

(١) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء : (١/ ٣٦٩) .

قال بعض العارفين : من فارق سُدَّة سيده لم يجد لقدميه قراراً أبداً .

وقال بعضهم شعراً :

والله ما جئتكـــم زائـــــــراً إلا وجدت الأرض تطوى لــي

ولا ثنيت العزم عن بابكــــــم إلا تعثــرت بأذيالــــــــي

بالله فاعفوا واصفحوا واجبـــروا كسري فحالي بكم حالــــــي

النوع الثاني من الحفظ : وهو أشرفها وأفضلها، حفظ الله تعالى لعبده في دينه ، فيحفظ عليه دينه وإيمانه في حياته من الشبهات المردية والبدع المضلة ، والشهوات المحرمة ، ويحفظ عليه دينه عند موته ، فيتوفاه على الإسلام .

قال الحكم بن أبان عن أبي مكي : إذا حضر الرجل الموت يقال للملك : شم رأسه ، قال : أجد في رأسه القرآن . قال : شم قلبه . قال : أجد في قلبه الصيام ، قال : شم قدميه . قال : أجد في قدميه القيام . قال : حفظ نفسه فحفظه الله عز وجل . خرجه ابن أبي الدنيا .

وقد ثبت في « الصحيحين »[1] في حديث البراء بن عازب أن النبي ﷺ علَّمه أن يقول عند منامه :

« اللهم إن قبضت نفسي فارحمها [ق/ ١٨] وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين » .

وفي حديث عمر عن النبي ﷺ « أنه علَّمه أن يقول : اللهم احفظني بالإسلام قائمًا ، واحفظني بالإسلام قاعداً ، واحفظني بالإسلام راقداً ، فلا تطع فيّ

---

(١) هذا الحديث ليس في الصحيحين من حديث البراء بهذا اللفظ ، وإنما هو من حديث أبي هريرة أخرجه البخاري (٦٣٢٠) ، ومسلم (٢٧١٤) . وأما حديث البراء فبلفظ: إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ، ثم اضطجع على شقك الأيمن وقل : اللهم أسلمت وجهي إليك ... الحديث . أخرجه البخاري (٦٣١١) ، ومسلم (٢٧٠) .

عدواً ولا حاسداً » خرجه ابن حبان في « صحيحه »[1] .

وكان النبي ﷺ إذا وَدَّعَ من يريد السفر يقول له :

« أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك »[2] .

وفي رواية ، وكان يقول :

« إن الله إذا استودع شيئًا حفظه » خرجه النسائي[3] وغيره[4] .

وخرج الطبراني[5] حديثًا مرفوعًا :

« إن العبد إذا صلى الصلاة على وجهها صعدت إلى الله ولها برهان كبرهان الشمس وتقول لصاحبها : حفظك الله كما حفظتني ، وإذا ضيَّعها لفت كما يلف الثوبُ الخَلِقُ ثم يضرب بها وجه صاحبها وتقول : ضيعك الله كما ضيعتني » .

وكان عمر رضي الله عنه يقول في خطبته : اللهم اعصمنا بحفظك وثبتنا على

---

(١) برقم (٢٢٣٠) . وفي إسناده انقطاع بين هاشم بن عبد الله بن الزبير وعمر .

(٢) أخرجه أحمد (٢ / ٧) ، والترمذي (٣٤٤٢ ، ٣٤٤٣) ، والنسائي في « عمل اليوم والليلة » (٥٢٤) ، وابن خزيمة في « صحيحه » (٢٥٣١) ، والحاكم (١ / ٦١٠ ، ٢ / ١٠٦) من حديث ابن عمر .
قال الترمذي : هذا حديث غريب من هذا الوجه ، وقال في الموضع الثاني : هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه من حديث سالم .
وقال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، وقال في الموضع الثاني : وله شاهد عن أنس بن مالك وعبد الله بن يزيد الأنصاري ، ثم ساق الحديثين بإسناده إليهما .

(٣) في عمل اليوم والليلة (٥٠٩) .

(٤) وأخرجه ابن حبان (٢٣٧٦ ـ موارد) ، والبيهقي في « السنن الكبير » (٩ / ١٧٣).

(٥) في الأوسط (٣٠٩٥) عن أنس بنحوه ، وفي مسند الشاميين (٤٢٧) عن عبادة بن الصامت بنحوه .
قال الهيثمي في المجمع (١ / ٣٠٢) عن حديث أنس : رواه الطبراني في الأوسط وفيه عباد بن كثير وقد أجمعوا على ضعفه .
وقال (٢ / ١٢٢) عن حديث عبادة : رواه الطبراني في الكبير والبزار بنحوه ، وفيه الأحوص بن حكيم وثقه ابن المديني والعجلي ، وضعفه جماعة ، وبقية رجاله موثقون.

أمرك .

ودعا رجل لبعض السلف بأن يحفظه الله فقال : يا أخي ، لا تسأل عن حفظه، ولكن قل يحفظ الإيمان . يعني : أن المهم هو الدعاء بحفظ الدين ، فإن الحفظ الدنيوي قد يشترك فيه البر والفاجر ، فالله يحفظ على المؤمن دينه ويحول بينه وبين [ق/ ٨ب] ما يفسده عليه بأسباب قد لا يشعر العبد ببعضها وقد يكون يكرهه .

وهذا كما حفظ يوسف ـ عليه السلام ـ قال : ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف : ٢٤] فمن أخلص لله خلصه الله من السوء والفحشاء وعصمه منها من حيث لا يشعر، وحال بينه وبين أسباب المعاصي المهلكة .

كما رأى معروف الكرخي شبابًا يتهافتون في الخروج إلى القتال في فتنة، فقال: اللهم احفظهم ، فقيل له : تدعو لهؤلاء ؟ فقال : إن حفظهم لم يخرجوا إلى القتال .

وسمع عمر ـ رضي الله عنه ـ رجلا يقول : اللهم إنك تحول بين المرء وقلبه، فَحُلْ بيني وبين معاصيك . فأعجب ذلك عمر ودعا له بخير (١) .

وروي عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ [الأنفال : ٢٤] قال : يحول بين المؤمن وبين المعصية التي تجره إلى النار (٢) .

حج بعض المتقدمين فبات بمكة مع قوم فهمَّ بمعصية ، فسمع هاتفًا يهتف يقول: ويلك ، ألم تحج ؟ فعصمه الله مما هم به .

---

(١) أخرجه أحمد في « الزهد » صـ ١٤٢ ـ الريان .

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٩ / ١٤٣) بإسناد مسلسل بالضعفاء ، وسبق أن نقلت كلام الشيخ شاكر ـ رحمه الله ـ في التعليق على إسناد العوفيين هذا في تخريجي لـ «اعتقاد الإمام أحمد بن حنبل » للتميمي صـ ٤٣ ـ ٤٥ طبعة دار بلنسية بالرياض فانظره فإنه نفيس .

وخرج بعضهم مع رفقة إلى معصية ، فلما همَّ بمواقعتها هتف به هاتف : ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر : ٣٨] فتركها .

ودخل رجل غيضة ذات شجر فقال : لو خلوت ها هنا بمعصية من كان يراني؟ فسمع [ق/ ١٩] صوتًا ملأ ما بين حافتي الغيضة : ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك : ١٤] .

وهمَّ رجل بمعصية فخرج إليها فمرَّ في طريقه بقاصٍّ يقص على الناس ، فوقف على حلقته فسمعه يقول : أيها الهامُّ بالمعصية ، أما علمت أن خالق الهمة مطلع على همَّتك ؟ فوقع مغشيًّا عليه فما أفاق إلا من توبة .

كان بعض الملوك الصالحين قد تعلق قلبه بمملوك له جميل فخشي على نفسه؛ فقام ليلة واستغاث الله ، فمرض المملوك من ليلته ومات بعد ثلاث .

ومنهم من عُصِمَ بموعظة جرت على لسان من أراد منه الموافقة على المعصية ، كما جرى لأحد الثلاثة الذين دخلوا الغار وانطبقت عليهم الصخرة ، فإنه لما جلس من تلك المرأة مجلس الرجل من امرأته ، قالت له : يا عبد الله ، اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه فقام عنها [١] .

وكذلك الكفل من بني إسرائيل ، كان لا يتورع عن معصية ، فأعجبته امرأة فأعطاها ستين ديناراً ، فلما قعد منها مقعد الرجل من امرأته ارتعدت ، فقال : أكرهتك ؟ قالت : لا ، ولكن عمل ما عملته قط ، وإنما حملني عليه الحاجة .

فقال : تخافين الله ولا أخافه ! ثم قام عنها ووهب لها الدنانير [ق/ ٩ب] وقال : والله لا يعصي الله الكفلُ أبدًا. ومات من ليلته فأصبح مكتوبًا على بابه ، قد غفر الله للكفل .

خرج الإمام أحمد [٢] والترمذي [٣] حديثه هذا من حديث ابن عمر مرفوعًا .

---

(١) أخرجه البخاري (٢٢٧٢) ، ومسلم (٢٧٤٣) .

(٢) (٢/ ٢٣) .

(٣) برقم (٢٤٩٦) وقال : « هذا حديث حسن قد رواه شيبان وغير واحد عن الأعمش =

وراود رجل امرأة عن نفسها وأمرها بغلق الأبواب ففعلت ، وقالت له : قد بقي باب واحد ، قال : وأي باب هو ؟ قالت : الباب الذي بيننا وبين الله ـ عز وجل ـ فلم (يعرض) (*) لها .

وراود رجل أعرابية ، قال لها : ما يرانا إلا الكواكب ، قالت : فأين مكوكبها ؟!

وهذا كله من ألطاف الله وحيلولته بين العبد ومعصيته .

قال الحسن ـ وذكر أهل المعاصي ـ : هانوا عليه فعصوه ، ولو عزوا عليه لعصمهم .

وقال بشر : ما أصر على معصية الله كريم، ولا آثر الدنيا على الآخرة حكيم.

ومن أنواع حفظ الله لعبده في دينه : أن العبد قد يسعى في سبب من أسباب الدنيا ، إما الولايات أو التجارات أو غير ذلك ، فيحول الله بينه وبين ما أراده لما يعلم له من الخيرة في ذلك وهو لا يشعر مع كراهته لذلك .

قال ابن مسعود : إن العبد ليهم بالأمر من التجارة والإمارة حتى ييسر له ، فينظر الله إليه فيقول للملائكة : اصرفوه عنه ، فإني إن يسرته له أدخلته النار. فيصرفه الله [ق/١١٠] عنه ، فيظل يتطير، يقول : سبقني فلان ، دهاني فلان ، وما هو إلا فضل الله عز وجل.

= نحو هذا ورفعوه ، وروى بعضهم عن الأعمش فلم يرفعوه ، وروى أبو بكر بن عياش هذا الحديث عن الأعمش فأخطأ فيه ، وقال عن عبد الله بن عبد الله عن سعيد ابن جبير عن ابن عمرو، وهو غير محفوظ، وعبد الله بن عبد الله الرازي هو كوفي..» الخ . وقال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (١ / ٢٢٦) : رواه الترمذي من حديث الأعمش به وقال : حسن ، وذكر أن بعضهم رواه فوقفه على ابن عمر ، فهو حديث غريب جداً ، وفي إسناده نظر ، فإن سعداً هذا قال أبو حاتم: لا أعرفه إلا بحديث واحد ، ووثقه ابن حبان ، ولم يرو عنه سوى عبد الله الرازي هذا فالله أعلم .

(*) يتعرض : « نسخة » .

وأعجب من هذا أن العبد قد يطلب بابًا من أبواب الطاعات ، ولا يكون فيه خيرة ، فيحول الله بينه وبينه صيانة له وهو لا يشعر

وخرج الطبراني [1] وغيره [2] حديث أنس مرفوعًا « يقول الله عز وجل إن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا الفقر ، وإن بسطت عليه أفسده ذلك، وإن

---

(1) كما في جامع العلوم والحكم للمصنف (١ / ٣٥٩ ـ دار المعرفة) قال ابن رجب خرجه الطبراني وغيره من حديث الحسن بن يحيى الخشني عن هشام الكناني عن أنس عن النبي ﷺ عن جبريل عن ربه تعالى قال : « من أهان لي وليًا ... فذكره .
قال ابن رجب : والخشني وصدقة ضعيفان ، وهشام لا يعرف ، وسئل ابن معين عن هشام هذا من هو ؟ قال : لا أحد ، يعني لا يعتبر به ، وقد خرج البزار بعض الحديث من طريق صدقة بن عبد الكريم الجزري عن أنس . اهـ .
قال العلامة الألباني رحمه الله في الصحيحة (٤ / ١٨٨ ـ ١٨٩) : وأما حديث أنس فلم يعزه الهيثمي إلا للطبراني في « الأوسط » مختصرًا جدًا بلفظ « من أهان لي وليًا فقد بارزني بالمحاربة » وقال : وفيه عمر بن سعيد أبو حفص الدمشقي وهو ضعيف.
وقال الألباني : وقد وجدته من طريق أخرى بأتم منه يرويه الحسن بن يحيى قال حدثنا صدقة بن عبد الله عن هشام الكناني عن أنس به نحو حديث الترجمة ، وزاد «وإن من عبادي المؤمنين ... » إلخ .
قال الألباني : أخرجه محمد بن سليمان الربعي في « جزء من حديثه » (ق ٢١٦ / ٢) ، والبيهقي في « الأسماء والصفات » (صـ ١٢١)
قلت : وإسناده ضعيف ، مسلسل بالعلل
الأولى : هشام الكناني لم أعرفه ....
الثانية : صدقة بن عبد الله ـ وهو أبو معاوية السمين ـ ضعيف .
الثالثة: الحسن بن يحيى ـ وهو الخشني ـ وهو صدوق كثير الغلط كما في «التقريب». اهـ.

(2) وأخرجه ابن أبي الدنيا في « الأولياء » (1) ، وأبو نعيم في الحلية (٨ / ٣١٨ ـ٣١٩) ولفظه : « من أهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة ، وما ترددت في شيء أنا فاعله ما ترددت في قبض نفس عبدي المؤمن ، يكره الموت وأنا أكره مساءته ولا بد له منه ، وإن من عبادي المؤمنين من يريد بابًا من العلم فاكفه عنه .. الحديث .
قال أبو نعيم : غريب من حديث أنس لم يروه عنه بهذا السياق إلا هشام الكناني وعنه صدقة بن عبد الله أبو معاوية الدمشقي ، تفرد به الحسن بن يحيى الحسني .

من عبادي من لايصلح إيمانه إلا الغنى ، ولو أفقرته لأفسده ذلك ، وإن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا الصحة ، ولو أسقمته لأفسده ذلك ،وإن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا السقم ولو أصححته لأفسده ذلك ، وإن من عبادي من يطلب بابا من العبادة فأكفه عنه لكي لا يدخله العجب ، إني أدبر عبادي بعلمي بما في قلوبهم إني عليم خبير » .

كان بعض المتقدمين يكثر سؤال الشهادة ، فهتف به هاتف : إنك إن غزوت أسرت وإن أسرت تنصرت . فكف عن سؤاله .

وفي الجملة : فمن حفظ حدود الله وراعى حقوقه ، تولى الله حفظه في أمور دينه ودنياه ، وفي دنياه وآخرته .

وقد أخبر الله تعالى في كتابه أنه وليُّ المؤمنين ، وأنه [ق/١٠ ب] يتولى الصالحين ، وذلك يتضمن أنه يتولى مصالحهم في الدنيا والآخرة ، ولا يكلهم إلى غيره ، قال تعالى : ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ [البقرة: ٢٥٧] .

وقال تعالى : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ [محمد : ١١] .

وقال : ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾[الطلاق : ٣] .

وقال : ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾ [الزمر : ٣٦] .

فمن قام بحقوق الله عليه فإن الله يتكفل له بالقيام بجميع مصالحه في الدنيا والآخرة ؛ فمن أراد أن يتولى الله حفظه ورعايته في أموره كلها فليراع حقوق الله عليه ، ومن أراد ألا يصيبه شيء مما يكره فلا يأت شيئًا مما يكرهه الله منه .

كان بعض السلف يدور على المجالس ويقول : من أحب أن تدوم له العافية فليتق الله .

وقال العمري الزاهد لمن طلب منه الوصية : كما تحب أن يكون الله لك ،

فهكذا كن لله ـ عز وجل

وقال صالح بن عبد الكريم يقول الله ـ عز وجل ـ « وعزتي وجلالي لا أطلع على قلب عبد أعلم أن الغالب عليه حب التمسك بطاعتي ، إلا توليت سياسته وتقويمه » .

وفي بعض الكتب المتقدمة : يقول الله عز وجل « يا ابن آدم ، ألا تعلمني ما يضحكك ؟! يا ابن آدم ، اتقني ونم حيث شئت » .

والمعنى : أنك إذا قمت بما عليك لله من حقوق التقوى فلا تهتم بعد ذلك بمصالحك ، فإن الله هو أعلم بها منك ، وهو يوصلها إليك على أتم الوجوه [ق/١١١] من غير اهتمام منك بها

وفي حديث جابر عن النبي ﷺ « من كان يحب أن يعلم منزلته عند الله ، فلينظر كيف منزلة الله عنه ، فإن الله ينزل العبد منه ، حيث أنزله من نفسه » (١)

فهذا يدل على أنه على قدر اهتمام العبد بحقوق الله وبأداء حقوقه ومراعاة حقوقه ومراعاة حدوده ، واعتنائه بذلك وحفظه له يكون اعتناؤه به وحفظه له ، فمن كان غاية همه رضا الله عنه وطلب قربه ومعرفته ومحبته وخدمته ، فإن الله يكون له على حسب ذلك كما قال تعالى : ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ [البقرة ١٥٢] ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ [البقرة : ٤٠] بل هو سبحانه أكرم الأكرمين ، فهو يجازي بالحسنة عشراً ويزيد ، ومن تقرّب منه شبراً تقرب منه ذراعًا . ومن تقرّب منه ذراعًا تقرّب منه باعًا ، ومن أتاه يمشي أتاه هرولة .

فما يؤتى الإنسان إلا من قِبل نفسه ولايصيبه المكروه إلا من تفريطه في حق

---

(١) أخرجه أبو يعلي (١٨٦٥، ٢١٣٨) ، والطبراني في « الأوسط » (٢٥٠١) والحاكم (١/ ٤٩٤) وصححه ، وتعقبه الذهبي في « التلخيص » بقوله قلت عمر ضعيف.
وقال الطبراني : لا يروى هذا عن جابر إلا بهذا الإسناد تفرد به عمر
وذكره الهيثمي في « المجمع » (١٠/ ٧٧) وقال : وفيه عمر بن عبد الله مولى غفرة وقد وثقه غير واحد وضعفه جماعة ، وبقية رجالهم رجال الصحيح
وقال الطبراني : لا يروى هذا عن جابر إلا بهذا الإسناد تفرد به عمر

ربه ـ عز وجل .

كما قال علي ـ رضي الله عنه ـ : لا يرجوَنَّ عبد إلا ربه ، ولا يخافنَّ إلا ذنبه .

وقال بعضهم : من صَفَّى صُفِّي له ، ومن خَلَّطَ خُلِّطَ عليه .

وقال مسروق : من راقب الله في خطرات قلبه ، عصمه الله في حركات جوارحه .

وبسط هذا المعنى يطول جداً ، وفيما أشرنا إليه كفاية ، ولله الحمد .

* * *

وقوله ﷺ :
[ق/ ١١ب] « احفظ الله تجده أمامك »
وفي رواية أخرى : « تجاهك »

معناه أن من حفظ حدود الله وراعى حقوقه ، وجد الله معه في جميع الأحوال ، يحوطه وينصره ويحفظه ويوفقه ويؤيده ويسدده ، فإنه قائم على كل نفس بما كسبت ، وهو تعالى مع الذين اتقوا والذين هم محسنون .

قال قتادة : ومن يتق الله يكن معه ، ومن يكن الله معه فمعه الفئة التي لا تغلب ، والحارس الذي لا ينام ، والهادي الذي لا يضل .

كتب بعض السلف إلى أخ له أما بعد ؛ فإن كان الله معك فمن تخاف ؟ وإن كان عليك فمن ترجو ؟ والسلام .

وهذه المعية الخاصة بالمتقين ، غير المعية العامة المذكورة في قوله تعالى : ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ [الحديد : ٤] وقوله : ﴿ وَلا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ ﴾ [النساء : ١٠٨] فإن المعية الخاصة تقتضي النصر والتأييد والحفظ والإعانة ، كما قال تعالى لموسى وهارون : ﴿ لا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه : ٤٦] .

وقوله تعالى : ﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة : ٤٠] .

وكان ﷺ قد قال لأبي بكر الصديق رضي الله عنه في تلك الحال :

« ما ظنك باثنين الله ثالثهما ؟ » (١) .

فهذا غير المعنى المذكور في قوله تعالى : ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ ... ﴾ الآية [المجادلة : ٧] .

فإن ذلك عام لكل جماعة ، ومن هذا المعنى الخاص الحديث الإلهي وقوله فيه :

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦٦٣) .

« ولا يزال [ق/ ١١٢] عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها »[(١)] .

إلى غير ذلك من نصوص الكتاب والسنة الدالة على قرب الرب سبحانه ممن أطاعه واتقاه ، وحفظ حدوده وراعاه .

ودخل بُنان الحمال البرية على طريق تبوك فاستوحش ، فهتف به هاتف : لم تستوحش ، أليس حبيبك معك ؟

فمن حفظ الله وراعى حقوقه وجده أمامه وتجاهه على كل حال ، فاستأنس به واستغن به عن خلقه .

وفي الحديث :

« أفضل الإيمان أن يعلم العبد أن الله معه حيث كان » خرجه الطبراني[(١)] وغيره[(٢)] . وبسط هذا القول يطول جداً .

كان بعض العلماء الربانيين كثير السفر على التجريد وحده ، فخرج الناس مرة معه يودعونه فردهم ، وأنشد :

إذا نحن أدلجنا وأنت أَمَامَنَا   كفى لمطايانا بذكراك هاديًا

وكان الشبلي ينشد هذا البيت ، وربما قطع مجلسه عليه .

* * *

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٠٢) .

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط (٨٧٩٦) من حديث عبادة بن الصامت .

وقال الهيثمي في « المجمع » (١/ ٦٠) : رواه الطبراني في الأوسط والكبير ، تفرد به عثمان بن كثير ، قلت : ولم أر من ذكره بثقة ولا جرح . اهـ .

(٣) وأخرجه أبو نعيم في الحلية (٦ / ١٢٤) وقال : غريب من حديث عروة ، لم نكتبه إلا من حديث محمد بن مهاجر .

قوله ﷺ :
« تعرف إلى الله في الرخاء ، يعرفك في الشدة »

المعنى : أن العبد إذا اتقى الله وحفظ حدوده وراعى حقوقه في حال رخائه وصحته ، فقد تعرف بذلك إلى الله وكان بينه وبينه معرفة ، فعرفه ربه في الشدة وعرف له عمله في الرخاء ، فنجاه من الشدائد بتلك المعرفة

[ق/ ١٢ب] وهذه أيضًا معرفة خاصة تقتضي القرب من الله عز وجل ، ومحبته لعبده ، وإجابته لدعائه ، وليس المراد بها المعرفة العامة فإن الله لا يخفى عليه حال أحد من خلقه ، كما قال تعالى : ﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ ﴾ [النجم ٣٢] وقال : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ ﴾ [ق : ١٦] .

وهذا التعرف الخاص هو المشار إليه في الحديث الإلهي :

« ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه - إلى أن قال - : ولئن سألني لأعطينّه ، ولئن استعاذني لأعيذنّه »[١] .

اجتمع الفضيل بشعوانة العابدة فسألها الدعاء ، فقالت : يا فضيل ، وما بينك وبينه ؟ ما إن دعوته أجابك : فشهق الفضيل شهقة خرّ مغشيًا عليه .

وقال أبو جعفر السائح : أتى الحسن إلى حبيب أبي محمد هاربًا من الحَجَّاج، فقال : يا أبا محمد احفظني من الشُّرَط ، هم على إثري .

فقال : استحييت لك يا أبا سعيد، أليس بينك وبينه من الثقة ما تدعوه فيسترك من هؤلاء ؟! ادخل البيت فدخل الشرط على إثره فلم يروه .

(١) تقدم تخريجه .

فذكروا ذلك للحجاج فقال : بل كان في بيته إلا أن الله طمس أعينهم فلم يروه.

ومتى حصل هذا التعرف الخاص للعبد حصل للعبد معرفة خاصة بربه توجب له الأنس به والحياء منه ، وهذه معرفة خاصة غير معرفة المؤمنين العامة .

ومدار العارفين كلهم [ق/ ١١٣] على هذه المعرفة وهذا التعرف ، وإشاراتهم تومئ إلى هذا .

سمع أبو سليمان رجلا يقول : سهرت البارحة في ذكر النساء ، فقال: ويحك ، أما تستحي منه ، يراك ساهراً في ذكر غيره ؟! ولكن كيف تستحي ممن لا تعرف ؟! .

وقال أحمد بن عاصم الأنطاكي : أحب الا أموت حتى أعرف مولاي. وليس معرفته الإقرار به ولكن المعرفة الذي إذا عرفته استحييت منه.

وهذه المعرفة الخاصة والتعرف الخاص [توجب] طمأنينة العبد بربه وثقته به في إنجائه من كل شدة وكرب وتوجب استجابة الرب دعاء عبده.

لما اختفى الحسن البصري من الحجاج قيل له : لو خرجت من البصرة فإنا نخاف أن يدل عليك ، فبكى ثم قال : أخرج من مصري وأهلي وإخواني ؟ إن معرفتي بربي وبنعمته عليّ [تدلني] على أنه سينجيني ويخصلني منه إن شاء الله تعالى ؟ فما ضرهُ الحجاج بشيء ، ولقد كان يكرمه بعد ذلك إكرامًا شديداً ويحسن ذكره .

وقال رجل لمعروف : ما الذي هيجك على الانقطاع والعبادة وذكر الموت والبرزخ والجنة والنار ؟ فقال معروف : أي شيء هذا ، إن مَلِكًا هذا كله بيده ، إن كانت بينك وبينه معرفة كفاك جميع هذا .

ومما يبين هذا ويوضحه الحديث الذي خرجه « الترمذي » [1] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ .

---

(١) برقم (٢٣٨٢) وقال : هذا حديث غريب .

« من سره [ق/ ١٣ب] أن يستجيب الله له عند الشدائد ، فليكثر الدعاء في الرخاء » .

وخرج ابن أبي الدنيا (١) وابن أبي حاتم (٢) وابن جرير (٣) وغيرهم من حديث يزيد الرقاشي عن أنس يرفعه :

« أن يونس عليه السلام لما دعا في بطن الحوت ، قالت الملائكة : يا رب ، هذا صوت معروف من بلاد غريبة فقال الله : أما تعرفون ذلك ؟ قالوا : ومن هو؟ قال : عبدي يونس قالوا : عبدك يونس الذي لم يزل يرفع له عمل متقبل ودعوة مستجابة؟ قال : نعم . قالوا : يا رب ، أفلا ترحم ما كان يصنع في الرخاء فتنجيه من البلاء ؟

قال : بلى . فأمر الله الحوت فطرحه بالعراء » .

قال الضحاك بن قيس : اذكروا الله في الرخاء يذكركم في الشدة ، إن يونس عليه السلام ـ كان يذكر الله ، فلما وقع في بطن الحوت قال الله تعالى : ﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [الصافات : ١٤٣ ـ ١٤٤].

وإن فرعون كان طاغيًا ناسيًا لذكر الله ، فلما أدركه الغرق قال : آمنت، فقال الله تعالى : ﴿ ءَآلْـَٔـٰنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [يونس : ٩١].

وقال رشدين بن سعد : قال رجل لأبي الدرداء أوصني ، فقال : اذكر الله في السراء يذكرك في الضراء .

وقال سلمان الفارسي :إذا كان الرجل دعّاءً في السراء ونزلت [ق/ ١١٤] به ضراء فدعا الله عز وجل ، فقالت الملائكة : صوت معروف . . . فشفعوا له، وإذا كان ليس بدعّاءٍ في السراء فنزلت به ضراء ، فدعا الله عز وجل قالت

(١) في « الفرج بعد الشدة » (ص ٢٥) .
(٢) كما في تفسير ابن كثير (٤ / ٢١) .
(٣) في تفسيره (٢٤ / ٦٤) وفي إسناده يزيد الرقاشي وهو متروك .

الملائكة: صوت ليس بمعروف ، فلا يشفعون له .

وحديث الثلاثة الذين دخلوا الغار [1] (وأطبقت) (*) عليهم الصخرة يشهد لهذا أيضًا ؛ فإنهم فُرِّجَ عنهم بدعائهم لله بما كان سبق منهم من الأعمال الصالحة الخالصة في حال الرخاء : من بر الوالدين ، وترك الفجور ، وأداء الأمانة الخفية.

فإذا علم أن التعرف إلى الله في الرخاء يوجب معرفة الله لعبده في الشدة ، فلا شدة يلقاها المؤمن في الدنيا أعظم من شدة الموت ، وهي أهون مما بعدها إن لم يكن مصير العبد إلى خير ، وإن كان مصيره إلى خير ، فهي آخر شدة يلقاها .

فالواجب على العبد الاستعداد للموت قبل نزوله بالأعمال الصالحة والمبادرة إلى ذلك ، فإنه لا يدري المرء متى تنزل به هذه الشدة من ليل أو نهار .

وذكر الأعمال الصالحة عند الموت مما يحسن ظن المؤمن بربه ، ويهون عليه شدة الموت ويقوي رجاءه .

قال بعضهم : كانوا يستحبون أن يكون للمرء خبيئة من عمل صالح ، ليكون أهون عليه عند نزول الموت أو كما قال .

وكانوا يستحبون أن يموت (الرجل) (**) عقب طاعة عملها من حج [ق/ ١٤ب] أو جهاد أو صيام .

وقال النخعي : كانوا يستحبون أن يلقنوا العبد محاسن عمله عند موته لكي يحسن ظنه بربه .

قال أبو عبد الرحمن السُّلمي في مرضه : كيف لا أرجو ربي وقد صمت له ثمانين رمضان ؟!.

ولما احتُضِر أبو بكر بن عياش وبكوا عليه قال : لا تبكوا ، فإني ختمت

(١) تقدم تخريجه .

(*) وانطبقت : نسخة » .

(**) المرء : « نسخة » .

القرآن في هذه الزاوية ثلاث عشرة ألف ختمة .

وروي عنه أنه قال لابنه : أترى أن الله يضيع لأبيك أربعين سنة يختم القرآن كل ليلة ؟ .

وقال بعض السلف لابنه عند موته ورآه يبكي : لا تبك فما أتى أبوك فاحشة قط .

وختم آدم بن أبي إياس القرآن وهو مسجى للموت ثم قال : بحبي لك إلا رفقت بي في هذا المصرع ، كنت أؤملك لهذا اليوم ، كنت أرجوك ، لا إله إلا الله . ثم قضى رحمه الله .

وكان عبد الصمد الزاهد يقول عند موته : سيدي ، لهذه الساعة خبأتك ، ولهذا اليوم اقتنيتك حقق حسن ظني بك .

وقال ابن عقيل عند موته وقد بكى النسوة : قد وَقَّعْتُ عنه خمسين سنة ، فدعوني أتهنأ بلقائه .

ولما هجم القرامطة على الحُجَّاج وقتلوهم في الطواف ، وكان علي بن باكويه الصوفي يطوف فلم يقطع (الطواف) (*) وَالسيوف تأخذه [ق/ ١١٥] حتى وقع ، فأنشد :

ترى المحبين صرعى في ديارهم كفتية الكهف لا يدرون كم لبثوا

تالله لو حلف الأحباب أنهم موتى من البين يوم البين ما حنثوا

فمن أطاع الله واتقاه وحفظ حدوده في حياته تولاه الله عند وفاته، وتوفاه على الإيمان ، وثبته بالقول الثابت في القبر عند سؤال الملكين ، ودفع عنه عذاب القبر ، وآنس وحشته في تلك الوحدة والظلمة .

قال بعض السلف : إذا كان الله معك عند دخول القبر ، فلا بأس عليك ولا وحشة .

ورؤي بعض العلماء الصالحين في النوم بعد موته ، فسئل عن حاله فقال :

(*) طوافه : « نسخة » .

يؤنسني ربي عز وجل .

فمن كان الله أنيسه في خلواته في الدنيا ، فإنه يرجى أن يكون أنيسه في ظلمات اللحود إذا فارق الدنيا وتخلى عنها ، وفي هذا المعنى يقول بعضهم :

فيا رب كن لي مؤنسًا يوم وحشتي   فإني (بما) (*) أنـــزلته لمصـــــدق

وما ضرني أني إلى الله صــــائر   ومن هو من أهلي أبر وأرفــق

وكذلك أهوال القيامة وأفزاعها وشدائدها ، إذا تولى الله عبده المطيع له في الدنيا ، أنجاه من ذلك كله .

قال قتادة في قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴾ [الطلاق: ٢] قال : من الكرب عند الموت [ق/ ١٥ب] ومن أفزاع يوم القيامة .

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس [رضي الله عنهما] في هذه الآية: ننجيه من كل كرب في الدنيا والآخرة (١) .

وقال زيد بن أسلم في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ [الأحقاف : ١٣] قال : يُبَشَّر في ذلك عند موته ، وفي قبره ويوم يبعث ، فإنه لفي الجنة وما ذهبت فرحة البشارة من قلبه .

وقال ثابت البناني في هذه الآية : بلغنا أن المؤمن حيث يبعثه الله من قبره يتلقاه ملكاه اللذان كانا معه في الدنيا فيقولان له : لا تخف ولا تحزن، فيؤمِّن الله خوفه ويقر الله عينه ، فما من عظيمة تغشى الناس يوم القيامة إلا وهي للمؤمن قرة عين ، لما هداه الله ولما كان يعمل في الدنيا. خرج ذلك كله ابن أبي حاتم وغيره .

وأما من لم يتعرف إلى الله في الرخاء ، فليس له من يعرفه في الشدة لا في الدنيا ولا في الآخرة .

وشواهد هذا مشاهدة حالهم في الدنيا ، وحالهم في الآخرة أشد ، وما لهم من ولي ولا نصير .

---

(١) أخرجه ابن جرير في « تفسيره » (٢٨ / ٨٩) .   (*) لما : « نسخة » .

وقوله ﷺ : « إذا سألت فاسأل الله »

أمر بإفراد الله عز وجل بالسؤال ونهي عن سؤال غيره من الخلق ، وقد أمر الله تعالى بسؤاله ، فقال : ﴿وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ﴾ [النساء : ٣٢] .

وفي « الترمذي » (١) عن ابن مسعود مرفوعًا :

« سلوا الله من فضله [ق/ ١١٦] فإن الله يحب أن يُسأل » .

وفيه (٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا : « من لا يسأل الله يغضب عليه» .

وفيه أيضًا (٣) : « إن الله يحب الملحين في الدعاء » .

---

(١) برقم (٣٥٧١) وقال : هكذا روى حماد بن واقد هذا الحديث وقد خولف في روايته . وحماد بن واقد هذا هو الصفار ليس بالحافظ وهو عندنا شيخ بصري .
وروى أبو نعيم هذا الحديث عن إسرائيل عن حكيم بن جبير عن رجل عن النبي ﷺ مرسل وحديث أبي نعيم أشبه أن يكون أصح . اهـ .

(٢) برقم (٣٣٧٣) وقال الترمذي : وروى وكيع وغير واحد عن أبي المليح هذا الحديث، ولا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وأبو المليح اسمه : صبيح ، سمعت محمدًا يقوله وقال: يقال له الفارسي.

(٣) ليس هذا الحديث في سنن الترمذي ، ولم يعزه للترمذي غير ابن رجب ، وقد أخرجه العقيلي في « الضعفاء » (٤ / ٤٥٢) ، وابن عدي في « الكامل » (٧ / ١٦٣) كلاهما من طريق بقية عن يوسف بن السفر عن الأوزاعي عن الزهري عن عروة عن عائشة مرفوعًا .
وأخرجه الطبراني في الدعاء (٢٠) ، والبيهقي في الشعب (١١٠٨) والقضاعي في مسند الشهاب (١٠٦٩) كلهم من طريق بقية عن الأوزاعي به إسقاط يوسف بن السفر من السند .
قال العقيلي عن يوسف بن السفر : يحدث بمناكير ثم ذكر هذا الحديث له
وقال ابن عدي بعد أن ذكر تجريح الأئمة له : وهذا كان بقية يرويه أحيانًا عن =

وفي حديث آخر :

« ليسأل أحدكم ربه حاجته كلها حتى يسأله شسع نعله إذا انقطع »[1].

وفي هذا المعنى أحاديث كثيرة ، وفي النهي عن سؤال الخلق أحاديث كثيرة صحيحة .

وفي حديث (ابن مسعود) (*) مرفوعًا :

= الأوزاعي نفسه ، فسقط يوسف لضعفه ، وربما قال : ثنا يوسف بن السفر عن الأوزاعي ، وربما كناه فيقول : عن أبي الفيض ، عن الأوزاعي وكل ذلك يضعفه ، لأن الحديث يرويه يوسف عن الأوزاعي .

ثم قال ابن عدي : وهذه الأحاديث التي رواها يوسف عن الأوزاعي بواطيل كلها .

وقال البيهقي بعد أن ساق الحديث وفيه تصريح بقية بالتحديث عن الأوزاعي : هكذا قال : ثنا الأوزاعي ، وهو خطأ .

وسئل أبو حاتم الرازي عن هذا الحديث كما في العلل لابنه (٢ / ١٩٩) برقم (٢٠٨٧) من رواية بقية عن الأوزاعي فقال : هذا حديث منكر ، نرى أن بقية دلسه عن ضعيف عن الأوزاعي .

وقال الحافظ ابن حجر في « التلخيص الحبير » (٢/ ٩٥) برقم (٧١٥) عن هذا الحديث : تفرد به يوسف بن السفر عن الأوزاعي ، وهو متروك، وكان بقية ربما دلسه.

(١) أخرجه الترمذي (٣٦٨٢) ، وابن حبان (٨٦٦ ، ٨٩٤ ، ٨٩٥) ، وابن عدي في «الكامل » (٦/ ٥٣) . قال الترمذي : هذا حديث غريب ، وروى غير واحد هذا الحديث عن جعفر بن سليمان عن ثابت البناني عن النبي ﷺ ، ولم يذكروا فيه عن أنس . ثم ساق الترمذي حديث ثابت البناني المرسل برقم (٣٦٨٣) وقال : وهذا أصح من حديث قطن عن جعفر بن سليمان . وقال ابن عدي عن قطن بن نسير : بصري يسرق الحديث ويوصله . قال ابن عدي : وحدثناه البغوي ، ثنا القواريري ، ثنا جعفر ، عن ثابت عن أنس عن النبي ﷺ نحوه ، فقال رجل للقواريري : إن لي شيخًا يحدث به عن جعفر عن ثابت ، عن أنس ، فقال القواريري: باطل ، وهذا كما قال.

وقال ابن حبان (٨٩٥) : أخبرنا أحمد بن علي بن المثنى بخبر غريب ، واستدرك الشيخ محمد بن ناصر العجمي ـ حفظه الله ـ في تخريجه للحديث لنفس الرسالة هذه ص ٦٧ على المطبوع من كتاب الكامل لابن عدي ، فجعل رواية القواريري مرسلة ثم قال : والتصويب من تهذيب التهذيب (٨ / ٣٨٢) ، والميزان (٣ / ٣٩١) .

تنبيه ! سقط هذا الحديث من نسخة الترمذي المطبوعة بتحقيق إبراهيم عطوة ، وخرجته من النسخة المشروحة المسماة بـ « تحفة الأحوذي » .

(*) هكذا في « الأصل » ، وفي التخريج « مسعود بن عمرو » .

«لا يزال العبد يسأل وهو غني حتى يخلق وجهه فما يكون له عند الله وجه»(1).

وقد بايع النبي ﷺ جماعة من أصحابه على أن لا يسألوا الناس شيئًا(2)، منهم : أبو بكر الصديق ، وأبو ذر ، وثوبان ، وكان أحدهم يسقط سوطه أو خطام ناقته فلا يسأل أحدًا أن يناوله .

واعلم أن سؤال الله تعالى دون خلقه هو المتعين عقلا وشرعًا وذلك من وجوه متعددة منها : أن السؤال فيه بذل لماء الوجه وذلة للسائل ، وذلك لا يصلح إلا لله وحده ، فلا يصلح الذل إلا له بالعبادة والمسألة ، وذلك من علامات المحبة الصادقة .

سئل يوسف بن الحسين ما بال المحبين يتلذذون بذلهم في المحبة ؟ فأنشد :

ذل الفتى في الحب مكرمة وخضـوعه لحبـيـبه شـرف

وهذا الذل وهذه المحبة لا تصلح إلا لله وحده وهذا هو حقيقة العبادة التي يختص بها الإله الحق .

كان [ق/ ١٦ ب] الإمام أحمد رحمه الله يقول في دعائه : اللهم كما صنت وجهي عن السجود لغيرك (فصنه) (*) عن المسألة لغيرك .

وقال أبو الخير الأقطع : كنت بمكة سنة فأصابتني فاقة وضر ، فكنت كلما

---

(1) أخرجه البزار (٩١٩) والطبراني (٢٠/ ص ٣٣٣ برقم ٧٩٠) من حديث مسعود بن عمرو ، وذكره الهيثمي في « المجمع » (٣/ ٩٦) وقال : رواه البزار والطبراني في الكبير ، وفيه محمد بن أبي ليلى وفيه كلام . وأورد هذا الحديث ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٨ / ٢٨٢) وقال : وهذا الحديث منكر .
وله شاهد من حديث عمر أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ١٦٤) قال أبو نعيم: ثابت من حديث حمزة ، غريب من حديث صفوان ، تفرد به عنه عبد الله بن أبي جعفر وإبراهيم بن أبي يحيى الأسلمي .

(2) أخرجه مسلم (١٠٤٣) من حديث عوف بن مالك .

(*) كتب في هامش الأصل :فصن وجهي . وكتب فوقه : دعاء لطيف .

أردت أن أخرج إلى المسألة هتف بي هاتف يقول : الوجه الذي يسجد لي تبذله لغيري ؟

وفي هذا المعنى يقول بعضهم :

ما اعتاض باذل وجهه بسؤاله   بدلا وإن نال الغنى بسؤال

وإذا السؤال مع النوال وزنته   رجح السؤال وخف كل نوال

فإذا ابتليت ببذل وجهك سائلا   فابذله للمتكرم المفضال

ولهذا المعنى كان عقوبة من أكثر المسألة بغير حاجة أن يأتي يوم القيامة وليس على وجهه مزعة لحم ، كما ثبت ذلك في « الصحيحين » (1) لأنه أذهب عز وجهه وصيانته وماءه في الدنيا ، فأذهب الله من وجهه في الآخرة جماله وبهاءه الحسي فيصير عظمًا بغير لحم ويذهب جماله وبهاؤه المعنوي ، فلا يبقى له عند الله وجاهة.

ومنها أن في سؤال الله عبودية عظيمة ؛ لأنها إظهار للافتقار إليه ، واعتراف بقدرته على قضاء الحوائج ، وفي سؤال المخلوق ظلم ، لأن المخلوق عاجز عن جلب النفع لنفسه ودفع الضر عنها ، فكيف يقدر على ذلك لغيره ؟ وسؤاله إقامة له مقام من يقدر وليس هو بقادر .

ويشهد لهذا المعنى [ق/ ١١٧] الحديث الذي في « صحيح مسلم » (2) عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ .

« يا عبادي ، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني ، فأعطيت كل إنسان مسألته ، ما نقص ذلك مما عندي ، إلا كما ينقص المخيط إذا (غمس) (*) في البحر » .

وفي الترمذي (3) وغيره زيادة في هذا الحديث وهي :

---

(1) أخرجه البخاري (١٤٧٤) ، ومسلم (١٠٤٠) .

(2) برقم (٢٥٧٧) .

(*) أدخل : « نسخة » ، وهو الموافق لما في صحيح مسلم المطبوع .

(3) (٢٤٩٥) وقال : هذا حديث حسن . وروى بعضهم هذا الحديث عن شهر بن حوشب عن معدي كرب عن أبي ذر عن النبي ﷺ نحوه .

« وذلك بأني جوادٌ واجدٌ ماجدٌ أفعل ما أريد ، عطائي كلامٌ ، وعذابي كلامٌ، إذا أردت شيئًا فإنما أقول له كن فيكون » .

فكيف يسأل الفقير العاجز ويترك الغني القادر ؟ إن هذا لأعجب العجب!

قال بعض السلف : إني لأستحي من الله أن أسأله الدنيا وهو (يملكها) (*) فكيف أسألها من لا يملكها ؟! يعني : المخلوق .

وحصل لبعض السلف ضيق في معيشته حتى هم أن يطلب من بعض إخوانه، فرأى في منامه قائلا يقول :

أيحسن بالحرِّ المـــــريد

إذا وجد عند الله ما يريد

أن يميل بقلبه إلى العبيـد

فاستيقظ وهو من أغنى الناس قلبًا .

وقال بعض السلف : قرأت في بعض الكتب المنزلة : « يقول الله عز وجل : (أيُؤمّل) (**) غيري للشدائد ؟! والشدائد بيدي وأنا الحي القيوم ، ويرجى غيري ويطرق بابه بالبُكرات ؟! وبيدي مفاتيح الخزائن ،وبابي مفتوح لمن دعاني ، من ذا الذي أمّلني لنائبة فقطعت به [ق/ ١٧ب] أو من ذا الذي رجاني لعظيم فقطعت رجاءه، ومن ذا الذي طرق بابي فلم أفتحه له ؟

أنا غاية الآمال ، فكيف تنقطع الآمال دوني ؟!

أبخيل أنا ؟ فيُبخلني عبدي ! أليس الدنيا والآخرة والكرم والفضل كله لي ؟!

فما يمنع المؤملين أن يؤمّلوني ، لو جمعت أهل السموات والأرض ثم أعطيت كل واحد منهم ما أعطيت الجميع وبلّغت كل واحد منهم أمله ، لم ينقص ذلك من ملكي عضو ذرة .

(*) نسخة : « مالكها » .

(**) نسخة : « يُؤَمَّلُ » .

وكيف ينقص ملك أنا قيّمه ؟؟ فيا بؤسًا للقانطين من رحمتي ، ويا بؤسا لمن عصاني وتوثّب على محارمي » .

ومنها : أن الله يحب أن يُسأل ، ويغضب على من لا يسأله فإنه يريد من عباده أن يرغبوا إليه ويسألوه ويدعوه ويفتقروا إليه ، ويحب الملحين في الدعاء .

والمخلوق غالبًا يكره أن يُسأل لفقره وعجزه .

قال ابن السَّمَّاك : لا تسأل من يفر منك من أن تسأله ، واسأل من أمرك أن تسأله .

وقال أبو العتاهية :

الله يغضب إن تركت سؤاله   وبُنَيّ آدم حين يسأل يغضب
فاجعل سؤالك للإله فإنما   في فضل نعمة ربنا نتقلب

كان يحيى بن معاذ يقول : يا من يغضب على من لا يسأله لا تمنع من قد سألك .

[ق/ ١١٨] وأنشد بعض الأعراب :

أيا مالك لا تسأل الناس والتمس   يكفيك فضل الله فالله أوسع
ولو يسأل الناس التراب لأوشكوا   إذا قيل هاتوا أن يملوا ويمنعوا

ومنها : « أن الله - تعالى - يستدعي من عباده سؤاله ، وينادي كل ليلة : هل من سائل فأعطيه سؤاله ؟ هل من داع فأستجيب له ؟ »[1] .

وقد قال تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة : ١٨٦] .

فأي وقت دعاه العبد وجده سميعًا قريبًا مجيبًا ليس بينه وبينه حجاب ولا بواب ، وأما المخلوق فإنه يمتنع بالحجاب والأبواب ، ويعسر الوصول إليه في أغلب الأوقات .

---

(١) أخرجه البخاري (١١٤٥) ، ومسلم (٧٥٨) .

قال طاوس لعطاء : إياك أن تطلب حوائجك إلى من أغلق دونك بابه ويجعل دونها حجابه ، وعليك بمن بابه مفتوح إلى يوم القيامة ، أمرك أن تسأله ووعدك أن يجيبك .

وقال وهب بن منبه لبعض العلماء : ألم أخبر أنك تأتي الملوك وأبناء الملوك تحمل إليهم علمك ؟! ويحك تأتي من يغلق عليك بابه ، ويظهر لك فقره ويواري عنك غناه ! وتَدَعُ من يفتح لك بابه بنصف الليل وبنصف النهار ويظهر لك غناه ؟ ويقول : ادعني استجب لك ؟! .

ورأى ميمون بن مهران الناس مجتمعين على باب بعض الأمراء فقال: من كانت له حاجة إلى سلطان فحجبه فإن بيوت الرحمن مُفتحة ، فليأت مسجداً [ق/ ١٨ب] فليصل ركعتين ثم ليسأل حاجته .

وكان بكر المزني يقول : من مثلك يا ابن آدم ؟! متى شئت تطهرت ثم ناجيت ربك ليس بينك وبينه حجاب ولا ترجمان .

وسأل رجل بعض الصالحين أن يشفع له في حاجة إلى بعض المخلوقين ، فقال له : أنا لا أترك بابًا مفتوحًا ، وأذهب إلى باب مغلق .

وفي هذا المعنى يقول بعضهم :

وأفنية الملوك محجبات　　　وباب الله مبذول الفناء

وقال آخر :

قل للذين تحصنوا عن سائل　　　بمنازل من دونها حجّاب

إن حال دون لقائكم بوابكم　　　فالله ليس لبابه بوّاب

ولبعض العلماء :

لا تجلس بباب من　　　يأبى عليك دخول داره

وتقول حاجتي إليه　　　يعوقها إن لم أداره

واتركه واقصد ربها　　　تقضى ورب الدار كاره

وخرَّج ابن أبي الدنيا [1] من حديث أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود « أن رجلا جاء إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله ، إنّ بني فلان أغاروا عليَّ فذهبوا بابني وإبلي . فقال له النبي ﷺ : **إن آل محمد كذا وكذا أهل بيت ما لهم مد من طعام أو صاع ، فسل الله عز وجل .**

فرجع إلى امرأته ، فقالت : ما قال لك ؟ [ق/ ١١٩] فأخبرها ، فقالت : نِعْمَ ما ردّ عليك . فما لبث أن رد الله عليه ابنه وإبله أوفر ما كانت .

فأتى النبي ﷺ فأخبره فصعد النبي ﷺ المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، وأمر الناس بمسألة الله عز وجل والرغبة إليه ، وقرأ عليهم : ﴿ **وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ** ﴾ [الطلاق : ٢، ٣] » .

وسأل رجل ثابتًا البناني أن يشفع له إلى قاض في قضاء حاجة له ، فقام ثابت معه ، فكان كلما مر بمسجد في طريقه دخل فصلى فيه ودعا ، فما وصل إلى مجلس القاضي إلا وقد قام منه ، فعاتبه طالب الحاجة في ذلك فقال : ما كنت إلا في حاجتك . فقضى الله حاجته ، ولم يحتج إلى القاضي .

وكان إسحاق بن عباد البصري نائمًا ، فرأى في منامه قائلا يقول له : أغث الملهوف . فاستيقظ فسأل : هل في جيرانه محتاج ؟ قالوا : ما ندري ؟ ثم نام فأتاه ثانيًا وثالثًا ، فقال له : أتنام ولم تغث الملهوف ؟ فقام وأخذ معه ثلاثمائة درهم ، وركب بغله فخرج به إلى البصرة حتى وقف به على باب مسجد يُصلى فيه على الجنائز ، فدخل المسجد فإذا رجل يصلي فلما أحسَّ به انصرف فدنا منه ، فقال له : يا عبد الله ، في [ق/ ١١٩ب] هذا الوقت ؟ في هذا الموضع ؟! ما حاجتك؟! قال : أنا رجل كان رأس مالي مائة درهم فذهبت من يدي ولزمني دين مائتا درهم . فأخرج له الدراهم وقال : هذه ثلاثمائة درهم خذها . فأخذها ثم قال له: أتعرفني ؟ قال : لا .

قال : أنا إسحاق بن عباد ، فإن نابتك نائبة فأتني فإن منزلي في موضع كذا.

---

(١) في الفرج بعد الشدة (١٠) ، وفي القناعة والتعفف (٥٤) .

فقال له : رحمك الله إن نابتنا نائبة فزعنا إلى من أخرجك في هذا الوقت حتى جاء بك إلينا .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : أصبحنا ذات يوم فقالت أمي لأبي : والله ما في بيتك شيء يأكله ذو كبد . فقام فتوضأ ولبس ثيابه ثم صلى في بيته ، قال : فالتفتت إليّ أمي ، فقالت : إن أباك ليس يزيد على ما ترى ، فاخرج أنت. فخرجت ، فخطر ببالي صديق لنا تمّار فجئت إلى سوقه ، فلما رآني صاح بي وذهب بي إلى منزله وأطعمني ، ثم أخرج لي صرة فيها ثلاثون ديناراً من غير أن أذكر له شيئًا من حالنا إلا ابتداء منه . وقال : اقرأ على أبيك السلام ، وقل له: إنا جعلنا له شركًا في كل شيء من (تجرنا) (*) وهذا نصيبه منه .

وعن شقيق البلخي قال : كنت في بيتي قاعداً فقال لي أهلي :

ترى ما بهؤلاء الأطفال من الجوع ، ولا يحل لك أن تحمل عليهم ما لا طاقة لهم به ؟ قال : فتوضأت ، وكان لي صديق لا يزال [ق/ ١٢٠] يقسم عليّ بالله إن يكن لي حاجة أن أعلمه بها ولا أكتمها عنه فخطر ذكره ببالي ، فلما خرجت من المنزل مررت بالمسجد فذكرت ما روي عن أبي جعفر قال : من عرضت له حاجة إلى مخلوق فليبدأ فيها بالله عز وجل .

فدخلت المسجد وصليت ركعتين ، فلما كنت في التشهد أفرغ عليّ النوم ، فرأيت في منامي أنه قيل : يا شقيق ، أتدل العباد على الله ثم تنساه ! فاستيقظت وعلمت أن ذلك تنبيه نبهني به ربي ، فلم أخرج من المسجد حتى صليت العشاء الآخرة ثم انصرفت إلى المنزل ، فوجدت الذي أردت أن أقصده قد حركه الله وأجرى لأهلي على يديه ما أغناهم .

وعن إبراهيم بن أدهم أنه خرج إلى الغزو مع أصحابه ، وأنهم تناهدوا فوضع كل واحد منهم ديناراً ، ففكر فيمن يقصد من إخوانه ويستقرض منه ثم استفاق فبكى وقال : واسوءتاه أطلب من العبيد ، وأترك مولاهم فيقول لي : من

(*) متجرنا : « نسخة » .

كان أحق أن تطلب منه : أنا أو عبدي ؟ فتوضأ وصلى ركعتين وخرّ ساجداً ، وقال : يا رب ، قد عَلِمْتَ ما كان مني وذلك بخطئي وجهلي فإن عاقبتني عليه فأنا أهل لذلك ، وإن عفوت عني فأنت أهل لذلك [ق/٢٠ب] وقد عرفت حاجتي فاقضها برحمتك . ثم رفع رأسه فإذا هو بنحو أربعمائة دينار فتناول منها ديناراً واحداً وذهب.

وعن أصبغ بن زيد قال : مكثت أنا ومن عندي ثلاثًا لم نطعم شيئًا، فخرجت إليَّ ابنتي الصغيرة وقالت : يا أبة ، الجوع ! فأتيت الميضأة فتوضأت وصليت ركعتين وألهمتُ دعاء دعوت به وفي آخره :

« اللهم افتح عليّ منك رزقًا لا تجعل لأحد عليّ فيه منة ، ولا لك علي في الآخرة فيه تبعة، برحمتك يا أرحم الراحمين » . ثم انصرفت إلى البيت فإذا بابنتي الكبيرة قد قامت إليّ وقالت : يا أبة جاء عمي الساعة بهذه الصرة من الدراهم وحمَّال عليه دقيق ، وحمَّال عليه من كل شيء في السوق ، وقال : أقرئوا أخي السلام ، وقولوا له : إذا احتجت إلى شيء فادع بهذا الدعاء تأتك حاجتك .

قال أصبغ : والله ما كان لي أخ قط ولا أعرف من كان هذا القائل ، ولكن الله على كل شيء قدير !.

وعن الحكم بن موسى قال : أصبحت يومًا ، فقالت لي المرأة : ليس عندنا دقيق ولا خبز ! فخرجت ولا أقدر على شيء ، فقلت في الشارع : « اللهم إنك تعلم أني أعلم أنك تعلم أنه لا دقيق لي ولا خبزاً ـ وقال : ولا دراهم ـ فأتنا بذلك » . فلقيني رجل ، فقال : خبزاً تريد [ق/ ٢١أ] أو دقيقًا ؟

فقلت له : أحدهما ثم مشيت نهاري أجمع لا أقدر على شيء فرجعت فقدّم أهلي إليَّ خبزاً ولحمًا واسعًا ، فقلت : من أين هذا لكم ؟ قالوا : من الذي وجهت به . فَسَكَتُّ .

وعن الأوزاعي قال : رأيت رجلا في الطواف وهو متعلق بأستار الكعبة وهو

يقول : يا رب ، إني فقير كما ترى ، وصبيتي قد عروا كما ترى، وناقتي قد عجفت كما ترى ، فما ترى يا من ترى ولا يُرى ؟

فإذا بصوت من خلفه : يا عاصم ، يا عاصم ، الحق عمك ! فقد هلك بالطائف وقد خلف ألف نعجة ، وثلاثمائة ناقة وأربعمائة دينار ، وأربعة أعبد ، وثلاثة أسياف يمانية ، فامض فخذها فليس له وارث غيرك .

قال : فقلت : يا عاصم ، إن الذي دعوت لقد كان قريبًا منك .

قال : يا هذا ، أما سمعت قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ [البقرة : ١٨٦] .

والآثار والحكايات في هذا المعنى كثيرة جدًّا يطول الكتاب بذكرها ، وهي موجودة في مثل « كتاب الفرج بعد الشدة » و « كتاب مجابي الدعوة » لابن أبي الدنيا ، وفي « كتاب المستصرخين بالله عند نزول البلاء» للقاضي أبي الوليد بن الصفار ، و« كتاب المستغيثين [ق/ ٢١ب] بالله عند نزول البلاء » للحافظ أبي القاسم ابن بشكوال الأندلسيين وفي غيرها من كتب الزهد والرقائق والتواريخ وغيرها .

وروى الشيخ أبو الفرج في « تاريخه الكبير » بإسناده عن الحسن بن سفيان الفسوي الحافظ أنه كان مقيمًا بمصر مع جماعة من أصحابه يكتبون الحديث ، فاحتاجوا فباعوا ما معهم حتى لم يبق لهم ما يباع ، وبقوا ثلاثة أيام جياعًا لا يجدون شيئًا يأكلون وأصبحوا في اليوم الرابع وقد عزموا على المسألة لشدة الضرورة ، فاقترعوا على من يسأل لهم ، فخرجت القرعة على الحسن بن سفيان قال : فتحيرت ودهشت ولم تسامحني نفسي بالمسألة ، فعدلت إلى زاوية المسجد أصلي ركعتين طويلتين وأدعو الله ـ عز وجل ـ لكشف الضر وسياقة الفرج ، فلم أفرغ من الصلاة حتى دخل المسجد رجل معه خادم في يده منديل ، فقال : من منكم الحسن بن سفيان ؟ فرفعت رأسي من السجود وقلت : أنا .

فقال : إن الأمير ابن طولون يقرئكم السلام والتحية ، ويعتذر إليكم في الغفلة عن تفقد أحوالكم والتقصير الواقع في رعاية حقوقكم ، وقد بعث إليكم

بما يكفي نفقة الوقت ، وهو زائر لكم غداً ومعتذراً [ق/ ١٢٢] إليكم بلفظه ووضع (في يد) (*) كل واحد منا صرة فيها مائة دينار ، قال : فتعجبنا وسألناه عن السبب، قال : إنه كان اليوم نائمًا فرأى فارسًا في الهواء يقول له : قم فأدرك الحسن بن سفيان وأصحابه ؛ فإنهم منذ ثلاثة أيام جياع في المسجد الفلاني !

فقال له : من أنت ؟ قال: أنا رضوان صاحب الجنة. قال الحسن : فشكرنا الله ـ عز وجل ـ وأصلحنا أحوالنا وسافرنا تلك الليلة من مصر خشية أن يزورنا الأمير ، فيطلع الناس على أسرارنا فيكون ذلك سبب ارتفاع اسم ، وانبساط جاه، ويتصل ذلك بنوع من الرياء والسمعة.

وروى أيضًا بإسناد له عن محمد بن هارون الروياني أنه اجتمع هو ومحمد ابن نصر المروزي ومحمد بن علويه الورّاق ومحمد بن إسحاق بن خزيمة . . . فذكر معنى هذه الحكاية وأن المصلي والداعي كان هو ابن خزيمة ، وبإسناد آخر أن الأربعة كانوا محمد بن جرير ، ومحمد بن نصر، ومحمد بن خزيمة ، ومحمد بن هارون .

* * *

(*) بين يدي : « نسخة » .

وقوله ﷺ : « وإذا استعنت فاستعن بالله »

لما أمر عليه السلام بحفظ الله والتعرف إليه في الرخاء ، وذلك هو العبادة حقيقة ثم أرشد إلى سؤال الله وحده ودعائه و « الدعاء هو العبادة » كما في حديث النعمان بن بشير عن النبي ﷺ ثم قرأ : ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر : ٦٠] .

خرَّجه أهل السنن [ق/ ٢٢ب] الأربعة [١] .

أرشد بعد ذلك إلى الاستعانة بالله وحده وهذا منتزع من قوله تعالى : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة :٥] وهي كلمة عظيمة جامعة يقال : إن سر الكتب الإلهية كلها ترجع إليها وتدور عليها .

وفي استعانة الله وحده فائدتان :

إحداهما : أن العبد عاجز عن الاستقلال بنفسه في عمل الطاعات.

والثانية : أنه لا معين له على مصالح دينه ودنياه إلا الله عز وجل ، فمن أعانه الله فهو المعان ، ومن خذله الله فهو المخذول .

وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ : « احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ولا تعجز » [٢] .

وكان ﷺ يقول في خطبته ويعلم أصحابه أن يقولوا : « الحمد لله نستعينه ونستهديه » [٣] .

---

(١) أخرجه أبو داود (١٤٧٩) ، والترمذي (٣٣٧٢) ، والنسائي في « الكبرى » برقم (١١٤٦٤) وابن ماجه (٣٨٢٨) . قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٦٤) .

(٣) أخرجه الشافعي في « المسند » بترتيب السندي (ص/ ١/١٤٧) . قال الشيخ =

وأمر معاذ بن جبل أن لا يدع في دبر كل صلاة أن يقول : « اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك »[1] .

وكان من دعائه ﷺ : « يا رب أعني ولا تعن عليّ »[2] .

وفي دعاء القنوت الذي كان يدعو به عمر وغيره :« اللهم إنا نستعينك » .

وفي الأثر المعروف ـ ويقال إن موسى ـ عليه السلام ـ قاله لما ضرب البحر فانفلق ـ : اللهم لك الحمد وإليك المشتكى ، وأنت المستعان وبك المستغاث ، وعليك التكلان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

فالعبد محتاج إلى [ق/ ١٢٣] الاستعانة بالله في فعل المأمورات ، وفي ترك المحظورات ، وفي الصبر على المقدورات كما قال يعقوب ـ عليه السلام ـ لبنيه : ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ [يوسف : ١٨] .

ولهذا قالت عائشة هذه الكلمة لما قال أهل الإفك ما قالوا ، فبرأها الله مما قالوا .

وقال موسى لقومه : ﴿ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا ﴾ [الأعراف: ١٢٨] ، وقال الله لنبيه ﷺ : ﴿قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَٰنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء : ١١٢] ولما بَشّر ﷺ عثمان بالجنة على بلوى تصيبه قال : الله المستعان[3] .

ولما دخلوا على عثمان وضربوه جعل يقول والدماء تسيل عليه : لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، اللهم إني أستعيذ بك عليهم وأستعينك على

= الألباني: رحمه الله في مقدمة المجلد الخامس ص ١ عن لفظة « ونستهديه » بأن هذه الزيادة لا أصل لها في شيء من طرق هذه الخطبة ؛ خطبة الحاجة .

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٢٤٥) ، وأبو داود (١٥٢٢) ، والنسائي (٣/ ٥٣) .

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٢٢٧) ، وأبو داود (١٥١٠) ،والترمذي (٣٥٥١) وقال: هذا حديث حسن صحيح .

(٣) أخرجه مسلم (٢٤٠٣) ، وعنده فقال : اللهم صبراً ، أو الله المستعان .

جميع أموري ، وأسألك الصبر على ما ابتليتني .

وروي عن أبي طلحة أن النبي ﷺ قال في بعض غزواته حين لقي العدو : «يا مالك يوم الدين ، إياك نعبد وإياك نستعين . قال أبو طلحة: فلقد رأيت الرجال تصرعُ »[1] خرَّجه أبو الشيخ الأصبهاني .

فالعبد محتاج إلى الاستعانة بالله في مصالح دينه ودنياه ، كما قال الزبير في وصيته لابنه عبد الله بقضاء دينه : إن عَجزتَ فاستعن بمولاي .

فقال له : يا أبت من مولاك ؟ قال : الله .

قال : فما وقعت في كُربة من دَيْنِهِ إلا قلتُ : يا مولى الزبير ، اقض عنه دينه فيقضيه ؟ .

وقال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ في أول [ق/ ٢٣ب] خطبة خطبها على المنبر : ألا إن العرب جمل أنف قد أَخَذْتُ بخطامه ، ألا وإني حامله على المحجة ومستعين بالله عليه .

وكذلك يحتاج العبد الاستعانة بالله على أهوال ما بين يديه من الموت وما بعده.

لما احتضر خالد بن الوليد قال رجل ممن حوله : والله ، إنه ليسؤه ـ يعني: الموت ـ قال خالد : أجل ، فأستعين الله عز وجل .

وبكى عامر بن عبد الله بن الزبير عند موته وقال : إنما أبكي على حر النهار وبرد القيام ـ يعني : صيام النهار وقيام الليل ـ وقال : إني أستعين الله على مصرعي هذا بين يديه .

ومن كلام بعض المتقدمين : يا رب ، عجبت لمن يعرفك يرجو غيرك ! عجبت لمن يعرفك كيف يستعين بغيرك ! .

(١) أخرجه ابن السني في « عمل اليوم الليلة » (٣٣٤) ، والطبراني في الأوسط (٨١٦٣)، وذكره الهيثمي في « المجمع » (٥/ ٣٢٨) وقال : وفيه عبد السلام بن هاشم وهو ضعيف .

وكتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ : لا تستعن بغير الله فيكلك الله إليه .

وقال بعضهم : فاستعن بالله واستعنه فإنه خير مستعان .

❊ ❊ ❊

وقوله ﷺ : « جف القلم بما هو كائن »
وفي الرواية الأخرى : «رفعت الأقلام وجفت الكتب »
وفي الرواية الأخرى : « وجفت الصحف »

كله كناية عن نفوذ المقادير وكتابتها جميعها في كتاب جامع من أمد بعيد، فإن [ق/ ١٢٤] الكتاب إذا كتب وفرغ من كتابته وبعد عهده فقد رفعت الأقلام عنه وجفت الأقلام التي كُتِبَ به من مدادها وجفت الصحيفة المكتوب فيها بالمداد المكتوب به فيها .

وهذا من (أحسن) (*) الكنايات وأبلغها ، وقد دل الكتاب والسنة الصحيحة على مثل هذا المعنى ، قال الله تعالى : ﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد : ٢٢] .

قال الضحاك عن ابن عباس : إن الله خلق القلم فأمره ليجري بإذنه، وعِظَم القلم كقدر ما بين السماء والأرض ، فقال القلم : بم يا رب أجري؟ قال : بما أنا خالق وكائن في خلقي من قطر أو نبات أو نفس أو أثر - يعني به : العمل - أو رزق أو أجل . فجرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة ، فأثبته الله في الكتاب المكتوب عنده تحت العرش .

وروى أبو ظبيان عن ابن عباس : إن أول شيء خلقه الله القلم ، فقال له : اكتب قال : وما أكتب ؟ قال : القدر . فجرى بما هو كائن إلى أن تقوم الساعة ثم قرأ : ﴿ نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ [القلم : ١] (١) ، وروى أبو الضحى عن ابن عباس نحوه أيضًا (٢) .

(*) أبلغ : « نسخة » .

(١) أخرجه ابن جرير (٢٩ / ٩ ، ١٠) .

(٢) أخرجه ابن جرير (٢٩ / ١٠) .

وروي حديث أبي الضحى مرفوعًا ، ولا يثبت رفعه [1] . وروي ابن بطة بإسناد ضعيف عن [ق/ ٢٤ب] أبي هريرة مرفوعًا : « أول شيء خلقه الله القلم ثم خلق النون، وهي الدواة ثم قال : اكتب . قال : ما أكتب ؟ قال : اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة . فذلك قوله عز وجل : ﴿ نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ ، ثم ختم على القلم فلم ينطق ولا ينطق إلى يوم القيامة » [2].

وخرَّج الإمام أحمد [3] وأبو داود [4] والترمذي [5] من حديث عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ قال : « إن أول ما خَلَق الله القلم ثمَّ قال : اكتب . فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة » .

وفي صحيح مسلم» [6] عن عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ﷺ قال : « إن الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة » .

وخرَّج الإمام أحمد [7] والترمذي [8] والنسائي [9] من حديث عبد الله بن عمرو قال : « خرج علينا رسول الله ﷺ وفي يده كتابان فقال : أتدرون ما هذان الكتابان ؟» فقلنا : لا يا رسول الله ، إلا أن تخبرنا ، فقال : للذي في يده اليمنى : هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (١١/ ٣٤٢ برقم ١٢٢٢٧) وقال : لم يرفعه عن حماد ابن زيد إلا مؤمل بن إسماعيل .
وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ١٢٨) : ومؤمل ثقة كثير الخطأ ، وثقه ابن معين وغيره ، وضعفه البخاري وغيره ، وبقية رجاله ثقات .
(٢) عزاه العجلوني في كشف الخفاء (١/ ٣٠٩) للحكيم الترمذي عن أبي هريرة .
(٣) (٥/ ٣١٧) .
(٤) برقم (٤٧٠٠) .
(٥) برقم (٢١٥٥) وقال : هذا حديث غريب من هذا الوجه .
(٦) برقم (٢٦٥٣) .
(٧) (٢/ ١٦٧) .
(٨) برقم (٢١٤١) وقال : وفي الباب عن ابن عمر وهذا حديث حسن غريب صحيح.
(٩) في السنن الكبرى (١١٤٧٣) .

ثم أجمل على آخرهم ، فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبداً . ثم قال للذي في شماله : هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل النار وأسماء آبائهم وقبائلهم [ق/ ٢٥ أ] ثم أجمل على آخرهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبداً . فقال أصحابه: ففيم العمل يا رسول الله إن كان أمر قد فُرغ منه ؟! فقال : « سددوا وقاربوا ؛ فإن صاحب الجنة يختم له بعمل أهل الجنة وإن عمل أي عمل ، وإن صاحب النار يختم له بعمل أهل النار وإن عمل أيّ عمل . ثم قال رسول الله ﷺ بيديه فنبذهما ثم قال : فرغ ربكم من العباد ، ﴿ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴾ [الشورى: ٧] » .

وخرَّج الإمام أحمد [(١)] من حديث أبي الدرداء عن النبي ﷺ : « فرغ الله إلى كل عبد من خمس : من أجله ورزقه وأثره ومضجعه وشقي أو سعيد » .

وخرّج الإمام أحمد [(٢)] والترمذي [(٣)] من حديث ابن مسعود عن النبي ﷺ قال : « خلق الله كل نفس وكتب حياتها ورزقها ومصائبها » .

وخرّج مسلم [(٤)] من حديث جابر « أن رجلا قال : يا رسول الله ، فيم العمل اليوم أفيما جفَّت به الأقلام وجرت به المقادير أم فيما نستقبل ؟ قال : لا ، بل فيما جفَّت به الأقلام وجرت به المقادير . قال : ففيم العمل ؟ قال : اعملوا فكل ميسر » .

وفي هذا المعنى أحاديث كثيرة جدًّا ، وكذلك الآثار الموقوفة . وقال بعضهم:

سلم الأمر كله جف بالكائن القلم   إن للناس خالقًا لا مرد لما حكم

***

---

(١) (٥/ ١٩٧).

(٢) (١/ ٤٤٠) .

(٣) برقم (٢١٤٣) .

(٤) برقم (٢٦٤٨) .

وقوله ﷺ بعد هذا : « فلو أنَّ الخلق جميعًا [ق/ ٢٥ب] أرادوا أن ينفعوك بشيء لم يقضه الله لك لم يقدروا عليه ، وإن أرادوا أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يقدروا عليه »

يريد بذلك أن ما يصيب العبد مما يضره أو ينفعه في دنياه فكله مقدر عليه، ولا يمكن أن يصيبه ما لم يكتب له ولم يُقَدَّر عليه ولو اجتهد على ذلك الخلق كلهم جميعًا ، وقد دلّ القرآن أيضًا على مثل هذا في قوله تعالى : ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا ﴾ [التوبة : ٥١] وقوله : ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ ﴾ [الحديد : ٢٢] وقوله : ﴿ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ﴾ [آل عمران : ١٥٤] .

وخرّج الإمام أحمد [(١)] من حديث أبي الدرداء ، عن النبي ﷺ قال : «**إن لكل شيء حقيقة وما بلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن لصيبه** » .

وخرّج أبو داود [(٢)] وابن ماجه[(٣)] من حديث زيد بن ثابت عن النبي ﷺ معناه أيضًا .

واعلم أن مدار جميع هذه الوصية من النبي ﷺ لابن عباس على هذا الأصل، وما بعده وما قبله متفرع عليه وراجع إليه ، فإنه إذا علم العبد أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له من خير أو شر أو نفع أو ضر ، وأن اجتهاد

---

(١) (٦/ ٤٤١) .

(٢) برقم (٤٦٩٩) .

(٣) برقم (٧٧) .

الخلق [ق/ ١٢٦أ] كلهم جميعًا على خلاف المقدور غير مفيد شيئًا ألبتة ، علم حينئذ أن الله تعالى وحده هو الضار النافع والمعطي المانع ، فأوجب ذلك للعبد توحيد ربه ـ عز وجل ـ وإفراده بالاستعانة والسؤال والتضرع والابتهال ، وإفراده أيضًا بالعبادة والطاعة ؛ لأن المعبود إنما يقصد بعبادته جلب المنافع ودفع المضار ، ولهذا ذم الله سبحانه من يعبد ما لا ينفع ولا يضر ولا يغني عن عابده شيئًا ، وأيضًا فكثير ممن لا يحقق الإيمان (في قلبه) (*) يقدّم طاعة مخلوق على طاعة الله رجاء نفعه أو دفعًا لضره ، فإذا تحقق العبد تفرد الله وحده بالنفع والضر وبالعطاء والمنع، أوجب ذلك إفراده بالطاعة والعبادة ، ويقدم طاعته على طاعة الخلق كلهم جميعًا، كما يوجب ذلك أيضًا إفراده سبحانه بالاستعانة به ، والطلب منه .

وقد اشتملت هذه الوصية العظيمة الجامعة على هذه الأمور المهمة كلها .

فإن حفظ العبد لله ـ عز وجل ـ هو حفظ حدوده ومراعاة حقوقه وهو حقيقة عبادته ، وهو أول ما صُدِّرت به هذه الوصية ، ورتِّب على ذلك حفظ الله لعبده، وهو نهاية ما يطلبه العبد من ربه ويريده منه ، ثم عقَّب ذلك بذكر التعرف إلى الله في الرخاء ، وأنه مقتض لمعرفة الله لعبده في الشدة وهذا هو من تمام [ق/ ٢٦ ب] حفظ الله لعبده وداخل فيه ، إلا أن حالة الشدة لما كان العباد مضطرين فيها إلى من يعرفهم ويفرج عنهم خُصَّت بالذكر لهذا المعنى ، وفي هذه الحالة يُخلص المشركون الدعاء إلى الله وحده ، ويُفردونه بالسؤال والطلب لعلمهم أنه لا يكشف الضر سواه سبحانه ، ثم يعودون عند كشف الضر عنهم إلى الشرك كما ذكر سبحانه ذلك عنهم في مواضع من كتابه وذمّهم عليه ، فأمر ﷺ بمخالفتهم في ذلك بالتعرف إلى الله في حال الرخاء بإخلاص الدين له وحده وبطاعته والتقرب إليه ، ليوجب ذلك معرفته لهم في الشدة وكشفها عنهم .

ثم عقَّب ذلك بذكر إفراد الله بالسؤال ، وإفراده بالاستعانة وذلك يشمل حال الشدة وحال الرخاء . ثم ذكر بعد هذا كله الأصل الجامع الذي (تنبني) (**)

(*) وقلبه : « نسخة » .

(**) تبني : « نسخة » ، وتبتني : « نسخة أخرى » .

عليه هذه المطالب ، وهو : تفرد الله ـ سبحانه وتعالى ـ بالضر والنفع والعطاء والمنع ، وأنه لا يصيب العبد من ذلك كله إلا ما سبق تقديره وقضاه له ، وأن الخلق كلهم عاجزون عن إيصال نفع أو ضر غير مقدَّر في الكتاب السابق .

وتحقيق هذا يقتضي انقطاع العبد عن التعلق بالخلق ، وعن سؤالهم واستعانتهم ورجائهم بجلب نفع أو دفع ضر ، وخوفهم من إيصال ضر أو منع نفع ، وذلك يستلزم إفراد الله سبحانه [ق/ ١٢٧] بالطاعة والعبادة أيضًا، وأن تُقدم طاعته على طاعة الخلق كلهم جميعًا ، وأن يُتقى سخطه وإن كان فيه سخط الخلق جميعًا ، وقد جاء في حديث أبي سعيد مرفوعًا : « **إن من ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله ، وأن تحمدهم على رزق الله ، وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله ، إن رزق الله لا يجره حرص حريص ولا ترده كراهة كاره** »[1] .

وروي عن ابن مسعود من قوله نحوه .

وما أحسن قول بعضهم :

فليتك تحلو والحياة مريرة ... وليتك ترضى والأنام غضاب

وليت الذي بيني وبينك عامر ... وبيني وبين العالمين خراب

إذا صح منك الود فالكل هين ... وكل الذي فوق التراب ترابُ

فمن تحقق أن كل مخلوق فوق التراب فهو تراب ، فكيف يقدم على طاعة شيء من التراب على طاعة رب الأرباب ؟ أم كيف يُرضي التراب بسخط الملك الوهاب إن هذا لشيء عجاب!

وقد دلّ القرآن على هذا الأصل وهو تفرد الله ـ سبحانه ـ بالعطاء والمنع في

---

(١) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٥/ ١٠٦) وقال : غريب من حديث عمرو تفرد به علي بن مروان عن أبيه .

قلت : ووالد علي بن مروان هو محمد بن مروان السدي قال الذهبي في الميزان (٤/ ٣٢): تركوه ، واتهمه بعضهم بالكذب ، وهو صاحب الكلبي . وفي الإسناد عطية العوفي وهو ضعيف .

مواضع كثيرة جداً كقوله تعالى : ﴿ مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ [فاطر : ٢] .

وقوله تعالى : ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ ﴾ [يونس : ١٠٧] .

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [الزمر : ٣٨] .

وقوله تعالى حاكيًا عن نبيه نوح ـ عليه السلام ـ أنه قال لقومه : ﴿ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلا تُنظِرُونِ ﴾ [يونس : ٧١] .

وقوله تعالى حاكيًا عن نبيه هود ـ عليه السلام ـ ﴿ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (٥٤) مِن دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لا تُنظِرُونِ (٥٥) إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَابَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [هود: ٥٤ ـ ٥٦] .

وقال بعضهم :

ما قدر الله لي لابد يدركني ... من ذا الذي يدفع المقدور بالحذر

الله أولى بنا منا بأنفسنا ... إن نحن إلا مماليك المقتدر

وشكا رجل إلى فضيل الفاقة ، فقال له فضيل : أمدبرًا غير الله تريد؟!

وقال بعضهم :

دبر فليس بمغن عنك تدبير ... وليس يعدوك بالتدبير تقدير

إن الأمور لها رب يدبرها ... فما قضى الرب ساقته المقادير

* * *

وقوله ﷺ : « واعلم أنَّ في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً »

وفي رواية عمر مولى غفرة عن ابن عباس زيادة قبل هذا الكلام وهي: « فإن استطعت أن تعمل لله بالرضا [ق/ ١٢٨] في اليقين فافعل، وإن لم تستطع فإن في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً »(١) .

ومراده باليقين هاهنا تحقيق الإيمان بما سبق ذكره من التقدير السابق كما ورد ذلك صريحًا في رواية ابنه علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه ، لكن بإسناد ضعيف ، وفي روايته زيادة وهي : قلت : يا رسول الله كيف أصنع باليقين؟ قال: «أن تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك».

فإذا أنت أحكمت باب اليقين فحصول اليقين للقلب بالقضاء السابق والتقدير الماضي يوجب رضا النفس بالقضاء والقدر وطمأنينتها به ، وقد دلّ القرآن على هذا المعنى بعينه في قوله تعالى : ﴿ لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ [الحديد : ٢٣] .

قال الضحاك في هذه الآية: عزّاهم ﴿ لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ ﴾ لا تأسوا على شيء من أمر الدنيا فإنا لم نقدره لكم ﴿ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُم ﴾ لا تفرحوا بشيء من أمر الدنيا أعطيناكموه، فإنه لم يكن يزوى عنكم. خرجّه ابن أبي الدنيا.

وقال سعيد بن جبير في هذه الآية : لكيلا تأسوا على ما فاتكم من العافية والخصب إذا علمتم أنه كان مكتوبًا عليكم قبل أن يخلقكم . خرّجه ابن أبي حاتم.

ومن هذا المعنى قول بعض [ق/ ٢٨ ب] السلف : الإيمان بالقدر يُذْهِبُ الهم

(١) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (١/ ٣١٤) .

والحزن ، وقد أشار النبي ﷺ إلى ذلك بقوله في الحديث الصحيح عنه : «احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز ، فإن أصابك شيء فلا تقل : لو أني فعلت [كان] (*) كذا [وكذا] (*) ولكن قل : قدّر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان »[1]. فأشار في هذا الحديث إلى أن تذكير النفس بالقدر السابق عند المصائب يذهب وساوس الشيطان الموجبة للهم والحزن والندم على تعاطي الأسباب الدافعة لوقوعها .

وقال أنس : خدمت النبي ﷺ عشر سنين ، فما قال لي لشيء فعلته لم فعلت كذا وكذا ؟ ولا شيء لم أفعله : ألا فعلت كذا [2] . وقال: وكان إذا لامني بعض أهله ، قال : « دعوه فلو قُدِّرَ شيء كان » خرَّجه الإمام أحمد [3] بهذه الزيادة .

وخرَّج ابن أبي الدنيا بإسناد فيه نظر عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : كان أكثر كلام النبي ﷺ في بيته إذا خلا : « ما قضى من أمر يكن » وخرَّج أيضًا حديثًا مرسلا أن النبي ﷺ قال لابن مسعود : « لا تكثر همك ما يُقَدَّر يكن ، وما ترزق يأتيك » وفي حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ : « لا حول ولا قوة إلا بالله، دواء من تسعة وتسعين داء ، أيسرها : [ق/ ١٢٩] الهم » خرَّجه الطبراني [4] والحاكم[5] .

(*) ما بين المعقوفتين من صحيح مسلم .

(١) أخرجه مسلم (٢٦٦٤) .

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٣٨) ، ومسلم (٢٣٠٩) .

(٣) (٣/ ٢٣١) .

(٤) في « الأوسط » (٥٠٢٨) وقال : لم يرو هذا الحديث عن محمد بن عجلان إلا بشر ابن رافع ،تفرد به عبد الرزاق .
وقال الهيثمي في المجمع (١٠ / ٩٨) : رواه الطبراني في الأوسط ، وفيه بشر بن رافع الحارثي وهو ضعيف وقد وثق وبقية رجاله رجال الصحيح ، إلا أن النسخة من الطبراني الأوسط سقط منها عجلان والد محمد الذي بينه وبين أبي هريرة والله أعلم .

(٥) (١/ ٥٤٢) وقال : هذا حديث صحيح ولم يخرجاه ، وبشر بن رافع الحارثي ليس بالمتروك وإن لم يخرجاه ، وكذلك الهيثم البكاء لم يخرجاه وله حديث يتفرد به وهذا موضعه فإنه من عباد المسلمين . وتعقبه الذهبي في « التلخيص » وقال : بشر واه .

فإن تحقيق هذه الكلمة يقتضي تفويض الأمور إلى الله ، وأنه لا يكون إلا ما شاء والإيمان بذلك يذهب الهم والغم ، وقد وصى النبي ﷺ رجلا فقال : « لا تتهم الله في شيء قضاه لك » [1] .

فإذا نظر المؤمن بالقضاء والقدر في (حكم) [*] الله ورحمته ، وأنه غير متهم في قضائه دعاه ذلك إلى الرضا بالقضاء ، وقال الله عز وجل : ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ [التغابن : ١١] قال علقمة في هذه الآية : هي المصيبة تصيب الرجل فيعلم أنها من عند الله فيسلّم لها ويرضى . وفي الحديث الصحيح [2] عن النبي ﷺ قال : « لا يقضي الله للمؤمن من قضاء إلا كان خيراً له ، إن أصابته سراء شكر كان خيراً له ، وإن أصابته ضراء فصبر كان خيراً له ، وليس ذلك إلا للمؤمن » .

وقد دلّ القرآن على مثل هذا المعنى في قوله تعالى : ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (٥١) قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ﴾ الآية [التوبة : ٥١ ، ٥٢] فأخبر أنه لن يصيبهم إلا ما كتب لهم ، فدلّ على أنه لهم بكل حال سواء كان مما يلائم أولا يلائم ، وأخبر أنه تعالى مولاهم ، ومن تولاه الله لم يخذله [ق/ ٢٩ب] بل هو يتولى مصالحه ، قال تعالى : ﴿ وَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾ [الأنفال : ٤٠] ثم عقب ذلك بقوله : ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ ﴾ [التوبة: ٥٢] يعني إما النصر والظفر، وإما الشهادة ، وأيّهما كان فهو حسن .

وخرّج الترمذي [3] من حديث أنس عن النبي ﷺ : « إن الله إذا أحب قومًا ابتلاهم ، فمن رضي فله الرضا ، ومن سخط فله السخط » .

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٣١٩) .

وذكره الهيثمي في المجمع (١/ ٥٩) وقال : رواه أحمد ، وفي إسناده ابن لهيعة .

(*) حكمة : « نسخة » .

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٩٩) .

(٣) برقم (٢٣٩٦) وقال : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه .

قال أبو الدرداء : إن الله إذا قضى قضاء أحب أن يُرضى به . وقالت أم الدرداء : إن الراضين بقضاء الله الذين ما قضى لهم رضوا به ، لهم في الجنة منازل ، يغبطهم بها الشهداء يوم القيامة .

وقال ابن مسعود (١) : إن الله بقسطه وعلمه جعل الروح والفرح في اليقين والرضا ، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط . وقد روي هذا مرفوعًا من وجه ضعيف (٢) .

وكان عمر بن عبد العزيز يقول : لقد تركتني هؤلاء الدعوات وما لي في شيء من الأمور إرب إلا في مواقع قدر الله عز وجل ، وكان يدعو بها كثيراً : اللهم ارضني بقضائك وبارك لي في قدرك ، حتى لا أحب تعجيل شيء أخرته ، ولا تأخير شيء قدّمته .

وقال ابن عون : ارض بقضاء الله على ما كان من عسر ويسر ؛ فإن ذلك أقل لهمك ، وأبلغ فيما تطلب من أمر آخرتك ، واعلم أن العبد لن يصيب حقيقة الرضا حتى يكون رضاه [ق/ ١٣٠] عند الفقر والبلاء كرضاه عند الغنى والرخاء ، كيف تستقضي الله في أمرك ؟ ثم تسخط إن رأيت قضاءه مخالفًا لهواك ! ولعل ما هويت من ذلك لو وفق لك لكان فيه هلاكك ، وترضى قضاءه إذا وافق هواك وذلك لقلة علمك بالغيب ! وكيف تستقضيه إن كنت كذلك ؟ ما أنصفت من نفسك ولا أصبت باب الرضا !

وهذا كلام حسن ، ومعناه أن العبد إذا استخار الله ـ عز وجل ـ فينبغي له أن يرضى لما اختاره له من موافق لهواه أو مخالف له ، لأنه لا يدري في أيهما الخيرة له والله تعالى غير متهم في قضائه لمن استخاره .

ومن ها هنا كان طائفة من السلف كابن مسعود وغيره يأمرون من يخاف أن

---

(١) أخرجه البيهقي في« الشعب » (٢٠٥ ـ سلفية) وإسناده منقطع.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (١٠/ ١٠٥١٤) ، والبيهقي في « الشعب » (٢٠٤ ـ سلفية)، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ١٢١ ، ٧/ ١٣٠) . قال أبو نعيم : غريب من حديث الثوري ومن حديث الأعمش ، تفرد به خالد بن يزيد العمري .
وقال الهيثمي في المجمع (٤/ ٧١) : وفيه خالد بن يزيد العمري واتهم بالوضع .

لايصبر على ما يخالف هواه مما يختار له أن يقول في استخارته : في عافية فإنه قد يختار له البلاء ولا يصبر عليه ، وقد روي مرفوعًا من وجه ضعيف [1] !.

وعن بكر المزني أن رجلاً كان يكثر الاستخارة فابتلي فجزع ولم يصبر فأوحى الله إلى نبي من أنبيائهم أن قل لعبدي فلان : إذا لم يكن من أهل العزائم فهلا استخرتني في عافية !

وفي حديث سعد المرفوع : « إن من سعادة المرء استخارته ربه - عز وجل - ورضاه بما قضى ، وإن من شقاوته تركه الاستخارة وسخطه بما قضى » خرَّجه [ق/ ٣٠ب] الترمذي [2] وغيره [3] .

وللرضا بالقضاء أسباب منها :

يقين العبد بالله وثقته بأنه لا يقضي للمؤمن قضاء إلا وهو خير له ، فيصير كالمريض المستسلم للطبيب الحاذق الناصح فإنه يرضى بما يفعله به من مؤلم وغيره لثقته به ويقينه أنه لا يريد له إلا الأصلح ، وهذا الذي أشار إليه ابن عون في كلامه المتقدم ذكره .

ومنها :

النظر إلى ما وعد الله من ثواب الرضا ، وقد يستغرق العبد في ذلك حتى ينسى ألم المقضي به كما روي عن بعض الصالحات من السلف أنها عثرت فانكسر ظفرها ، فضحكت وقالت : أنساني لذة ثوابه مرارة ألمه.

ومنها :

وهو أعلى من ذلك كله الاستغراق في محبة المبتلي ودوام ملاحظة جلاله وجماله وعظمته وكماله الذي لا نهاية له ، فإن قوة ملاحظة ذلك يوجب

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (١٠/ ١٠٠١٢ ، ١٠٠٥٢) .

(٢) برقم (٢١٥١) . وقال : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث محمد بن أبي حميد . ويقال له أيضًا حماد بن أبي حميد ، وهو أبو إبراهيم المدني ، وليس هو بالقوي عند أهل الحديث .

(٣) وأخرجه أحمد (١/ ١٦٨) وغيره .

الاستغراق فيه حتى لا يشعر بالألم كما غاب النسوة اللاتي شاهدن يوسف عن ألم تقطيع أيديهن بمشاهدته .

قال الجنيد سألت سريًا : هل يجد المحب ألم البلاء ؟ فقال : لا . وهذا إشارة منه إلى هذا المقام ، ومنه قول جماعة من أهل البلاء : دعه يفعل بنا ما يشاء فلو قطعنا إربًا إربًا ما ازددنا له إلا حبًّا .

وفي هذا المعنى يقول بعضهم :

[ق/١٣١] لو قطّعني الغرام إربًا إربـــــًا ما ازددت على الملام إلا حبـــًّا

لا زلت بكم أسير وجدٍ صبـــا حتى أقضي على هواكم نحبـــا

وكان إبراهيم بن أدهم قد خرج من ملكه وماله وولده وحشمه ، فرأى ولده في الطواف فلم يكلمه ، وقال :

هجرتُ الخلق طرّا في (رضاكا)(*) وأيتمتُ العيـــال لكي أراكـــا

فلو قطّعتني في الحـــب إربـــًا لما حنَّ الفؤاد إلى ســــــواكا

كان جماعة من المحبين كالفضيل وفتح الموصلي إذا باتوا ليلة بغير عشاء ولا سراج اشتد فرحهم ، وبكوا من الفرح ، وقالوا : مثلنا يترك بغير عشاء ولا سراج بأي يد كانت منّا ، وبأي وسيلة توسلنا بها ، وكان فتح يجمع ولده في ليالي الشتاء ، ويغطيهم بكسائه ، ويقول : أجعتني وأجعت عيالي ، وأغربتني وأغربت عيالي ، وإنما تفعل ذلك بأوليائك وأحبابك فهل أنا منهم حتى أفرح ؟ .

ودخلوا على بعض السلف وهو مريض فقالوا له : ما تحب ؟ فقال: أحبُّه إليّ أحبُّه إليه .

وفي هذا المعنى يقول بعضهم :

عذابه فيك عـــذب وبعده فيك قـــرب

وأنت عندي كروحي بل أنت منها أحب

حسبي من الحب أني لما تحـب أحـــبُّ

(*) هواكا : « نسخة » .

وأنشد أبو تراب :

لا [ق/٣١ب] تخدعن فللمحب دلائـــل ولديه من تحف الحبيب وسائـــل
منها تنعـــمه بمـــرِّ بلائـــــــه وسروره في كل ما هـــو فاعـــل
فالمنع منه عطـــية مقـــــبولـة والفقـــر إكـــرامٌ وبرٌّ عاجـــل

دخلوا على رجل قد قتل ولده في الجهاد يعزونه فبكى وقال : ما أبكي على قتله ، إنما أبكي كيف كان رضاه عن الله حين أخذته السيوف؟ :

إن كان سكان الغضـــا رضـــوا بقتلي فرضى
والله لا كنت لـمـــــا يهوى الحبيـــب مبغضا
صرت لهم عبداً ومـــا للعبـــد أن يعتـــرضا
هم قلبوا قلبي من الشـ ـوق على جمر الغضا
يا ليت أيام الحـــــمى يعود منها ما مضـــى
من لمريض لا يـــرى إلا الطبيب المرضـــا

والمقصود أن النبي ﷺ أمر ابن عباس بالعمل لله بالرضا إن استطاعه، ثم قال له : « **فإن لم تستطع فإن في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً** » .

وهذا يدل على أن الرضا بالأقدار المؤلمة ليس بحتم واجب ؛ وإنما هو فضل مندوب إليه ، فمن لم يستطع الرضا فليلزم الصبر ، فإن الصبر واجب لابد منه ، وفيه خير كثير ، فإن الله تعالى أمر بالصبر ووعد عليه جزيل [ق/ ١٣٢] الأجر ، قال تعالى : ﴿ **إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ** ﴾ [الزمر : ١٠] وقال : ﴿ **وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ** ﴾ [البقرة : ١٥٥ ـ ١٥٧] وقال تعالى : ﴿ **وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ** ﴾ [الحج : ٣٤ ـ ٣٥] .

قال الحسن : الرضا عزيز ولكن الصبر مُعَوَّلُ المؤمن .

قال سليمان الخواص: الصبر دون الرضا ، فالرضا :أن يكون الرجل قبل نزول المصيبة راض بأي ذلك كان ، والصبر : أن يكون بعد نزول المصيبة يصبر.

وحقيقة الفرق بين الصبر والرضا : أن الصبر كف النفس وحبسها عن التسخط مع وجود الألم ، والرضا يوجب انشراح الصدر وسعته ، وإن وجد الإحساس بأصل الألم لكن الرضا يخفف الإحساس بالألم لما يباشر القلب من روح اليقين والمعرفة ، وقد يزيل الإحساس به بالكلية على ما سبق تقريره .

ولهذا قال طائفة كثيرة من السلف منهم عمر بن عبد العزيز ، والفضيل ، وأبو سليمان ، وابن المبارك ، وغيرهم : إن الراضي لا يتمنى غير حاله التي هو عليها بخلاف الصابر .

وقد روي عن طائفة [ق/ ٣٢ب] من الصحابة هذا المعنى أيضًا ، وأنهم كانوا لا يتمنون غير ما هم عليه من الحال ، منهم عمر وابن مسعود .

قال عبد العزيز بن أبي روَّاد : كان عابد يتعبد في بني إسرائيل ، فرأى في منامه أن فلانة زوجتك في الجنة ، فاستضافها ثلاث ليال لينظر عملها ، فكانت تنام وهو يقوم ، وتفطر وهو يصوم ، فلما فارقها سألها عن أوثق عملها عندها ، قالت: هو ما رأيت ، إلاخصلة واحدة ، إن كنت في شدة لم أتمنّ أني في رخاء، وإن كنت في مرض لم أتمنّ أني في صحة وإن كنت جائعة لم أتمنّ أني شبعانة ، وإن كنت في شمس لم أتمنّ أني في ظلٍّ .

فقال العابد : هذه والله خصلة يعجز عنها العباد .

وكما أن الصبر إنما يكون عند الصدمة الأولى ، كما صح ذلك عن النبي ﷺ[1] فالرضا إنما يكون بعد نزول البلاء ، كما كان النبي ﷺ يقول في دعائه : **«وأسألك الرضا بعد القضاء »** [2] .

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٠٢) ، ومسلم (٦٢٦).

(٢) أخرجه النسائي (١٣٠٥) ، والحاكم في المستدرك (١/ ٥٢٤ ـ ٥٢٥) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

لأن العبد قد يعزم على الرضا بالقضاء قبل وقوعه ، فإذا وقع انفسخت تلك العزيمة .

فمن رضي بعد وقوع القضاء ، فهو الراضي حقيقة .

وفي الجملة : فالصبر واجب لابد منه ، وما بعده إلا السخط ، ومن سخط أقدار الله فله السخط مع ما يتعجل له من الألم وشماتة الأعداء به [ق/١٣٣] أعظم من جزعه ، كما قال بعضهم :

لا تجزعن من كل خطب عرا ولا ترى الأعداء ما يشمتوا

يا قوم بالصبر ينال المنى إذا لقيتم فئة فاثبتوا(*)

وقال النبي ﷺ :

« من يتصبر يصبره الله ، وما أُعطي أحد عطاءً خيراً ولا أوسع من الصبر » (١) .

وقال عمر : وَجدنا خير عيشنا بالصبر (٢) .

وقال علي : إن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ، ولا إيمان لمن لا صبر له (٣) .

وقال الحسن : الصبر كنز من كنوز الجنة ، لا يعطيه الله إلا لمن كرم عليه .

وقال ميمون بن مهران : ما نال أحد شيئًا من جسيم الخير ، نبي فمن دونه إلا بالصبر .

وقال إبراهيم التيمي : ما من عبد (وهبه الله) (**) صبراً على الأذى ،

(*) فاصبروا « نسخة » .

(١) أخرجه البخاري (١٤٦٩) ، ومسلم (١٠٥٣) .

(٢) علقه البخاري (١١/ ٣٠٩) وقال الحافظ في « الفتح » : وقد وصله أحمد في «كتاب الزهد » بسند صحيح عن مجاهد قال : قال عمر - إلى قوله - وأخرجه الحاكم من رواية مجاهد عن سعيد بن المسيب عن عمر . . . إلخ .
وأخرجه ابن المبارك في الزهد (٦٣٠) ووكيع في الزهد (١٩٨) .

(٣) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (١/ ٧٥ - ٧٦) .

(**) وهب الله له : « نسخة » .

وصبراً على البلاء وصبراً على المصائب ،إلا وقد أوتي أفضل ما أوتيه أحد بعد الإيمان بالله - عز وجل .

وهذا منتزع من قوله تعالى : ﴿ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ إلى قوله: ﴿ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة : ١٧٧] .

والمراد بالبأساء : الفقر ونحوه ، وبالضراء : المرض ونحوه ، وحين البأس: حال الجهاد .

وقال عمر بن عبد العزيز: [ق/ ٣٣ب] ما أنعم الله على عبد نعمة فانتزعها منه ، فعاضه مكان ما انتزع منه الصبر إلا كان ما عوضه خيراً مما انتزع منه ، ثم تلا: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر : ١٠] .

وكان بعض الصالحين في جيبه ورقة يفتحها كل ساعة فينظر فيها ، وفيها مكتوب : ﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ [الطور : ٤٨] .

والصبر الجميل هو أن يكتم العبد المصيبة ولا يخبر بها .

قال طائفة من السلف في قوله تعالى : ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾ [يوسف : ٨٣] قالوا : لا شكوى معه.

كان الأحنف بن قيس قد ذهبت عينه من أربعين سنة ولم يذكرها لأحد .

وذهبت عين عبد العزيز بن أبي روَّاد من عشرين سنة ، فتأمله ابنه يومًا فقال له : يا أبت ، قد ذهبت عينك ! فقال : نعم يا بني ، الرضا عن الله أذهب عين أبيك من عشرين سنة .

وكان الإمام أحمد لا يشتكي ما به من المرض إلى أحد ، وذُكرَ له أن مجاهداً كان يكره الأنين في المرض ، فتركه فلم يئن حتى مات ، وكان يقول لنفسه : يا نفسي ، اصبري ولا تندمي .

ودخل بعض العارفين على مريض يقول: آه ، فقال له ذلك العارف : ممن؟!

وفي هذا المعنى يقول بعضهم :

تفيض النفوس بأوصابها　　　وتكتم عوادها ما بها
وما أنصفت مهجة تشتكي　　　هواها إلى غير أحبابها

[ق/ ١٣٤] قال يحيى بن معاذ : لو أحببت ربك ثم جوعك وأعراك ، لكان يجب أن تحمله وتكتمه عن الخلق ، فقد يحتمل الحبيب لحبيبه الأذى فكيف وأنت تشكوه فيما لم يصنعه بك ؟:

ويقبح من سواك الفعل عندي　　　وتفعله فيحسن منك ذاكا

كان الرسول ﷺ وأصحابه يشدون على بطونهم الحجارة من الجوع (١) .

كان أويس يلتقط الكِسرَ من المزابل ، والكلابُ تزاحمه ، فنبح عليه كلب يومًا فقال : يا كلب ، لا تؤذ من لا يؤذيك ، كل مما يليك وآكل ما يليني ، فإن دخلت الجنة فأنا خير منك ، وإن دخلت النار فأنت خير مني.

وكان إبراهيم بن أدهم يلتقط السنبل مع المساكين ، فرأى منهم كراهة لمزاحمته، فقال : أنا تركت ملك بلخ أفأزاحم المساكين على لقط السنبل؟ فكان بعد ذلك لا يلتقط إلا مع الدواب التي ترعى فيه .

وكان الإمام أحمد يلتقط السنبل مع المساكين أيضًا .

وآجر سفيان الثوري نفسه من جمالين في طريق مكة ، فطبخ لهم طعامًا فأفسده فضربوه .

وكان فتح الموصلي يوقد النار للناس بالأجرة :

من أجلك قد تركت خدي أرضا　　　للشامت والحسود حتى ترضى
مولاي إلى متى بهذا أحظى　　　عمري يفنى وحاجتي ما تقضى

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٥٢) .

[ق/ ٣٤ب] غيره :

كم أحمل في هواك ذلا وعـنا كم أصبر فيك تحت سقم وضنا

لا تطردنّي فليس عنك غـــنى خـذ روحي إن أردت الثمـنا

من أجل هواكم هويت العشقـا قلبي كلف ودمعتي ما ترقـا

في حبكم يهون ما قد ألـــقى ما يسعد بالنعيم من لا يشقى

كانت مصائب الدنيا عندهم نعمًا ، حتى قال بعضهم : ليس بفقيه من لم يعد البلاء نعمة والرخاء مصيبة .

ومن الإسرائيليات : إذا رأيت الغنى مقبلا فقل : ذنب عجلت عقوبته، وإذا رأيت الفقر مقبلا فقل : مرحبًا بشعار الصالحين .

وقال بعض السلف : إني لأصاب بالمصيبة فأحمد الله عليها أربع مرات : أحمد الله إذ لم تكن أعظم مما هي ، وأحمد الله إذ رزقني الصبر عليها ، وأحمده إذ وفقني للاسترجاع ، وأحمده إذ لم يجعلها في ديني .

انتظار الفرج بالصبر عبادة ، فإن البلاء لا يدوم :

اصبر لكل مصيبة وتجلـــد واعلـم بأن الضر غير مؤبـــد

واصبر كما صبر الكرام فإنها نُوَبٌ تنوب اليوم تكشف في غد

إذا غُمِسَ أعظم الناس بلاء في الدنيا في نعيم الجنة غمسة ، قيل له : هل رأيت بؤسًا قط ؟ هل مر بك بؤس قط ؟ قال : لا يا رب [(١)] .

[ق/ ١٣٥] يا نفس ما هي إلا صبر أيـام كأن مدتها أضغاث أحـــلام

يا نفس جوزي عن الدنيا مبـــادرة وخل عنها فإن العيش قـــدام

قال غيره :

وما هي إلا ساعة ثم تنقضي ويذهب هذا كله ويزول

---

(١) يشير المصنف لما أخرجه مسلم (٢٨٠٧) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

وقوله ﷺ : « واعلم أنَّ النصر مع الصبر »

هذا موافق لقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُون ... ﴾ الآية [الأنفال : ٤٥] .

وقوله تعالى : ﴿ الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ... ﴾ الآية [الأنفال : ٦٦] .

وقوله تعالى في قصة طالوت : ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاقُوا اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٤٩] .

وقوله تعالى : ﴿ بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ [آل عمران : ١٢٥] إلى غير ذلك من الايات والأحاديث في الأمر بالصبر عند لقاء العدو كثيرة جداً .

وقال عمر لأشياخ من بني عبس : بم قاتلتم الناس ؟ قالوا : بالصبر ، لم نلق قومًا إلا صبرنا لهم كما صبروا لنا .

قال بعض السلف : كلنا نكره الموت [ق/ ٣٠ب] وألم الجراح ، ولكن نتفاضل بالصبر .

وسئل البطال عن الشجاعة فقال : صبر ساعة .

وهذا كله في جهاد العدو الظاهر وهو جهاد الكفار ، وكذلك في جهاد العدو الباطن وهو جهاد النفس والهوى، فإن جهادهما من أعظم الجهاد كما قال النبي ﷺ:

« المجاهد من جاهد في الله »[(١)] .

وقال عبد الله بن عمرو لرجل سأله عن الجهاد : ابدأ بنفسك فجاهدها، وابدأ بنفسك فاغزها .

ويروى بإسناد ضعيف من حديث « جابر أن رسول الله ﷺ قال لقوم رجعوا من الغزو : قدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر . قيل : وما الجهاد الأكبر؟! قال : مجاهدة العبد لهواه »[(٢)] .

وقال أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - في وصيته لعمر رضي الله عنه حين استخلفه : إن أول ما أحذرك نفسك التي بين جنبيك .

ويروى من حديث سعد بن سنان عن أنس - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ ومن حديث أبي مالك الأشجعي عن النبي ﷺ مرسلا قال : « ليس عدوك الذي إذا قتلك أدخلك الجنة ، وإذا قتلته كان لك نوراً ، أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك »[(٣)] .

وأخذ هذا المعنى العباس بن الأحنف الشاعر فقال :

[ق/١٣٦] قلبي إلى ما ضرني داعـــي يكثر أحــزاني وأوجاعـــي

لقل مـا أبــقى على مـــا أرى يوشـــك أن ينعـــاني النـاعي

كيف احـتراسي من عـــدوي إذا كان عـــدوي بين أضـــلاعي

فهذا الجهاد أيضًا يحتاج إلى صبر ، فمن صبر على مجاهدة نفسه وهواه وشيطانه غلب وحصل له النصر ، ومن جزع ولم يصبر على مجاهدة ذلك غلب

---

(١) أخرجه أحمد (٦/ ٢٠) ، والترمذي (١٦٢١) وقال : « وفي الباب عن عقبة بن عامر وجابر، وحديث فضالة حديث حسن صحيح . والحاكم في «المستدرك» (١/ ١١).

(٢) أخرجه البيهقي في « الزهد الكبير » (٣٧٣) وقال : هذا إسناد فيه ضعف .

(٣) أخرجه الطبراني في « الكبير » (٣ / ٣٤٤٥) من حديث أبي مالك الأشعري وفيه : « ولكن أعدى عدوك ولدك الذي خرج من صلبك ، ثم أعدى عدو لك مالك الذي ملكت بيمينك » . وإسناده منقطع في موضعين ، فإن محمد بن إسماعيل بن عياش لم يسمع من أبيه ، وشريح لم يسمع من أبي مالك الأشعري كما قال أبو حاتم الرازي .

وقهر وأسر ، وصار ذليلا أسيراً في يدي شيطانه وهواه ، كما قيل .

قال غيره :

رب مستور سبته صبـوة　　فتعرى صـبره فانهتكا

صاحب الشهوة عبد فإذا　　غلب الشهوة صار الملكا

قال ابن المبارك رحمه الله : من صبر فما أقل ما يصبر ، ومن جزع فما أقل ما يجزع .

وفي الصحيحين عن النبي ﷺ :

« ليس الشديد بالصُّرعة ، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب»[1].

ووصف بعضهم الأحنف بن قيس فقال : كان أشد الناس سلطانًا على نفسه عند الغضب .

قيل لبعضهم : إن فلانًا يمشي على الماء ! فقال : من مكّنه الله من مخالفة هواه فهو أقوى ممن يمشي على الماء .

واعلم أن نفسك بمنزلة دابتك ، إن عرفت منك الجدّ جدت ، وإن عرفت منك الكسل طمعت فيك، وطلبت منك حظوظها وشهواتها .

[ق/ ٣٦ب] كان أبو سليمان الداراني يقول : كنت بالعراق ، أمر على تلك القصور والمراكب والملابس والمطاعم التي للملوك ، فلا تلتفت نفسي إلى شيء من ذلك ، وأمر على التمر ، فتكاد نفسي تقع عليه ، فذكر ذلك لبعض العارفين فقال: تلك الشهوات آيس نفسه منها فأيست والتمرة أطعمها فيه فطعمت ، كما قيل :

صبرت على اللذات حتى تولـت　　والزمت نفسي هجرها فاستمرت

وما النفس إلا حيث يجعلها الفتى　　فإن طعمت تاقت وإلا تسـلـت

وكانت على الأيام نفسي عـزيزة　　فلما رأت عزمي على الذل ذلت

(١) أخرجه البخاري (٦١١٤) ، ومسلم (٢٦٠٨) .

فقوله ﷺ : « إن النصر مع الصبر »

يشمل الصبر على جهاد العبد لعدوه الظاهر ، وجهاده لعدوه الباطن وهو نفسه وهواه ، وكان السلف يفضلون هذا الصبر على الصبر على البلاء.

قال ميمون بن مهران : الصبر صبران : الصبر على المصيبة حسن ، وأفضل من ذلك الصبر عن المعاصي .

وقال سعيد بن جبير : الصبر على نحوين : أحدهما الصبر عما حرم الله ، والصبر لما افترض الله من عبادته ، فذلك أفضل الصبر ، والصبر الآخر في المصائب .

وقد ورد في هذا حديث مرفوع من حديث علي [1] . لكنه لا يثبت .

* * *

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في « الصبر » (٢٤) من طريق عمر بن يونس عمن حدثه عن علي بن أبي طالب قال رسول الله ﷺ : « الصبر ثلاث : فصبر على المصيبة ، وصبر على الطاعة ، وصبر عن المعصية . . » الحديث .
وفي إسناده راوٍ مبهم .

قوله ﷺ : « أنَّ [ق/ ١٣٧] الفرج مع الكرب »

هذا يشهد له قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ...﴾ الآية [الشورى : ٢٨] .

وقوله تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا... ﴾ إلى قوله : ﴿يَسْتَبْشِرُونَ... ﴾ الآية [الروم : ٤٨] .

وقول النبي ﷺ في حديث أبي رزين العقيلي :

« ضَحِكَ ربنا من قنوط عباده وقُرب غيره » خرَّجه الإمام أحمد [١] ، وخرَّج ابنه عبد الله [٢] من حديث أبي رزين أيضًا في حديث طويل عن النبي ﷺ قال : « علم الله يوم الغيث إنه ليشرف عليكم أزلين قنطين ، فيظل يضحك ، قد علم أن غيركم إلى قرب » .

والمعنى أنه سبحانه يعجب من قنوط عباده عند احتباس المطر عنهم ، وخوفهم وإشفاقهم ويأسهم من الرحمة ، وقد قدر الله تغيير هذه الحال عنهم عن قرب بإنزال المطر ولكنهم لا يشعرون .

وهذا كما اشتكى ذلك الرجل إلى النبي ﷺ وهو قائم يخطب يوم الجمعة احتباس المطر وجهد الناس فرفع النبي ﷺ يديه فاستسقى لهم حتى نشأ السحاب ومطروا إلى الجمعة الأخرى حتى قاموا إليه ﷺ [ق/ ٣٧ب] يستصحي لهم ففعل فأقلعت السماء [٣] .

وقد قص الله في كتابه قصصًا كثيرة تتضمن وقوع الفرج بعد الكرب والشدة،

---

(١) (٤/ ١١ ، ١٢) .

(٢) في السنة (٤٥٢ ، ٤٥٣) .

(٣) أخرجه البخاري (١٠١٣) ، ومسلم (٨٩٧) .

كما قص نجاة نوح ومن معه في الفلك من الكرب العظيم ، مع إغراق سائر أهل الأرض .

وكما قص نجاة إبراهيم - عليه السلام - من النار التي ألقاه المشركون فيها ، وأنه جعلها عليه بردًا وسلامًا ، وكما قص قصة إبراهيم عليه السلام مع ولده الذي أمر بذبحه ثم فداه بذبح عظيم .

وكما قص قصة موسى - عليه السلام - مع أمه لما ألقته في اليم حتى التقطه آل فرعون ، وقصته مع فرعون لما نجّى الله موسى في البحر وأغرق عدوه .

وكما قص أيوب ويونس ويعقوب ويوسف - عليهم السلام - وقصة قوم يونس لما آمنوا .

وكما قص الله قصص محمد ﷺ ونصره على أعدائه ونجاته منهم في عدة مواطن مثل قصته في الغار وقصته يوم بدر ويوم أُحد ويوم حنين .

وكما قص سبحانه قصة عائشة رضي الله عنها في حديث الإفك وبرأها مما رميت به [1] .

وقصة الثلاثة : ﴿ وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾[2] [التوبة : ١١٨] .

وفي السنة من هذا المعنى شيء كثير أيضًا مثل قصة الثلاثة الذين دخلوا الغار فانطبقت عليهم الصخرة ، فدعوا الله بأعمالهم الصالحة ، ففرج عنهم [3] .

ومثل قصة إبراهيم وسارة مع الجبار الذي طلبها من إبراهيم ، ورد الله كيد الفاجر [4] .

والحكايات الواقعة في هذا المعنى في الإسلام وقبله كثيرة جدًّا لا يمكن

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧٥٠) ، ومسلم (٢٧٧٠) .
(٢) أخرجه البخاري (٤٦٧٧) ، ومسلم (٢٧٦٩) .
(٣) أخرجه البخاري (٢٢٧٢) ، ومسلم (٢٧٤٣) .
(٤) أخرجه البخاري (٣٣٥٨) ، ومسلم (٢٣٧١) .

استقصاؤها وكثير منها مذكور في الكتب المصنفة : في « الفرج بعد الشدة » لابن أبي الدنيا وغيره ، وكتاب « مجابي الدعوة » لابن أبي الدنيا ، وكتاب « المستغثين بالله والمستصرخين به » وكتب كرامات الأولياء ، وأخبار الصالحين ، وفي كتب التواريخ وغيرها .

ونحن نذكر ههنا طرفا يسيراً من أظرف ما حكي في هذا الباب ليعتبر به .

ذكر بعض العلماء في مصنّف له ـ وأظنه من المغاربة ـ أنه سمع من أبي ذر الهروي الحافظ يحكي أنه كان ببغداد يقرأ على أبي حفص بن شاهين في دكان عطار، وأنه شاهد رجلا جاء إلى العطار فدفع إليه عشرة دراهم وأخذ منه حوائج، وجعلها في طبق ووضعه على رأسه ، فزلق ووقع طبقه وتفرقت حوائجه ، فبكى واشتد بكاؤه وقال : لقد ضاع مني في قافلة كذا وكذا هميان فيه أربعمائة دينار ـ أو قال : أربعة آلاف دينار ـ ومعها فصوص قيمتها أكثر من ذلك فما جزعت لضياعها ، ولكن ولد لي الليلة ولد فاحتجنا في البيت إلى ما تحتاج إليه النفساء ، ولم يكن عندي غير هذه العشرة دراهم ، فلما قدر الله ما قدر جزعت ، وقلت : لا أنا عندي ما أرجع به اليوم إلى أهلي ولا ما أكتسب لهم غداً ، ولم يبق لي حيلة إلا الفرار عنهم وتركهم على هذه الحال فيهلكون بعدي ، فلم أملك نفسي أن جزعت هذا الجزع .

قال أبو ذر : ورجل من شيوخ الجند جالس عى باب داره فسمع هذا كله ، فسأل الجندي أبا حفص أن يدخل هو وأصحابه والرجل المصاب معه إلى بيته ففعل، وطلب من الرجل المصاب إعادة الحكاية في الهيمان فأعاد ذلك عليه ، وسأله عن من كان في تلك القافلة وعن المكان الذي ضاع فيه الهميان ، فأخبره ، ثم سأله عن صفة الهميان وعلامته ، فأخبره بذلك ، فقال : لو رأيته كنت تعرفه؟ قال : نعم . قال : فأخرجه إليه فلما رآه ، قال : هذا الهميان الذي سقط مني وفيه من الأحجار ما صفته كذا وكذا ، ففتح الهميان فوجد الأحجار على ما وصف ، فدفعه إليه وخرج من عنده وقد صار من الأغنياء .

فلما خرج بكى الشيخ الجندي بكاء شديداً ، فسئل عن سبب بكائه فقال: إنه لم يكن بقي لي في الدنيا أمل ولا أمنية أتمناها إلا أن يأتي الله بصاحب هذا المال

فيأخذه ، فلما قضى الله بذلك بفضله ولم يبق لي أمل علمت أنه قد حان [ق/ ١٣٩] أجلي .

قال أبو ذر : فما انقضى شهر حتى توفي ، وصلينا عليه رحمه الله .

وحكى هذا المصنف أيضًا في كتابه عن رجل حكى له بالموصل أن رجلا كان عندهم تاجرًا يسافر بتجارته إلى البلدان ، فسافر مرة بجميع ماله وما يملكه إلى الكوفة ، فوافقه في تلك السفرة رجل فخدمه فأحسن خدمته ، وأنس به حتى وثق به ، ثم استغفله في بعض المنازل وأخذ دابته وما عليها من المال والمتاع ، ولم يبق له شيئًا ألبتة ،واجتهد في طلبه فلم يقع له على خبر ، فرجع إلى بلده راجلاً جائعًا ، فدخل المدينة ليلا وهو على تلك الحال فطرق بابه ، فلما علم به أهله سروا به وقالوا : الحمد لله الذي جاء بك في هذا الوقت ، فإن أهلك قد ولدت اليوم ولدًا وما وجدنا ما نشتري به ما تحتاج إليه النفساء ، ولقد كانت هذه الليلة طاوية فاشتر لنا دقيقًا ودهنا نسرج به ، فلما سمع ذلك زاد في غمه وكربه، وكره أن يخبرهم بما جرى له فيحزنهم ، فخرج إلى حانوت رجل كان بالقرب من داره فسلم عليه ، وأخذ منه دهنًا وغيره مما يحتاج إليه، فبينما هو يخاطبه إذ التفت فرأى خرجه الذي هرب به خادمه مطروحًا في داخل الحانوت ، فسأله عنه فقال : إن رجلا [ق/ ٣٩ب] ورد عليَّ بعد العشاء واشترى مني عشاء واستضافني فأضفته ، فجعلت خرجه في حانوتي ودابته في دار جارنا ، والرجل بائت في المسجد ، فنهض إلى المسجد ومعه الخرج فوجد الرجل نائمًا، فرفسه فاستيقظ مذعورًا ، فقال له : أين مالي يا خائن ؟ قال : هوذا على عنقك والله ما فقد منه ذرة .

واستخرج الدابة من موضعها ، ووسع على أهله وأخبرهم حينئذ بخبره.

وتشبه هاتين الحكايتين ما حكاه التنوخي في كتابه « الفرج بعد الشدة » والحكاية طويلة ، وملخصها : أن رجلا كان ببغداد في زمن الرشيد ، وكان صيرفيًا ، فابتاع جارية بخمسمائة دينار ، وشغف بها حتى تعطل عن معاشه بسبب ملازمتها ، وأنفق رأس ماله حتى لم يبق معه منه شيء ، وحملت جاريته فصار ينقض داره ويبيع أنقاضها حتى فرغت ولم يبق له حيلة فضربها الطَّلق وهو على تلك الحال ، وطلبت منه ما يصلح للنفساء ، وشكت إليه أنها تموت إن لم يعجل

عليها بذلك ، فبكى وخرج على وجهه ، وهم أن يغرق نفسه في دجلة ، ثم خاف عقاب الله فامتنع ، وخرج ماشيًا على قدميه من قرية إلى قرية حتى بلغ خراسان ، فأقام بها واكتسب بها مالا ، وكتب إلى بلده ستة وستين كتابًا ليتعرف خبر الجارية ، فلم يعد إليه الجواب [ق/ ١٤٠] فلم يشك أنها ماتت .

ثم رجع إلى بغداد بعد مدة طويلة ، ومعه مال قيمته عشرون ألف دينار ، فخرج على قافلته اللصوص فأخذوا ما معه كله ، وعاد بثيابه فقيراً، ولم يزل يتوصل حتى دخل بغداد فقيراً كما خرج منها بعد أن غاب عنها قريبًا من ثلاثين سنة ، فقصد داره فوجدها عامرة وبابها حسن ، وعليه بواب وغلمان وبغال ، فسأل عن الدار : لمن هي ؟ ! فقيل : هي لابن فلان الصيرفي ـ وسموا الرجل باسمه ـ قالوا :وهو ابن داية أمير المؤمنين ، وهو جهبذه وصاحب بيت ماله ، وأخبره الذي سأله أن أباه أخبره أن أبا هذا الرجل صاحب الدار كان صيرفيًا جليلا فافتقر ، وإن أم هذا الصبي ضربها الطلق فخرج أبوه يطلب لها شيئًا ، ففقد وهلك، وأن أمه أرسلت إلى بعض الجيران تستغيث بهم ، فقاموا لها بحوائج الولادة ، ثم أنه ولد لأمير المؤمنين ولد ذكر وذلك الولد هو المأمون ، وأنه عرض عليه جميع الدايات فلم يقبل أثدائهن ،فأرشدوا إلى أم هذا الصبي فَحُمِلَتْ إلى دار الرشيد ، فحين وضع فم المولود على ثديها قبله وأرضعته ، وصارت عندهم في حال جليلة ، ثم لما ولي المأمون الخلافة كانت المرأة وابنها معه ، وبنى ابنها هذه الدار ، وسأله عن أمه : أحية [ق/ ٤٠ب] هي ؟ قالوا : نعم ، وهي تمضي إلى دار الخليفة أيامًا وتكون عند ابنها أيامًا ، فجاء الرجل الصيرفي حتى دخل الدار مع الناس فرآها في غاية الحسن ورأى في صدرها شابًا يشبهه ، وبين يديه الكتاب والأموال والموازين يقبضون ويُقبضون ، فجلس الرجل في غمار الناس حتى تفرقوا ولم يبق غيره فقال له الشاب : يا شيخ ، هل من حاجة ؟ قال: نعم أنا أبوك . قال : فتغير وجهه ووثب مسرعًا ،ثم استدعاه إلى داره وأجلسه على كرسي وهناك ستار ، فقال له الشيخ : لعلك تريد أن تختبر صدق قولي من جهة فلانة ؟ وذكر اسم جاريته أم الصبي ، فسمعت الجارية صوته فرفعت الستارة

وخرجت إلى سيدها وجعلت تقبله وتبكي ، وأخبرها خبره من حين خروجه من عندها إلى أن رجع ، فقام ولده حينئذ واعتذر إليه من تقصيره وأصلح حاله ، ثم أدخله على المأمون فحدثه بحديثه ، فخلع عليه وصيره جهبذاً له على ما كان عليه ابنه ، وأجرى عليه الرزق وقلد ابنه عملا أجلَّ من عمله.

وروى المعافى بن زكريا النهرواني بإسناده عن سوَّار القاضي أنه خرج يومًا من دار المهدي ، فدخل داره بغدائه فجاشت نفسه ، فرده ثم دعا بجارية له فلم تطب نفسه ، فدخل للقائلة فلم يأخذه النوم ، فنهض وركب بغلته ، فلقيه وكيل له [ق/ ١٤١] معه ألفا درهم ، فقال له : أمسكها معك واتبعني . وخلى بغلته فذهبت به ، فحضرت الصلاة وهو في بعض الشوارع فدخل فصلى في مسجد هناك ، فلما قضى صلاته ، إذا هو بأعمى يتلمس ، فقال له : ما تريد ؟ قال له : أريدك. قال : وما حاجتك ؟ قال : شممت منك ريح الطيب فظننت أنك من أهل النعيم فأردت أن ألقي إليك شيئًا . قال : قل . قال : أترى هذا القصر ؟ لقصر هناك . قال : نعم ، قال : فإنه كان لأبي فباعه ، ثم خرج إلى خراسان فخرجت معه فزالت عنا النعم التي كنا فيها ، فقدمت فأتيت صاحب الدار لأسأله شيئًا يصلني به وأصير إلى سوّار القاضي ؛ فإنه كان صديقًا لأبي ، قال سوّار : قلت : فمن أبوك ؟ قال : فلان بن فلان . فإذا هو أصدق الناس لي ، فقلت له: فإن الله قد أتاك بسوّار منعه الطعام والشراب والنوم وجاء به بين يديك . ثم دعا سوار وكيله فأخذ منه الدراهم فدفعها إليه ، وقال له : إذا كان غد فصر إليّ. قال سوّار : ثم دخلت على المهدي فحدثته بهذا الحديث ، فأعجبه وأمر للأعمى بمائة ألف دينار ، قال سوّار : فجاءني الأعمى ، فدفعت إليه الألفي دينار [ق/٤١ب] وقلت له: قد رزق الله بكرمه بك خيراً كثيراً ، وأعطيته من مالي ألفي دينار أيضًا.

وخرَّج ابن أبي الدنيا في كتابه « الفرج بعد الشدة » بإسناده عن وَضَّاح بن خيثمة قال : أمرني عمر بن عبد العزيز رحمه الله بإخراج من في السجن، فأخرجتهم إلا يزيد بن أبي مسلم فنذر هدر دمي ، فإني لبإفريقية إذ قيل لي : قدم يزيد بن أبي سفيان ـ يعني : أميراً على إفريقية ـ فهربتُ منه ، وأرسل في طلبي

فأُخِذْت، فأتي بي إليه فقال لي : والله لطالما سألت الله أن يمكنني منك . فقلت : وأنا والله طالما استعذت بالله من شرّك ، فقال : والله ما أعاذك ، والله لأقتلنك ، ثم والله لأقتلنك ، ثم والله لأقتلنك ، لو سابقني ملك الموت إلى قبض روحك لسبقته ، عليَّ بالسيف والنطع !! قال : فجيء بالنّطع فأقعدت فيه وكُتِّفت ، وقام قائم على رأسي بسيف مشهورٍ ، وأقيمت الصلاة ، فخرج إلى الصلاة فلما سجد أخذته سيوف الجند ، فقتل : فجاءني رجل فقطع كتافي بسيفه وقال لي : انطلـق.

وبإسناده عن عمرو السرايا وكان يغزو في بلاد الروم وحده فبينما هو نائم ذات يوم إذ ورد عليه علجٌ منهم فحرَّكه برجله ، فانتبه فقال : يا عربي ، اختر [ق/ ١٤٢] إن شئت مطاعنة ، وإن شئت مسايفة ، وإن شئت مصارعة ! فقلت: أما المطاعنة والمسايفة فلا بقاء لهما ولكن المصارعة ، فنزل فصرعني وجلس على صدري وقال : أيَّ قتلةٍ أقتلك ؟ فرفعت رأسي وقلت : أشهد أن كل معبود ما دون عرشك إلى قرار الأرضين باطل غير وجهك الكريم ،قد ترى ما أنا فيه ففرج عني ! قال : فأغمى عليَّ ، فأفقت فإذا الرومي قتيل إلى جنبي .

وروى أبو الحسن بن الجهضم بإسناده عن حاتم الأصم قال : لقينا الترك فكان بيننا جولة فرماني تركي فقلبني عن فرسي ، ونزل فقعد على صدري وأخذ بلحيتي وأخرج من خفه سكينًا ليذبحني ، فما كان قلبي عنده ولا عند سكينه ، وإنما كان عند سيدي ، فقلت : سيدي ، إن قضيت علي أن يذبحني هذا فعلى الرأس والعين ؛ إنما أنا لك وملكك ! فبينما أنا على هذه الحال إذ رماه بعض المسلمين بسهم فما أخطأ حلقه فسقط عني فقمت أنا إليه وأخذت السكين من يده فذبحته بها ، فما هو إلا أن تكون قلوبكم عند السيد حتى تروا من عجائب لطفه ما لم تروا من الآباء والأمهات .

وهذا باب يطول ذكره جداً فليقتصر [ق/ ٤٢ب] على ما ذكرناه ففيه كفاية.

***

قوله ﷺ : « إن مع العسر يسراً »

هذا منتزع من قوله سبحانه وتعالى : ﴿ سَيَجْعَلُ اللهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾ [الطلاق : ٧] وقوله تعالى : ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥ ـ ٦].

وروى حُميد بن حماد بن أبي الخوار ، ثنا عائذ بن شريح ، سمعت أنس بن مالك يقول :

« كان النبي ﷺ جالسًا وحياله جحر ، فقال : لو جاء العسر فدخل هذا الجحر لجاء اليسر حتى يدخل عليه فيخرجه . فأنزل الله عز وجل : ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ .

خرَّجه ابن أبي حاتم في « تفسيره » [(١)] وخرَّجه البزار في « مسنده » [(٢)] : ولفظه لو جاء العسر حتى يدخل هذا الجحر لجاء اليسر حتى يخرجه . ثم قال : ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ » .

حُميد بن حماد هذا ضعفوه .

وخرَّج ابن أبي حاتم من رواية مبارك بن فضالة ، عن الحسن قال : كانوا يقولون : لا يغلبُ عسر واحد يسرين اثنين .

وخرَّج ابن جرير [(٣)] من رواية معمر عن الحسن قال :

« خرج النبي ﷺ يومًا مسروراً فرحًا وهو يقول : « لن يغلب عسر يسرين ، لن يغلب عسر يسرين . ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ » .

---

(١) كما في تفسير ابن كثير (٤ / ٥٢٥) .

(٢) (٣/ ٨١ ـ كشف) ، والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٥٥) وقال : هذا حديث عجيب غير أن الشيخين لم يحتجا بعائذ بن شريح . وتعقبه الذهبي قائلاً : تفرد به حميد بن حماد عن عائذ ، وحميد منكر الحديث كعائذ .

(٣) في تفسيره (٣٠/ ١٥١) .

وخرَّجه أيضًا من رواية عوف ويونس عن الحسن مرسلا أيضًا .

ومن حديث قتادة [1] قال :

« ذكر لنا أن رسول الله ﷺ بشر أصحابه بهذه الآية فقال : لن يغلب عسر يسرين » .

وروى ابن أبي الدنيا من حديث [ق/ ١٤٣] معاوية بن قرة حدثه عن ابن مسعود قال : « لو أن العسر دخل في جحر لجاء اليسر حتى يدخل معه ثم قال : قال الله تعالى : ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ » ومن حديث عبد الرحمن ابن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده أن « أبا عبيدة حُصر فكتب إليه عمر يقول : مهما ينزل بامرئ من شدة إلا يجعل الله له بعدها فرجًا ، وإنه لن يغلب عسر يسرين ، وإنه يقول : ﴿ اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران : ٢٠٠] » [2] .

وكذا قال ابن عباس وغيره من المفسرين في هذه الآية : « لن يغلب عسر يسرين ».

كان بعض المتقدمين ليلة في البادية في غم شديد ، فألقي في روعه بيت من الشعر ، فقال :

أرى الموت لمن أصبح ... مغمومًا له أصلح

فلما جنّ عليه الليل سمع هاتفًا يهتف :

ألا يا أيها المـــرء ... الذي الهم به بـــرح
وقد أنشد بيتًا لـــم ... يزل في ذكره يسبح
إذا اشتد بك العسر ... ففكر في ألم نشرح
فعسر بين يسريـــن ... إذا أبصرته فافـــرح

قال : فحفظت الأبيات ففرج الله غمي :

وقد أكثر الشعراء من القول في هذا المعنى ، ونحن نذكر قطعة منتخبة من

---

(١) أخرجه ابن جرير (٣٠/ ١٥١) .

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في « الفرج بعد الشدة » ص ٢٤ .

محاسن ما قيل في ذلك ، فمما قيل في هذا المعنى :

تصبر [ق/٤٣ب] إن عقبى الصبر خير ... ولا تجزع لنائبة تنوب

فإن اليسر بعد العسر يأتي ... وعند الضيق تنكشف الكروب

ولبعضهم :

وكم جزعت نفوس عن أمور ... أتى من دونها فرج قريب

ولبعضهم :

عسى فرج يكون عسا ... نعلل أنفسنا بعسى

وأقرب ما يكون المرء ... من فرج إذا يئسا

ولغيره :

إذا تضايق أمرٌ فانتظر فرجا ... فأضيق الأمر أدناه من الفرج

ولبعضهم :

فلا تجزع وأن أعسرت يومًا ... فقد أيسرت في الزمن الطويل

ولا تظنن بربك ظنّ سوء ... فإن الله أولى بالجميل

ولا تيأس فإن اليأس كفر ... لعل الله يغني عن قليل

فإن العسر يتبعه يسار ... وقيل الله أصدق كل قيل

ولبعضهم :

مفتاح باب الفرج الصبر ... وكل عسر بعده يسر

والدهر لا يبقى على حالة ... والأمر يأتي بعده الأمر

ولغيره :

إذا اشتملت على اليأس القلوب ... وضاق لما به الصدر الرحيب

وأوطأت المكاره واطمأنت ... وأرست في أماكنها الخطوب

ولم ترى لانكشاف الضر وجها ... ولا أغنى بحيلته الأريب

أتاك على قنوط منك غوث ... يَمُن به اللطيف المستجيب

[ق/١٤٤] وكل الحادثات وإن تناهت فموصول بها الفرج القريب

ولبعضهم :

عسى ما ترى أن لا يدوم وأن ترى له فرجًا مما ألح به الدهر

عسى فرج يأتي به الله إنه له كل يوم في خليقته أمر

إذا لاح عسر فارج يسراً فإنه قضى الله أن العسر يتبعه اليسر

ولنختم الكتاب بذكر نبذة يسيرة من لطائف البلايا وفوائدها وحكمها، فمنها : تكفير الخطايا بها ، والثواب على الصبر عليها ، وهل يثاب على (البلايا) (*) بنفسه ؟ فيه اختلاف بين العلماء .

ومنها : تذكر العبد بذنوبه ؛ فربما تاب ورجع منها إلى الله عز وجل .

ومنها : زوال قسوة القلوب وحدوث رقتها .

قال بعض السلف : إن العبد ليمرض فيذكر ذنوبه فيخرج منه مثل رأس الذباب من خشية الله فيغفر له .

ومنها : انكسار العبد لله عز وجل وذله له ، وذلك أحب إلى الله من كثير من طاعات الطائعين .

ومنها : أنها توجب للعبد الرجوع بقلبه إلى الله عز وجل ، والوقوف ببابه والتضرع له والاستكانة ، وذلك من أعظم فوائد البلاء ، وقد ذم الله من لا يستكين له عند الشدائد ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ [ق/ ١٤٤ب] وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴾ [المؤمنون: ٧٦] .

وقال : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴾ [الأنعام : ٤٢] .

وفي بعض الكتب السابقة : إن الله ليبتلي العبد وهو يحبه ليسمع تضرعه.

وقال سعيد بن عبد العزيز : قال داود ـ عليه السلام ـ : سبحان مستخرج

(*) البلاء : « نسخة » .

الدعاء بالبلاء ، وسبحان مستخرج الشكر بالرخاء .

ومرَّ أبو جعفر محمد بن علي بمحمد بن المنكدر وهو مغموم ، فسأل عن سبب غمه ، فقيل له : الدّين قد فدحه ، فقال أبو جعفر : أفتح له في الدعاء ؟ قيل : نعم . قال : لقد بورك لعبد في حاجة أكثر فيها من دعاء ربه كائنة ما كانت .

وكان بعضهم إذا فتح له في الدعاء عند الشدائد لم يحب تعجيل إجابته خشية أن ينقطع عما فتح له .

وقال ثابت : إذا دعا الله المؤمن بدعوة وكل الله جبريل بحاجته يقول: لا تعجل بإجابته ، فإني أحب أن أسمع صوت عبدي المؤمن .

وروي مرفوعًا من وجوه ضعيفة [1] .

رأى بعض السلف رب العزة في نومه فقال : يا رب ، كم أدعوك ولا تجيبني؟.

قال : إني أحب أن أسمع صوتك [2] .

ومنها : أن البلاء يوصل إلى قلبه لذة الصبر عليه والرضا به ، وذلك مقام عظيم جداً ، وقد تقدمت [ق/ ١٤٠] الإشارة إلى فضل ذلك وشرفه .

ومنها : أن البلاء يقطع قلب المؤمن عن الالتفات إلى مخلوق ويوجب له الإقبال على الخالق وحده .

---

(١) أخرجه الطبراني في « الأوسط » (٨٤٤٢) وقال : لم يرو هذا الحديث عن محمد بن المنكدر إلا إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة تفرد به سويد بن عبد العزيز .
وذكره الهيثمي في « المجمع » (١٠/ ١٥١) وقال : ... وفيه إسحاق بن عبد الله ابن أبي فروة ، وهو متروك .

(٢) قال الشيخ محمد ناصر العجمي ـ حفظه الله ـ في تعليقه على هذه الرسالة ص ١٢٢ : كان الأولى بالمصنف ـ رحمه الله ـ الإعراض عن ذكر مثل هذه الحكاية ، وقد شحن كتابه هذا من الحكايات التي جلها لا أصل لها في الكتاب والسنة الصحيحة ، بل مبنية على الخيال ، وكفى بما صح من السنة وأقوال السلف واعظًا ، فنسأل الله أن يتجاوز عنا وعنه.

وقد حكى الله عن المشركين إخلاص الدعاء له عند الشدائد ؛ فكيف بالمؤمن؟!.

فالبلاء يوجب للعبد تحقيق التوحيد بقلبه وذلك أعلى المقامات وأشرف الدرجات .

وفي الإسرائيليات يقول الله عز وجل : « **البلاء يجمع بيني وبينك ، والعافية تجمع بينك وبين نفسك** » .

❊ ❊ ❊

فصل

وإذا اشتد الكرب وعظم الخطب كان الفرج حينئذ قريبًا في الغالب .

قال تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا﴾ [يوسف : ١١٠] وقال : ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ [البقرة : ٢١٤] .

وأخبر عن يعقوب ـ عليه السلام ـ أنه لم ييأس من لقاء يوسف ، وقال لإخوته : ﴿اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ ﴾ [يوسف : ٨٧] وقال : ﴿ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ﴾ [يوسف : ٨٣] .

ومن لطائف أسرار اقتران الفرج باشتداد الكرب أن الكرب إذا اشتد وعظم وتناهى وجد الإياس من كشفه من جهة المخلوق ووقع التعلق [ق/ ٤٥ب] بالخالق وحده ، ومن انقطع عن التعلق بالخلائق وتعلق بالخالق ، استجاب الله له وكشف عنه ؛ فإن التوكل هو قطع الاستشراف باليأس من المخلوقين ، كما قال الإمام أحمد ، واستدل عليه بقول إبراهيم لما عرض له جبريل في الهواء وقال : ألك حاجة ؟ فقال : أما إليك فلا ! .

والتوكل من أعظم الأسباب التي تطلب بها الحوائج ، فإن الله يكفي من توكل عليه ، كما قال : ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ [الطلاق : ٣] .

قال الفضيل : والله لو يئست من الخلق حتى لا تريد منهم شيئًا لأعطاك مولاك كل ما تريد .

ومنها : أن العبد إذا اشتد عليه الكرب فإنه يحتاج حينئذ إلى مجاهدة الشيطان، لأنه يأتيه فيقنطه ويسخطه ، فيحتاج العبد إلى مجاهدته ودفعه، فيكون ثواب مجاهدة عدوه ودفعه : دفع البلاء عنه ورفعه .

ولهذا في الحديث الصحيح :

« يستجاب لأحدكم ما لم يعجل ، يقول : قد دعوت فلم يستجب لي ! فيدع الدعاء » [(١)] .

ومنها : أن المؤمن إذا استبطأ الفرج ويئس منه ولا سيما بعد كثرة الدعاء وتضرعه ولم يظهر له أثر الإجابة، رجع إلى نفسه باللائمة ويقول لها: إنما أتيت من قبلك [ق/ ١٤٦] ولو كان فيك خير لأجبت ! .

وهذا اللوم أحب إلى الله من كثير من الطاعات ؛ فإن يوجب انكسار العبد لمولاه، واعترافه له بأنه ليس بأهل لإجابة دعائه فلذلك يسرع إليه حينئذ إجابة الدعاء وتفريج الكرب ، فإنه تعالى عند المنكسرة قلوبهم من أجله ، على قدر الكسر يكون الجبر .

قال وهب : تعبد رجل زمانًا ثم بدت له إلى الله حاجة فصام سبعين سبتًا يأكل في كل سبت إحدى عشرة تمرة ، ثم سأل الله حاجته فلم يعطها فرجع إلى نفسه فقال : منك أتيت ، لو كان فيك خير أعطيت حاجتك . فنزل إليه عند ذلك ملك ، فقال : يا ابن آدم ؛ ساعتك هذه خير من عبادتك التي مضت وقد قضى الله حاجتك .

أهين لهم نفسي لكي يكرمونها ولن تكرم النفس التي لا تهينها

فمن تحقق هذا وعرفه وشاهده بقلبه ، علم أن نعم الله على عبده المؤمن بالبلاء أعظم من نعمه في الرخاء ، وهذا تحقيق معنى الحديث الصحيح عن النبي ﷺ :

« لا يقضي الله للمؤمن قضاء إلا كان خيراً له ، إن أصابته سراء فشكر كان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر كان خيراً له ، وليس ذلك إلا للمؤمن » [(٢)] .

ومن ها هنا كان العارفون بالله لا يختارون إحدى الحالتين على الأخرى، بل

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٤٠) ، ومسلم (٢٧٣٥) .

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٩٩) .

أيهما قدر الله رضوا به وقاموا بعبوديته اللائقة به .

وفي « المسند »[1] والترمذي[2] عن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال : «**عرض عليَّ ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهبًا ، فقلت : لا يا رب ، ولكن أشبع يومًا ، وأجوع يومًا ؛ فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك ، وإذا شبعت شكرتك وحمدتك** » .

وقال عمر : ما أبالي أصبحت على ما أحب أو على ما أكره لأني لا أدري الخير فيما أحب أو فيما أكره[3] ؟

وقال عمر بن عبد العزيز : أصبحت يومًا وما لي سرور إلا في مواقع القضاء والقدر .

يا هذا ، لِمَ نستدعيك إلينا وأنت تفر منا ؟! نسبغ عليك النعم فتشتغل بها عنا وتنسانا ! فنفرغ عليك البلاء لترد إلينا ! وتقف على بابنا ونسمع تضرعك ! البلاء يجمع بيننا وبينك ، والعافية تجمع بينك وبين نفسك .

إن جرى بيننا وبـينك عتـب   أو تناءت مـنا ومنك الديار

فالوداد الذي عهدت مقيـم   والأيادي التي عهـدت غزار

كم لنا في طي البلايا من منح   وعطـايا وفي الزوايا خبـايا

يا هذا ! إن شكرت نعمنا عليك [ق/ ١٤٧] فتوفيقك للشكر من جملة نعمنا فاشكره ! وإن صبرت على بلائنا فالصبر من جملة فضلنا فاذكره ، فكل ما تتقلب فيه فهو من نعمنا فلا تكفره ﴿ **وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ**

---

(١) (٥/ ٢٥٤) .

(٢) برقم (٢٣٤٧) وقال : هذا حديث حسن . . . إلى أن قال : وعلي بن يزيد ضعيف الحديث .

قلت : وفي الإسناد عبيد الله بن زحر عن علي بن يزيد الألهاني عن القاسم أبي عبد الرحمن ، وقد قال ابن حبان عنهم : إنهم إذا اجتمعوا في إسناد ، فهو مما عملت أيديهم .

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في الفرج بعد الشدة ص ٢١ .

كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم : ٣٤] .

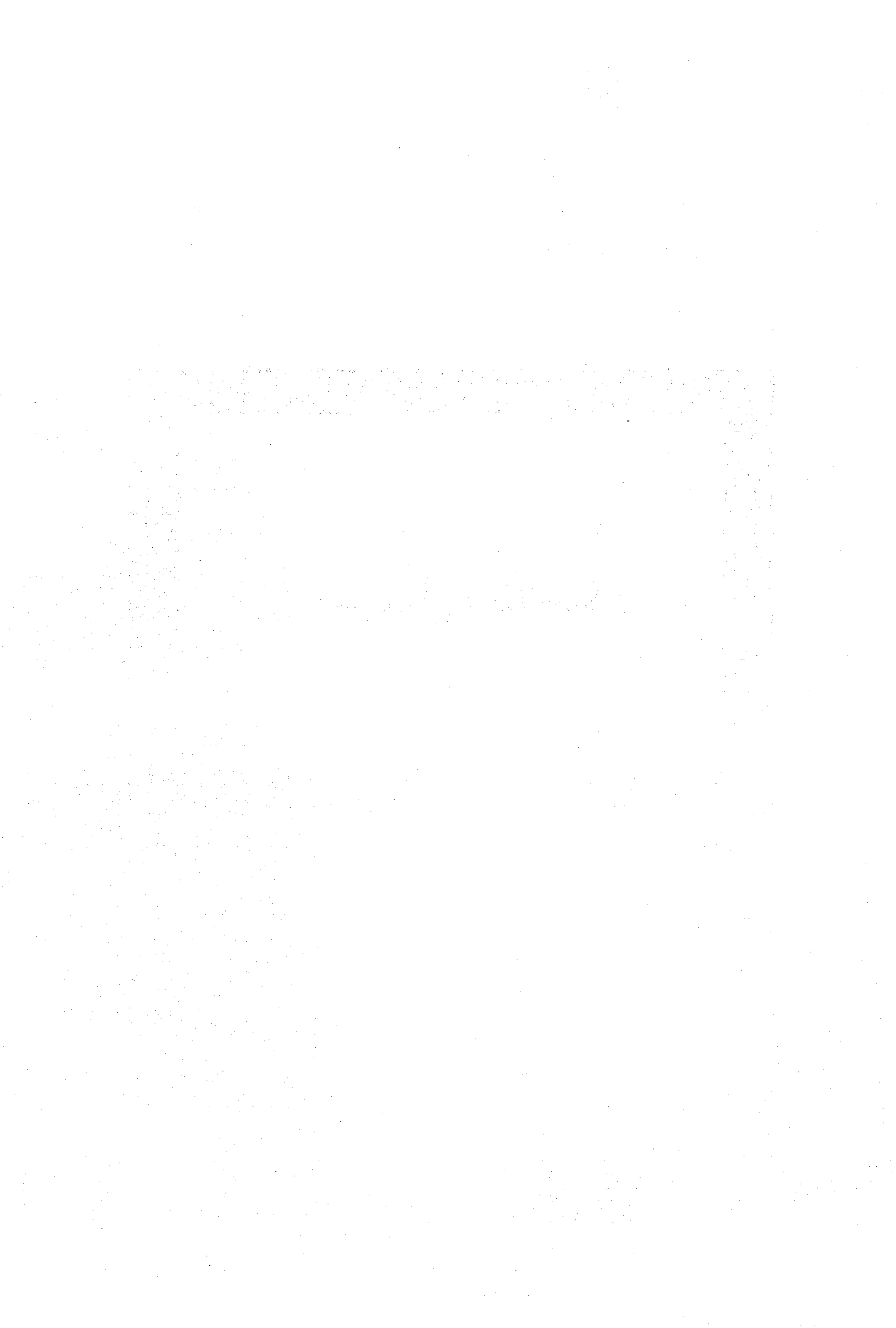
إذا كان شكري نعمة الله نعمةً	عليَّ له في مثلها يجب الشكر
فكيف وقوع الشكر إلا بفضله	وإن طالت الأيام واتصل العمر
إذا مس بالسراء عم ســرورها	وإن مس بالضراء أعقبها الأجر
وما منهما إلا له فيه مـــــنة	تضيق لها الأوهام والبر والبحر

آخره والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيراً يا رب العالمين .

ووافق الفراغ منه في ليلة يسفر صباحها عن ليلة الثلاثاء خامس شهر ربيع الأول من شهور سنة ثلاث وتسعين وثماني مائة ، على يد فقير عفو ربه الممجد عيسى بن علي بن محمد الحوراني الشافعي ، عامله الله بلطفه الخفي وغفر له ولوالديه ، ولمن نظر فيه ودعا لي بالمغفرة وحسن الخاتمة ، إنه بر رحيم جواد لا يخيب من دعاه .

❋ ❋ ❋


فضائل الشام



[ق/ ١أ] بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله منجي من شاء من عباده المؤمنين من الهلكة ، ومصطفي ما شاء من بلاده بمزيد الإيمان والبركة ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، فطوبى لمن وحده ، وتبًّا لمن أشركه .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المخصوص بالفضل الذي ما بلغه سواه ولا أدركه ، مولده بمكة ، ومهاجره طَيْبَة ، وملكه بالشام فهي لأمته خير مملكة ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن اقتفى طريقه وسلكه ، وبعد .

فإن الله ـ تعالى ـ جعل البلدة الحرام مبدأ لخلقه وأمره ؛ فأول ما خلق من الأرض مكان البيت ، ومنه دُحيتِ الأرض وهو أول مسجد وضع على وجه الأرض لعِبَادَةِ الله ـ تعالى ـ وتوحيده ، وفيه ابتدأت رسالة خاتم النبيين ، وأنزل الكتاب المبين ، وجعل الشام منتهى الخلق والأمر ، ففي آخر الزمان يستقر الإيمان وأهله بالشام ، وهي أرض المحشر والنشر للأنام .

وقد جمعت في هذا الكتاب ما ورد في حماية الشام وصيانتها بما فيها من الإيمان والإسلام تطييبًا لقلوب المؤمنين [ق/ ١ب] وتسكينًا لهم مما حدث بالشام من الحوادث المزعجة في سنة إحدى واثنين وتسعين بعد سبع مئين من هجرة إمام المتقين ، وخاتم النبيين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ، والله المسئول أن يحسن لنا وللمسلمين العاقبة ، وأن يجعلنا من الطائفة القائمة بالحق الغالبة .

وقد قسمته إلى عشرة أبواب ، والله الموفق للصواب .

الباب الأول : فيما ورد في الأمر بسُكنى الشام .

الباب الثاني : فيما ورد في استقرار العلم والإيمان بالشام .

الباب الثالث : فيما ورد في حفظ الشام من الفتن .

الباب الرابع : فيما ورد في استقرار خيار أهل الأرض في آخر الزمان بالشام، وأن الخير فيها أكثر منه في سائر بلاد المسلمين .

الباب الخامس : فيما ورد في أن الطائفة المنصورة بالشام .

الباب السادس : فيما ورد في أن الأبدال بالشام .

الباب السابع : فيما ورد في بركة الشام .

الباب الثامن : في حفظ الله الشام بالملائكة الكرام .

الباب التاسع : فيما ورد في بقاء الشام بعد خراب غيرها من الأمصار.

الباب العاشر :فيما ورد في فضل دمشق بخصوصها .

[ق/ ١٢] وبالله المستعان وعليه التكلان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

❋ ❋ ❋

الباب الأول
ما ورد في الأمر بسُكْنى الشام

عن عبد الله بن حوالة قال : قال رسول الله ﷺ : « **سيصير الأمر أن يكون أجنادًا مجندة ؛ جند بالشام ، وجند باليمن ، وجند بالعراق** . فقال ابن حوالة : خِرْ لي يا رسول الله إن أدركت ذلك ! فقال : **عليك بالشام ؛ فإنها خِيرَة الله من أرضه ، يجتبي إليها خِيرتَهُ من عباده ، فأما إن أبيتم فعليكم بيمنكم ، واسقوا من غُدُرِكم** [1] **، فإن الله توكل** - وفي رواية : **تكفل** - **لي بالشام وأهله** » .

خرجه الإمام أحمد [2] وأبو داود [3] وابن حبان في صحيحه [4] ، والحاكم [5] وقال : صحيح الإسناد . وقال أبو حاتم الرازي [6] : هو حديث صحيح حسن غريب .

قلت : وله طرق كثيرة ، قد ذكرتها في شرح كتاب الترمذي مستوفاة .

وخرّج البزار [7] نحوه ، من حديث أبي الدرداء ، وخرج البزار [8] أيضًا ، والطبراني [9] نحوه من حديث ابن عمر .

---

(١) جمع غدير ، وهو حوض الماء .
(٢) (٤/ ١١٠) .
(٣) برقم (٢٤٨٣) .
(٤) برقم [(٧٣٠٦) إحسان] .
(٥) في المستدرك (٤/ ٥١٠) .
(٦) كما في العلل (٢/ ٤٢١) .
(٧) برقم [(٢٨٥١) ـ كشف] .
(٨) [(٢٨٥٢) كشف] .
(٩) في « الأوسط » (٣٨٥١) .

وخرّج الطبراني أيضًا من حديث واثلة بن الأسقع [1] ، والعرباض[2] بن سارية .

وخرّج الإمام أحمد [3] والترمذي [4] وابن حبان [5] في صحيحه من حديث ابن عمر عن النبي ﷺ قال : « **تخرج نار من حضرموت فتسوق الناس** [ق/ ٢ب] **قلنا : يا رسول الله ، ما تأمرنا ؟ قال : عليكم بالشام** » وصححه الترمذي .

وخرّج الإمام أحمد [6] والترمذي [7] من حديث بهز بن حكيم [8] قال: «**قلت يا رسول الله ، أين تأمرني ؟ قال : ها هنا . ونحى بيده نحو الشام . قال : إنكم محشورون رجالا وركبانًا ، وتخرون على وجوهكم** » .

وفي رواية خرج الإمام أحمد [9] : « **وأشار بيده إلى الشام ، فقال : إلى ها هنا تحشرون** » وصححه الترمذي أيضًا .

وخرّج الإمام أحمد [10] من حديث أبي أمامة الباهلي عن النبي ﷺ قال: «**عليكم بالشام** » .

وخرج الطبراني [11] من حديث ابن عباس قال : « جاء رجل إلى رسول الله

---

(١) في « الكبير » (٢٢/ برقم ١٣٠ ، ١٣٧ ، ١٣٨) .
قال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٥٩): رواه الطبراني من طريقين ، وفيهما المغيرة بن زياد، وفيه خلاف ، وبقية رجال أحد الطريقين رجال الصحيح .
(٢) (١٨ / برقم ٦٢٧) .
(٣) (٢/ ٨ ، ١١٩) .
(٤) برقم (٢٢١٧) وقال : هذا حديث حسن غريب صحيح . . . الخ .
(٥) برقم (٧٣٠٥ / إحسان) .
(٦) (٥/ ٣ ، ٥) .
(٧) برقم (٢١٩٢ ، ٢٤٢٤ ، ٣١٤٣) . وقال : هذا حديث حسن .
(٨) كذا بالأصل ، ولعل مقصوده السلسلة كلها ؛ فاقتصر على أولها .
(٩) (٤/ ٤٤٦ ـ ٤٤٧) .
(١٠) (٥/ ٢٤٩) .
(١١) في « المعجم الكبير » (١١/ ١١١٤٩) ، وفي الأوسط (٣٧٨ ـ مجمع البحرين).
قال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٦٢): وفيه يحيى بن سليمان المدني وهو ضعيف .

ﷺ فقال : يا رسول الله ، إني أريد الغزو في سبيل الله ، قال : **عليك بالشام ؛ فإن الله قد تكفل لي بالشام وأهله** » .

وخرج الإمام أحمد [1] من حديث أبي ذر قال : قال رسول الله ﷺ: «**كيف تصنع إن أُخرجت من المدينة** ؟ قلت : إلى السَّعة والدَّعة أنطلق ، حين [2] أكون حمامةً من حمام مكة . **قال : فكيف تصنع إن أُخرجت من مكة ؟ قلت** : إلى السَّعة والدَّعة ، إلى الشام والأرض المقدسة . **قال : فكيف تصنع إن أُخرجت من الشام** ؟ قلت : إذًا والذي بعثك بالحق أضع سيفي على عاتقي . **فقال :أو خيرٌ من ذلك** [ق/ ١٣] **تسمع وتطيع ، وإن كان عبداً حبشيًّا** » .

وخرج ابن أبي خيثمة من حديث ذي الأصابع ، أنه قال : « يا رسول الله ، أين تأمرنا إن ابتلينا بالبقاء بعدك ؟ قال : **عليك بالشام** » .

وخرج الترمذي [3] من حديث ابن عمر « أن مولاة له أتته فقالت : اشتد عليّ الزمان ، وأنا أريد أن أخرج إلى العراق ، قال : **فهلا إلى الشام ؛ أرض المنشر** ... » وذكر الحديث ، وقال : حسن غريب [4].

وروى يحيى بن سعيد عن عبد الله بن هبيرة « أن أبا الدرداء كان قاضيًا بالشام فكتب إلى سلمان : هلم إلى الأرض المقدسة ، أرض الجهاد » .

وروى الطبراني [5] من حديث أرطاة بن المنذر قال : حدثني أبو الضحاك ، قال : « أتيت ابن عمر فسألته : أين أنزل ؟ فقال :إنَّ الناصية الأولى من أصحاب رسول الله ﷺ ساروا بلواء رسول الله ﷺ حين نزلوا الشام ، ثم نزلوا حمص خاصة ، فانظر ما كانوا عليه فأته » .

وروينا من حديث ابن ثوبان عن منصور بن المعتمر عن علقمة قال : « قدم

---

(١) (٥/ ١٧٨ ، ١٧٩) .

(٢) في « المسند » « حتى » .

(٣) برقم (٣٩١٨) .

(٤) في المطبوع « حسن صحيح غريب » .

(٥) وأخرجه من طريقه ابن عساكر « في تاريخه » (١/ ٩٠) .

كعب على عمر المدينة ، فقال له عمر : يا كعب ، ما يمنعك بالنزول [1] بالمدينة ، فإنها مهاجر رسول الله ﷺ وبها مدفنه ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، [ق/ ٣ب] إني وجدت في كتاب الله المنزل في التوراة ، أن الشام كنز الله في أرضه ، وبها كنز الله من عباده » .

ورواه عبد الرزاق [2] عن معمر ، عن قتادة : « أن كعبًا قال لعمر : إني وجدت . . . » فذكره .

وروى إبراهيم بن أدهم عن عطاء الخراساني قال : لما هممت بالنُّقلة من خراسان شاورت من بها من أهل العلم : أين ترون أن أنزل بعيالي ؟ فكلهم يقول: عليك بالشام ، ثم أتيت البصرة فشاورت من بها : أين ترون أن أنزل بعيالي ؟ فكلهم يقول : عليك بالشام ، ثم أتيت الكوفة فشاورت من بها من أهل العلم : أين ترون أن أنزل بعيالي ؟ فكلهم يقول : عليك بالشام ، ثم أتيت مكة فشاورت من بها من أهل العلم : أين ترون لي أن أنزل بعيالي ؟ فكلهم يقول : عليك بالشام ، ثم أتيت المدينة : فسألت من بها من أهل العلم : أين ترون لي أن أنزل بعيالي ؟ فكلهم يقول : عليك بالشام . خرّجه ابن أبي خيثمة .

وروى الصلت بن حكيم عن وهب بن منبه ، قال : قال هرم بن حيَّان لأويس القرني : يا أخي ، إني أخاف الوحشة من بعدك ، فقال أويس: ما ظننت أن أحدًا يعرف الله ـ عز وجل ـ فيستوحش معه ، قال: قلت له : [ق/ ٤أ] فأين أكون ؟ قال : فأومأ بيده نحو الشام . قال : فقلت : كيف أصنع بالمعيشة ؟ قال: إن خالط هذه النفوس الضعف فما ينفعها شيء .

وذكر أبو بكر الخلال في كتاب « الجامع » عن أبي بكر المروذي قال: سئل أبو عبد الله ـ يعني : أحمد بن حنبل ـ : أين ترى إذا كره المكان الذي هو فيه أن ينتقل ؟ قال : إلى المدينة ، قيل : فغير المدينة ؟ قال : مكة . قيل : فغير هذا ؟

---

(١) في « تاريخ دمشق » « من النزول » .

(٢) في جامع معمر برقم (٢٠٤٥٩) .

قال : الشام ، والشام أرض المحشر ، ثم قال : دمشق ، لأنها يجتمع إليها الناس إذا غلبت عليهم الروم .

ونقل إسحاق بن إبراهيم بن هانئ وأبو طالب عن أحمد ، قريبًا من ذلك ، زاد أبو طالب : قلت له : فأصير إلى دمشق ؟ قال : نعم . قلت : فالرملة ؟ قالا : لا ، هي قريبة من الساحل .

ونقل حنبل عن أحمد قال : إذا لم يكن للرجل حرمة فالساحل والرباط أعظم للأجر ، يَردٌّ عن المسلمين ، والشام بلد مبارك .

ونقل أبو داود عن أحمد أنه قيل له : هذه الأحاديث التي جاءت أن الله تكفل لي بالشام وأهله ، ونحو هذا قال : ما أكثر ما جاء في هذا . قيل له : فلعله في الثغور . قال : لا . وقال : أرض بيت المقدس أين هي ؟ ولا يزال أهل الغرب [ق/ ٤ب] ظاهرين على الحق ، هم أهل الشام .

ونقل يعقوب بن بختان قال : سمعت أبا عبد الله - يعني: أحمد - يقول : كنت آمُر بحمل الحريم إلى الشام ، فأما اليوم فلا.

ونقل مهنّا وبكر بن محمد وأبو الحارث عن أحمد نحوه .

وزاد في روايتهما قال : لأن الأمر قد اقترب .

زاد مهنّا قال : أخاف على الذرية من العدو .

وقال جعفر بن محمد : سألت أبا عبد الله عن الحرمة ، قلت : دمشق ، فاعجبه ذلك ، وأحسبه قال : نعم .

ونقل حنبل ، قيل لأبي عبد الله : فأين أحب إليك أن ينزل الرجل بأهله وينتقل؟ قال: كل المدينة معقل للمسلمين مثل دمشق.

قال أبو بكر الخلال : كل ما ذكروه عن أبي عبد الله - يعني : أحمد - من معاقل المدن ، ثم ذكرهم عند التوفي بآلائها أيضًا فهذا لما يبلغه من الحوادث ، فأما ذكرهم عنه دمشق فهي عنده معقل دون الشام ودون غيرها إلا ما ذكر في أول

الباب من محبة المدينة على غيرها . انتهى .

وحاصل ما نُقِل عن الإمام أحمد أنه يُستَحَبُّ سُكنَى الشام والانتقال بالذرية والعيال إلى معاقلها كدمشق ، فأما أطرافها وثغورها القريبة من السواحل فلا يستحب سكناها بالذرية ، لما يخشى عليهم [ق/ ١٥] من إغارة الكفار ، وإنما يستحب الإقامة بها للرباط بدون نقل النساء والذرية.

وكل ما كان من بلد من بلدانها أقرب إلى السواحل ، وأشد خوفًا، فإنه يكره نقل الذرية إليه .

فأما الأحاديث في فضائل الشام فلا تختص عنده بثغورها ، بل هي عامة لجميع أرض الشام، كبيت المقدس، وما والاه ودمشق وغيرها، والله تعالى أعلم.

وكذلك كره الأوزاعي نقل الذرية إلي الثغور التي يخشى عليها من العدو دون الثغور التي يغلب عليها الأمن من العدو .

وفي كتاب « المراسيل » (١) لأبي داود عن الوضين بن عطاء عن مكحول والقاسم أبي عبد الرحمن أن رسول الله ﷺ قال : « **لا تنزلوا الذرية** - يعني - بإزاء العدو » .

وروى جويبر ، عن الضحاك ، عن النبي ﷺ قال : « **من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يعرض ذريته لسبَاء المشركين** » خرّجه أبو إسحاق الفزاري في كتاب « السير » وهو مرسل ، وجويبر ضعيف .

وروى أبو إسحاق عن الحسن بن الحسن عن عمر بن عبد العزيز أنه صرف قومًا قدموا عليه من اليمامة أرادوا سُكنى دمشق عنها ، فقالوا : اختر لنا ، قال : قِنَّسرِين .

[ق/ ٥ب] وهكذا كان عمر بن العزيز يختار لنفسه بلاد قنسرين على دمشق، وإنما اختار هذا لقرب العدو ، وكون مقامه فيه أنفع للمسلمين ؛ لتجهيز الجيوش ووصول الأخبار ، وغير ذلك من مصالح العامة . والله أعلم .

---

(١) برقم (٣٤٤) .

الباب الثاني
ما ورد في استقرار العلم والإيمان بالشام

عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ قال : « إني رأيت كأن عمود الكتاب [(١)] انتزع من تحت وسادتي ، فأتبعته بصري ، فإذا هو نور ساطع عُمِدَ به إلى السماء ، ألا وإن الإيمان إذا وقعت الفتن بالشام » خرّجه الحاكم[(٢)] وقال : صحيح على شرط الشيخين .

وفي رواية خرّجها [أبو] [(٣)] القاسم بن عساكر في « تاريخ دمشق»: «فَأَوَّلْتُهُ المُلْك » .

وللحديث طرق عن عبد الله بن عمرو ، قد ذكرتها في شرح الترمذي.

وخرّجه الإمام أحمد [(٤)] من حديث أبي الدرداء ، وعمرو بن العاص [(٥)] عن النبي ﷺ بنحوه .

وخرّجه الطبراني [(٦)] من حديث عمر بن الخطاب وابنه عبد الله [(٧)] - رضي

---

(١) في الحاشية : لعله الإيمان ، وما في « المستدرك » للحاكم هو الموافق للأصل.

(٢) (٤/ ٥٠٩) .

(٣) سقطت من الأصل والصواب إثباتها ، وهي كنية ابن عساكر « رحمه الله » .

(٤) (٥/ ١٩٨ ، ١٩٩) .

(٥) (٤/ ١٩٨) .

(٦) في « مسند الشاميين » (١٥٦٦) .

(٧) في « الأوسط » (٢٧١٠) من حديث عبد الله بن عمرو ، وكذا في مجمع البحرين، ومجمع الزوائد ، ولعله تصحيف قديم .

وقد ساق ابن عساكر الحديث في تاريخه نفس مساق ابن رجب عازيًا الحديث لابن عمر، ولم أقف على أحد ذكر أبا قلابة في الرواة عن عبد الله بن عمرو وفي تهذيب الكمال (١٤/ ٥٤٢) ذكر المزي رواية لأبي قلابة عن ابن عمر .

الله عنهما - ويروى نحوه من حديث أبي أمامة وعائشة ، وفي إسناديهما ضعف .

وخرّج الإمام أحمد [1] والنسائي [2] [ق/١٦] من حديث سلمة بن [نفيل] [3] سمع النبي ﷺ يقول : « **لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الناس يزيغ الله قلوب أقوام فيقاتلونهم ، يرزقهم الله منهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك ، ألا إن [عقب] [4] دار المؤمنين الشام** » .

وروى أبو القاسم الحافظ [5] بإسناده عن أبي الدرداء أنه كان بدمشق فسأله معاوية أن يرجع إلى حمص ، فقال : يا معاوية ، أتأمرني بالخروج من عقر دار الإسلام.

وعقر الشيء : أصله ، ومنه قول النبي ﷺ : « **إني لَبِعُقْرِ حوضي** » أي: عند أصله .

وروى شهاب بن خراش ، عن سفيان الثوري ، عن الأعمش ، عن خيثمة ، عن عبد الله بن عمرو ، عن النبي ﷺ قال : « **يأتي عليكم زمان لا يبقى مؤمن إلا لحق بالشام** » .

خرجه أبو القاسم الدمشقي الحافظ في « تاريخه » [6] وقال : رواه ابن المبارك ، وابن مهدي ، وقبيصة، و[أبو] [7] حذيفة ، عن سفيان ، فوقفوه على عبد الله بن عمرو، وهو المحفوظ .

قلت : وكذا خرّجه عبد الرزاق [8] في « كتابه » عن معمر ، عن الأعمش.

---

(١) (٤/ ١٠٤) .
(٢) (٦/ ٢١٤) .
(٣) في الأصل « نوفل » والتصويب من مصادر التخريج وتحفة الأشراف .
(٤) في الحاشية لعله : « عقر » وهو الموافق لرواية أحمد ، والنسائي .
(٥) في « تاريخ دمشق » (١/ ١٠٦) .
(٦) (١/ ٣٠١) .
(٧) في الأصل : « أبي » والصواب ما أثبته .
(٨) برقم (٢٠٧٧٨) .

وخرّج ابن عدي [1] من رواية أحمد بن كنانة ، عن مقسم ، عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال : « **إذا ذهب الإيمان من الأرض وجد ببطن الأردن** » .

وقال : حديث منكر ، وأحمد بن كنانة شامي [ق/ ٦ب] منكر الحديث .

وروى المسعودي ، عن القاسم بن عبد الرحمن ، قال : مَدَّ الفُرات على عهد عبد الله بن مسعود ، فكره الناس مَدَّه ، فقال عبد الله : يا أيها الناس ، لا تكرهوا مَدَّه ، فإنه يوشك أن يلتمس فيه ملء طست من ماء فلا يوجد ، وذلك حين يرفع كل ماء إلى عنصره ، ويكون الحساء وبقية المؤمنين بالشام » .

ورواه الأعمش ، عن القاسم بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن ابن مسعود بنحوه ، إلا أنه ذكر فيه أن الماء قل بالفرات ، وقال فيه : « ويبقى الماء والمؤمنون بالشام » .

وخرّجه عبد الرزاق في « كتابه » [2] عن معمر ، عن الأعمش ، عن القاسم ابن عبد الرحمن قال : « شُكِي إلى ابن مسعود الفرات ، فقالوا: نخشى أن ينفتق علينا ، فلو أرسلت له من يَسْكره ، فقال عبد الله : «لا نسكره ؛ فوالله ليأتين على الناس زمان لو التمستم فيه ملء طست من ماء ما وجدتموه ، وليرجعن كل ماء إلى عنصره ، ويكون بقية الماء والمسلمين بالشام » .

وروى سعيد بن راشد القيسي عن عطاء عن ابن عمر ، قال : «يأتي على الناس زمان لا يبقى مؤمن إلا لحق بالشام » [3] .

وروى أبو مسهر ، حدثنا صدقة بن خالد ، سمعت عبد الرحمن بن يزيد بن جابر يقول : كان يقال: « من أراد العلم فلينزل [بداريا، بين عنس] [4] وخولان.

---

(١) في « الكامل » (١/ ١٦٨) .

(٢) برقم (٢٠٧٧٩) .

(٣) تاريخ دمشق (١/ ٣٠١) .

(٤) في الأصل : « بدار بين عبس » والصواب ما أثبتناه وهي بلدة « داريا » وقد أورد السمعاني هذا النص في « فضائل الشام » (٣٦) .

[ق/ ١٧] وروى ضمرة ، عن رجاء بن أبي سلمة ، عن عطاء الخراساني قال : ما رأيت فقيها أفقه إذا وجدته من شامي .

وقال [يعقوب] [١] بن سفيان [٢] : سمعت الحسن بن الربيع يقول : سمعت ابن المبارك يقول : ما رحلت إلى الشام إلا لاستغني عن حديث أهل الكوفة .

وقد ذكرنا في أول الباب الرواية عن النبي ﷺ بتأويل آية استقرار الكتاب بالشام بالملك ، فإن الكتاب إنما يقام به بملك يؤيده ويقاتل به من خرج عنه ، كما جمع الله بين الأمرين في قوله : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحديد : ٢٥] وروى العوام بن حوشب، عن سليمان بن أبي سليمان، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال : «الخلافة بالمدينة ، والملك بالشام » [٣] .

وروى شهاب بن خراش ، حدثنا عبد الملك بن عمير ، عمن حدثه قال : قال رسول الله ﷺ : « خلافتي بالمدينة ، وملكي بالشام » [٤] .

وروى الوليد بن مسلم ، عن مروان بن جناح ، عن يونس بن ميسرة بن حَلْبَس قال : قال رسول الله [ق/ ٧ب] ﷺ : « هذا الأمر كائن بعدي بالمدينة ثم بالشام ثم بالجزيرة ثم بالعراق ثم بالمدينة ثم ببيت المقدس ، فإذا كان ببيت المقدس فثمَّ عُقْر دارها وإن يُخرجها قوم فتعودُ إليهم أبداً » [٥] .

قال أبو القاسم الحافظ : يعني بقوله : بالجزيرة أمر مروان بن محمد الحمار.

وبقوله : بالمدينة بعد العراق ، يعني به : المهدي الذي يخرج آخر الزمان ثم

---

(١) في الأصل : الحسن ، والصواب : يعقوب صاحب كتاب المعرفة والتاريخ ، والأثر عنده (٢/ ٧٥٨) .

(٢) في « المعرفة والتاريخ » (٢/ ٧٥٨) .

(٣) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١/ ١٨٣) .

(٤) أخرجه ابن عساكر : ١/ ١٨٥) .

(٥) أخرجه ابن عساكر (١/ ١٨٥) .

ينتقل إلى بيت المقدس ، وبها يحاصره الدجال ، فالله أعلم .

وروي عن ابن عباس « أنه سأل كعبًا : كيف تجد نعت النبي ﷺ في التوراة؟ قال كعب : نجده محمد بن عبد الله ، يولد بمكة ، ويهاجر إلى طابة ، ويكون ملكه بالشام »[1] وقد روي هذا عن كعب من وجوه كثيرة ، وفي بعض ألفاظه : «سلطانه بالشام » .

***

(١) خرجه الدارمي في « سننه » (٨) .

الباب الثالث
فيما ورد في حفظ الشام من الفتن وأنها معقل المسلمين في ذلك الزمن

قد تقدم في الباب الأول حديث ابن عمر ، وبهز بن حكيم ، عن أبيه ، عن جده في المعنى .

وفي الباب الثاني حديث « **أن الإيمان إذا وقعت الفتن بالشام** » .

وفي رواية خرجها الطبراني(1) [ق/ ١٨] من حديث عبد الله بن عمرو عن رسول الله ﷺ قال : « **رأيت في المنام أخذوا عمود الكتاب فعمدوا به إلى (السماء)(2) ؛ فإذا وقعت الفتنة فالأمر بالشام** » .

وفي مسند الإمام أحمد (3) عن ابن حوالة قال : « **قال لي رسول الله ﷺ : يا ابن حوالة ، كيف تصنع في فتنة تثور في أقطار الأرض كأنها صياصي بقر؟** (4) قلت: أصنع ماذا يا رسول الله ؟ قال : **عليك بالشام** » .

وروى ثور بن يزيد ، عن حفص بن بلال بن سعيد (5) ، عن أبيه ، أن النبي ﷺ قال : « إذا وقعت الفتن فهاجروا إلى الشام ؛ فإنها من الله بمنظر ، وهي أرض المحشر : خرجه أبو القاسم الحافظ (6) وهو مرسل .

---

(1) في المعجم الأوسط (٢٧١٠) .

(2) كذا بالأصل وفي « المعجم » « الشام » .

(3) (٥/ ٣٣) .

(4) أي قرون بقر شبه الفتنة بها لشدّتها وصعوبة الأمر فيها، وراجع « النهاية » (٣/ ٦٧).

(5) كذا بالأصل وفي « تاريخ دمشق » : سعد .

(6) (١/ ١٧١).

وروى حماد بن سلمة ، عن بهز بن حكيم ، عن أبيه ، عن جده « أن النبي ﷺ قال لأبي ذر : **إذا رأيت البناء قد بلغ مبلغًا ـ يعني: ـ المدينة ، فعليك بالشام**» .

وروي معناه عن الحسن ، عن أبي أَسِيدِ الأنصاري ، عن النبي ﷺ.

وروى نافع ، عن ابن عمر ، عن كعب قال : « **يوشك نار تخرج من اليمن تسوق الناس إلى الشام ، تغدو معهم إذا غدوا ، وتروح معهم إذا راحوا ، فإذا سمعتم بها فاخرجوا إلى الشام** » .

وروى قطن بن وهب ، عن مولاة [ق/ ٨ب] لعبد الله بن عمر « أنها أرادت الجلاء في الفتنة واشتد عليها الزمان فاستأمرت عبد الله بن عمر ، فقال : أين ؟ قالت : العراق ، قال: فلا إلى الشام ، إلى المحشر » .

وروى هشام بن عمار ، حدثنا الوليد ، حدثنا خليد وسعيد ، عن قتادة «في قوله تعالى : ﴿ **وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِين** ﴾ [الأنبياء : ٧١]، قال : أنجاهما الله إلى الشام أرض المحشر والمنشر ، وبها يجتمع الناس رأسًا واحدًا ، وبها ينزل عيسى ابن مريم ـ عليه السلام ـ وبها يُهْلك الله المسيح الكذاب» .

وقال ابن أبي خيثمة : حدثنا هارون بن معروف ، حدثنا ضمرة ، عن ابن شوذب قال : تذاكرنا الشام قال : فقلت لأبي سهل : أما بلغك أنه يكون بها كذا؟ قال : بلى ، ولكن ما كان بها فهو أيسر مما يكون بغيرها .

وروى نعيم بن حماد [1] ، عن أبي ربيعة ، عن يزيد بن أبي حبيب، قال: بلغني أن رسول الله ﷺ قال : « **ستكون فتنة تشمل الناس كلهم ، لا يسلم منهم إلا الجند الغربي** » .

وسنذكر فيما بعد أن الشام وما والاها مكان أهل المدينة يسمونها الغرب .

وقد سبق حديث عبد الله بن حوالة عن النبي ﷺ أن الله تكفل لي بالشام

---

(١) الفتن (٨٥) .

وأهله .

وكان أبو إدريس الخولاني إذا حدث به قال : [ق/ ١٩] ومن تكفل الله به فلا ضيعة عليه .

وروي عن عبد الله بن حوالة أنه كان إذا حدث به قال مثل ذلك أيضًا.

وبقية هذا الباب سيأتي - إن شاء الله تعالى - في الباب الأخير في ذكر دمشق، فإنه ورد أنها معقل المسلمين من الملاحم ، وأن من سكنها نجا وسنذكر فيه إن شاء الله حديث معقل المسلمين من الروم دمشق ، ومن الدجال بيت المقدس ، ومن يأجوج ومأجوج الطور ، وهذه الأماكن الثلاثة كلها من أرض الشام .



الباب الرابع
فيما ورد في استقرار خيار أهل الأرض في آخر الزمان بالشام وأن الخير فيها أكثر منه في سائر بلاد المسلمين

قد سبق حديث : « أنها صفوة الله من بلاده ، يسوق إليها خيرته من عباده » .

خرّج الإمام أحمد [١] وأبو داود [٢] واللفظ له من حديث قتادة ، عن شهر ابن حوشب ، عن عبد الله بن عمرو قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ستكون هجرة بعد هجرة ، فخيار أهل الأرض ألزمهم مُهَاجَر إبراهيم ، وتنفي الأرض شرار أهلها تلفظهم أرضهم [٣] ، وتَقْذَرُهُم [٤] نفس الرحمن ، وتحشرهم النار [ق/ ٩ب] مع القردة والخنازير » .

وعند الإمام أحمد [٥] : « ينحاز الناس إلى مهاجر إبراهيم » .

وعنده في ذكر النار : « تبيت معهم إذا باتوا ، وتقيل معهم إذا قالوا ، وتأكل من تَخَلَّف » [٥] .

وخرّجه نعيم بن حماد في كتاب « الفتن » [٦] وعنده : « وتحشرهم نار من

---

(١) (٢/ ٢٠٩).
(٢) برقم (٢٤٧٤) .
(٣) في « سنن أبي داود » أرضوهم ـ بالجمع .
(٤) تَقْذُرهم : تكرههم أي تكره خروجهم إلى الشام ومقامهم بها يقال : قذِرت الشيء أقذرُه إذا كرهته . النهاية (٤/ ٢٨) .
(٥) (٢/ ١٩٩) .
(٦) برقم (١٧٦٧) .

عدن مع القردة والخنازير » .

وقد روي موقوفًا على عبد الله بن عمرو ، ورواه أبو جناب الكلبي، عن شهر ، عن عبد الله بن عمر ، عن النبي ﷺ بنحوه .

خرّجه من طريقه الإمام أحمد [١] ، ورواية قتادة ومن تابعه أشبه ، وقد رواه عبد الله بن صالح ، عن موسى بن علي [بن] رباح [٢] ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ خرّجه من طريقه الحاكم في « المستدرك » [٣] وقال : صحيح على شرط الشيخين . وفيما قاله نظر .

وقد روي هذا الحديث عن الأوزاعي ، عن نافع ، عن ابن عمر ، عن النبي ﷺ ولم يسمعه الأوزاعي من نافع ، إنما بلغه عنه ، ولم يسم من حدثه عنه ، والله أعلم .

وخرّج الحاكم [٤] من حديث عفير بن معدان سمع سليم بن عامر يحدث عن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال: **« الشام صفوة الله من بلاده يسوق إليها صفوة عباده، من خرج من الشام** [ق/ ١١٠] **إلى غيرها فبسخطه ، ومن دخلها من غيرها فبرحمته»** .

وقال : صحيح الإسناد على شرط مسلم ، كذا قال ، وعفير بن معدان ضعيف الحديث .

وروى إسماعيل بن عياش ، عن عبد العزيز بن [عبيد] الله [٥] ، عن القاسم، عن أبي أمامة ، عن النبي ﷺ قال : **« صفوة الله من أرض الشام ، وفيها صفوته ممن خلقه وعباده »** وخرّجه الطبراني [٦] وعبد العزيز هذا فيه ضعف .

ويروى نحوه من حديث معاذ عن النبي ﷺ بإسناد ضعيف .

---

(١) (٢/ ٨٤) .

(٢) في الأصل علي عن رباح ، والتصويب من المستدرك وكتب التراجم .

(٣) (٤/ ٥١٠) .

(٤) (٤/ ٥٠٩ ـ ٥١٠) .

(٥) في الأصل : « عبد الله » ، والتصويب من كتب التراجم وإسناد الطبراني .

(٦) في « الكبير » (٨/ ٧٧٩٦) ، و « مسند الشاميين » (١٣٤١) .

وفي مسند الإمام أحمد [1] من حديث أبي المثنى ، عن أبي أمامة قال: « **لا تقوم الساعة حتى يتحول خيار أهل العراق إلى الشام ، ويتحول شرار أهل الشام إلى العراق** » وهذا موقوف .

وخرّج الطبراني [2] من حديث أنس قال: «قلت» : يا رسول الله، أين الناس يوم القيامة؟ قال: « **في خير أرض الله وأحبها إليه ؛ الشام ، وهي أرض فلسطين**».

وهو منكر ، وفي إسناده : إبراهيم بن حرب العسقلاني، قال العقيلي [3] : حدث بمناكير .

وروى معاوية بن قرة عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : « **إذا فسد أهل الشام ، فلا خير فيكم ، ولا تزال طائفة من أمتي منصورين ، لا يضرهم من خذلهم، حتى تقوم الساعة** » .

خرجه الإمام أحمد [4] [ق/ ١٠ب] والترمذي [5] ، وقال : « حسن صحيح » وابن حبان في [صحيحه] [6] [7].

وخرج ابن ماجه [8] آخره .

وروى أبو خليد الدمشقي ، عن الوضين بن عطاء ، عن مكحول ، عن عبدالله بن عمرو ، عن النبي ﷺ قال : « **الخير عشرة أعشار ، تسعة بالشام ، وواحد في سائر البلدان ، والشر عشرة أعشار ، واحد بالشام ، وتسعة في سائر البلدان ، وإذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم** ».

---

(١) (٥/ ٢٤٩) .

(٢) في « مسند الشاميين » برقم (٢٣١٤) .

(٣) في « الضعفاء الكبير » (١/ ٥١) .

(٤) (٢/ ٤٣٦)، (٤/ ٣٤ ، ٣٥) .

(٥) برقم (٢١٩١) .

(٦) سقطت من الناسخ .

(٧) برقم (١٥٤٦١ ـ إحسان) .

(٨) برقم (٦) .

في إسناده ضعف وانقطاع ، ولعله موقوف .

وروى الأعمش ، عن عبد الله بن ضرار الأسدي ، عن أبيه ، عن ابن مسعود قال : « قسم الله الخير فجعله عشرة أعشار ، فجعلت [1] تسعة أعشار بالشام وبقيته في سائر الأرض ، وقسم الشر ، فجعله عشرة أعشار ، فجعل جزءاً منه في الشام ، وبقيته في سائر الأرضين » .

وقيل: عن الأعمش ، عن عبد الله بن سـراقة ، عن أبيه ، عن ابن مسعود.

وقيل : عن الأعمش ، عن سعيد بن عبد الله بن ضرار ، عن أبيه ، وعن خيثمة قالا : قال عبد الله . . . فذكره [2] .

خرّجه ابن أبي خيثمة .

وروى زياد بن عِلاَقة ، عن ثابت بن قُطبة ، عن عبد الله بن مسعود، قال : «إن تسعة أعشار الخير بالشام ، وعُشْر بغيرها ، وإن تسعة أعشار الشر بغيرها وعُشْر بها ، وسيأتي عليكم زمان يكون أحب [ق/ ١١١] مال الرجل فيه حمر ينتقل عليها إلى الشام .

وقيل : عن زياد بن علاقة ، عن قطبة بن مالك ، عن ابن مسعود.

وقد روي هذا المعنى مرفوعًا ، من وجه ضعيف ، من رواية بقية بن الوليد ، عن صباح بن مجالد ، عن عطية ، عن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال : « إذا كان سنة خمس وثلاثين ومائة خرج مردة الشياطين كان حبسهم سليمان بن داود ـ عليهما السلام ـ في جزيرة العرب ، فذهب تسعة أعشارهم في العراق يجادلونهم، وعُشْر بالشام ».

خرجه العقيلي [3] ، وقال : لا أصل لهذا الحديث .

---

(١) كذا بالأصل وفي فضائل الشام للربعي (٦) : « فجعل » .

(٢) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١/ ١٤٤) من طريق ابن أبي خيثمة .

(٣) في « الضعفاء الكبير » (٢/ ٢١٣) .

وخرجه [ابن] [1] عدي [2] من طريق بقية ، عن عبد الواحد بن زياد ، عن الصباح . . . فذكره . وقال : الصباح هذا ليس بالمعروف ، وهو من مشايخ بقية الذين لا يروي عنهم غيره .

وروي عن كعب الأحبار ، قال : الخير عشرة أجزاء ، فتسعة أجزاء الخير في الشام ، وجزء في سائر الأرضين .

خرجه ابن أبي خيثمة [3] .

وخرج الطبراني [4] من حديث ابن وهب : أخبرني ابن [لهيعة][5] ويحيى [ابن] [6] أيوب عن عقيل عن الزهري عن يعقوب بن عتبة بن المغيرة عن الأخنس عن ابن عمر ، عن النبي ﷺ : **« دخل إبليس العراق فقضى حاجته ، ودخل الشام فطردوه ، حتى بلغ [بساق]** [7] **، ودخل مصر** [ق/ ١١ب] **فباض فيها وفرخ ، وبسط عبقريه »** . وقال : تفرد به ابن وهب بهذا الإسناد . وفي رواية عن الطبراني قال ابن وهب : أرى ذلك في فتنة عثمان ، لأن الناس افتتنوا فيه ، وسلم أهل الشام .

وروي من وجه آخر من رواية خطاب بن يوسف ، حدثنا عباد بن كثير عن سعيد عن قتادة عن سالم عن ابن عمر ، عن النبي ﷺ : **«إن الشيطان أتى العراق فباض فيهم وأفرخ ، ثم إلى مصر ، فبسط عبقريه وجلس ، ثم أتى إلى الشام فطردوه »** .

وروي موقوفًا فرواه يعقوب بن [سفيان] [8] ثنا إبراهيم بن المنذر ، حدثني

---

(١) سقطت من الناسخ والصواب إثباتها .
(٢) في « الكامل (٤/ ٨٥) .
(٣) ومن طريقة ابن عساكر (١/ ١٤٧) .
(٤) في الكبير (١٢/ ١٣٢٩٠) ، والأوسط (٦٤٣١) .
(٥) في الأصل : « أبي ربيعة » والتصويب من مصادر التخريج .
(٦) في الأصل : « عن » والتصويب من مصادر التخريج .
(٧) هكذا بالأصل وفي المعرفة والتاريخ (٢/ ٣٠٦) ، وفي « الأوسط » للطبراني ومجمع البحرين « سباق » .
(٨) كذا بالأصل وفي تاريخ دمشق « أيوب » .

[عباس] [1] بن أبي شملة ، عن موسى بن يعقوب ، عن زيد بن أبي عتاب عن أسيد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب عن عمر[2] قال : « نزل الشيطان [بالشرق] [3] فقضى قضاءه ، ثم خرج يريد الأرض المقدسة الشام فمنع ، فخرج على ساق حتى جاء المغرب فباض بيضة ، وبسط بها عبقريه » .

وهذا الموقوف أشبه ، ويروى نحوه مختصرًا بإسناد منقطع عن إياس ابن معاوية مرسلا .

وخرج الطبراني [4] من رواية أبي عبد السلام - صالح بن رستم مولى بني هاشم - عن عبد الله بن حوالة عن النبي ﷺ قال : « **إن الله يقول : [ق/ ١١ب] يا شام ، يدي عليك ، يا شام ، أنت صفوتي من بلادي ، أدخل فيك خيرة من عبادي، أنت سوط نقمتي ، وسوط عذابي ، أنت [الأندر] [5] وإليك المحشر . [ورأيت][6] ليلة أسري عمودًا أبيض كأنهُ لؤلؤة تحمله الملائكة ، قلت : [ما] [7] تحملون ؟ قالوا : عمود الإسلام ، أمرنا أن نضعه بالشام ، وبينا أنا نائم إذ رأيت الكتاب اختلس من تحت وسادتي ، فظننت أن الله قد تخلى من أهل الأرض فأتبعته بصري ، فإذا هو بين يدي حتى وضع بالشام** » .

وهذه الألفاظ غير محفوظة في حديث ابن حوالة فإنه روي من طرق كثيرة ، ليس فيها شيء من ذلك وروى إسماعيل بن عياش عن الأسود بن [أحمد

---

(١) في الأصل « عياش » والتصويب من المعرفة والتاريخ للفسوي (٢/ ٣٠٥) والجرح والتعديل (٦/ ٢١٧) .

(٢) في المعرفة والتاريخ (٢/ ٣٠٦) ابن عمر .

(٣) في المعرفة والتاريخ (٢/ ٣٠٦) : « بالمشرق » .

(٤) في مسند الشاميين (٦٠١) .

(٥) في الأصل : الأنذر والمثبت من مسند الشاميين والأندر : البيدر ، وهو الموضع الذي يداس فيه الطعام بلغة الشام . النهاية مادة « أندر » .

(٦) بالأصل : « وأنت » وما أثبته من مسند الشاميين (١/ ٣٤٥) .

(٧) سقطت من الأصل ، واستدركتها من مسند الشاميين .

العبسي] (1) عن وهب الذماري ، قال : إن الله ـ عز وجل ـ كتب للشام : إني قدَّسْتُكِ وباركتك ، جعلت فيك مقامي ، وأنت صفوتي من بلادي ، وأنا سائق إليك صفوتي من عبادي ؛ فاتسعي لهم برزقك [ومسألتك] (2) كما يتسع الرحم أن [وضع] (3) فيه اثنان وسعه، وإن ثلاثة مثل ذلك ، وعيني عليك بالظل والمطر من أول السنين إلى آخر الدهر ، فلن أنساك حتى أنسى يميني ، وحتى تنسى ذات الرحم ما في رحمها .

وروى ضمرة بن ربيعة عن الوليد بن صالح قال : في [كتاب] (4) الأول : إن الله يقول للشام [ق/ ١٢ ب] : أنت [الأندر] (5) ومنك المنشر، وإليك المحشر ، فيك ناري ، ونُوري من دخلك ، رغبة فيك ، فبرحمتي ومن خرج منك رغبة [عنك] (6) فبسخطي ، تتسع لأهلها كما يتسع الرحم للولد.

وخرجه ابن أبي خيثمة في « تاريخه » وزاد في آخره : مهما أعجزهم فيها ، فلن يعجزهم فيها [الخبز والزيت] (7) .

ويروي من غير وجه عن كعب أنه وجد في الكتب السابقة أن الشام كنز الله في أرضه ، بها كنزه من عباده . وقد سبق ذكره .

ويروى أيضًا عن كعب أنه كان يقول : يا أهل الشام ، إن الناس يريدون أن يضعوكم ، والله يرفعكم ، وإن الله يتعهدكم كما يتعاهد الرجل نبله في كنانته؛ لأنها أحب أرضه إليه ، يسكنها أحب خلقه إليه ، من دخلها مرحوم ، ومن خرج منها فهو مغبون .

---

(1) كذا بالأصل ، وفي تاريخ دمشق « أحمر العنسي » .
(2) كذا بالأصل ، وفي تاريخ دمشق : « ومساكنك » .
(3) في الأصل : « يضع » .
(4) في تاريخ دمشق ١١ : « الكتاب » .
(5) في الأصل : الأنذر والتصويب من « مسند الشاميين » .
(6) زيادة من تاريخ دمشق .
(7) في الأصل : « الخير والذيب » والتصويب من تاريخ دمشق .

وقال الأوزاعي عن ثابت بن معبد قال الله ـ عز وجل ـ : « يا شام ، أنت خيرتي من بلادي ، أسكنك خيرتي من عبادي » .

وعن وهب بن منبه قال : « إني لأجد ترداد الشام في الكتب ، حتى كأنه ليس لله حاجة إلا بالشام » .

وعن كعب قال : « أحب البلاد إلى الله : الشام ، وأحب الشام إلى الله القدس ، وأحب القدس : جبل نابلس ، ليأتين على الناس زمان يتماسحونه بالحبال بينهم » .

[ق/ ١١٣] وروى أبو المهدي عن أبي [الزاهرية][1] عن الصنابحي يرفعه، قال: « أوصى الله إلى الشام : إنك واري ، وقراري ، وأنت [الأندر] وأنت منبت أنبيائي ، وأنت موضع قدسي ، وأنت موضع موطئي ، وإليك أسوق [خيري][2] من خلقي ، وإليك محشر عبادي ، ولم تزل [عيني] [3] عليك من أول يوم من الدهر إلى آخر يوم من الدهر بالظل والمطر ، وإذا عجز أهلك المال لمن يعجزهم الخبز والماء .

وروينا في كتاب « فضائل الشام » [4] للربعي بإسناده عن يونس بن حلبس قال: « أشرف عيسى ـ عليه السلام ـ على الغوطة ، فقال : يا غوطة ، إن عجز الغني أن يجمع منك كنزاً لم يعجز المسكين أن يشبع منك خبزاً.

وروى خالد الخراساني ، حدثنا جسر ـ هو ابن الحسن ـ عن الحسن قال : «خيار أهل الشام خير من خياركم ، وشرار أهل الشام خير من شراركم ، قالوا : ولم تقول هذا يا أبا سعيد ؟ قال : لأن الله ـ تعالى ـ يقول : ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٧١] .

---

(١) في الأصل : « الراهويه » والتصويب من تاريخ دمشق .
(٢) كذا بالأصل وفي تاريخ دمشق :« خيرتي » .
(٣) ما بين المعقوفتين من تاريخ دمشق .
(٤) برقم (٦٤) .

وقال يحيى بن صالح : سمعت إسماعيل بن عياش يقول : لما أنْ خرجت من عند المهدي لقيني هشيم بن بشير ، فقال لي : يا أبا عتيبة ، جزاك الله عن الإسلام خيراً ، سمعت أشياخنا يقولون : صَالحُوكم خير من صالحينا ، وطالحوكم خير من طالحينا .

[ق/ ١٣ب] أخرج ذلك كله الحافظ أبو القاسم الدمشقي في أول «تاريخه»(١) .

وروى يعقوب بن شيبة بإسناده عن الحارث بن عميرة أنه قدم على [مسعود](٢)، فقال له : ممن أنت يا ابن أخي ؟

فقال الحارث : من أهل الشام .

فقال : نعم الحي أهل الشام ، لولا واحدة ، لولا أنهم يشهدون على أنفسهم أنهم من أهل الجنة . . . وذكر الحديث .

❊ ❊ ❊

(١) تاريخ مدينة دمشق (١/ ٢٩٥) .

(٢) كذا بالأصل ، ولعلها « ابن مسعود » فإن الحارث بن عميرة ترجمه البخاري في التاريخ الكبير (٢/ ٢٧٥) وابن حبان في الثقات (٤/ ١٣٢) وقالا : يروي عن معاذ بن جبل .

الباب الخامس
فيما ورد في أن
الطائفة المنصورة بالشام

في « الصحيحين »[1] عن عمير بن هانئ أنه سمع معاوية يقول : سمعت النبي ﷺ يقول : « **لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله ، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك** ».

قال عمير : فقال مالك بن يخامر : قال معاذ : وهم بالشام .

فقال معاوية : هذا مالك بن يخامر يزعم أنه سمع معاذاً يقول : وهم بالشام.

وروى حماد بن زيد عن الجريري عن مطرف عن عمران بن حصين قال : قال رسول الله ﷺ : « **لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوأهم حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال** » .

قال مطرف: فنظرت في هذه العصابة فوجدتهم أهل الشام .

وقد خرجه [ق/ ١١٤] الإمام أحمد[2] وأبو داود[3] بدون قول مطرف .

وخرج مسلم في « صحيحه »[4] من حديث سعد بن أبي وقاص قال: قال رسول الله ﷺ : « **لا يزال الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة** » وقد فسر الإمام أحمد أهل الغرب في هذا الحديث بأهل الشام ؛ فإن التشريق والتغريب

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٦٠) ، ومسلم (١٠٣٧) .
(٢) (٤/ ٤٣٧) .
(٣) برقم :(٢٤٧٦) .
(٤) برقم (١٩٢٥) .

أمر نسبي ، والنبي ﷺ إنما قال هذا بالمدينة ، وقد سمى النبي ﷺ أهل نجد والعراق أهل المشرق ، فلذلك كانوا يسمون أهل الشام أهل المغرب ؛ لأن الشام تتغرّب عن المدينة ، كما أن نجداً تتشرّق عنها .

وكانوا يسمون البصرة هِنداً ، لأنها من جهة الهند ، ومنها يُسلك إلى الهند ، ولهذا قال خالد لما عزله عمر عن الشام : إن عمر أمرني أن [آتي] [1] الهند .

قال الرواي : وكانت الهند عندنا البصرة .

وفسرت طائفة أخرى الغرب المذكور في هذا الحديث بالدلو العظيم ، وقالوا: المراد بهم العرب [2] ؛ لأنهم يستقون [بالغرب] [3] وهذا قول علي بن المديني وغيره .

وقد وردت الأحاديث أن [العرب تهلك] [4] في آخر الزمان ، فلا يبقى منهم بقية إلا بالشام ، فيرجع الأمر إلى تفسير الحديث بأهل الشام ، كما روى يونس بن أبي إسحاق ، حدثنا إدريس بن يزيد [ق/ ١٤ب] وداود بن يزيد [الأوديان][5]، حدثنا والدنا عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: « **أول الناس هلاكًا فارس ثم [العرب]** [6] **من قربها ، ثم أشار بيده قبل الشام : إلا بقية ها هنا** » [7] .

ورواه سعيد بن بشير عن داود (الأزدي) [8] عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « **أول الناس هلكة فارس ، ثم الغرب ، إلا بقايا ها هنا** - يعني :

---

(١) في الأصل : « اياتي » ولعل ما ذكرته هو الصواب .

(٢) كتب في الحاشية : لعله المغرب .

(٣) في الأصل : « المغرب » والصواب ما أثبته . والغَرْب : الدَّلو العظيمة التي تتخذ من جلد ثور . النهاية مادة « غرب » (٣/ ٣٤٩) .

(٤) في الأصل : « الغرب يهلك » ، والسياق يقتضي ما أثبته .

(٥) في الأصل « الأزديان » ، والتصويب من تاريخ دمشق (١/ ٢٩٧) وانظر الأنساب لابن السمعاني (١/ ٢٢٧) فقد نسب إدريس بن يزيد بالأودي .

(٦) في الأصل « الغرب » والتصويب من تاريخ دمشق (١/ ٢٩٦) .

(٧) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١/ ٢٩٦ ـ ٢٩٧) .

(٨) في الأصل « الأزدي » والتصويب من تاريخ دمشق (١/ ٢٩٦) .

بالشام »[1] .

وخرج ابن ماجه [2] من حديث أبي أمامة « أن النبي ﷺ لما نزل خروج الدجال خارج المدينة قيل له : يا رسول الله ، فأين [العرب][3] يومئذ ؟ قال : هم يومئذ قليل ، وجُلُّهُم ببيت المقدس » .

وقد ورد عن النبي ﷺ التصريح بأن هذه الطائفة المنصورة بالشام .

فروى يعقوب بن سفيان ، حدثنا عبد الله بن يوسف ، حدثنا يحيى بن حمزة، حدثني أبو علقمة الحضرمي أن عمير (الأسود) [4] وكثير بن مرة الحضرمي قالا : إن أبا هريرة وابن السِّمط كانا يقولان : « لا يزال المسلمون في الأرض حتى تقوم الساعة، وذلك أن رسول الله ﷺ قال: **لا تزال عصابة من أمتي قوَّامة على أمر الله ، لا يضرُّها من خالفها، تقاتل أعداء الله ، كلما ذهب حرب نشأ حرب قوم آخرين**».

[ق/ ١١٥] يزيغ الله قلوب قوم ليرزقهم منهم حتى تأتيهم الساعة كأنها قطع الليل المظلم ، فيفزعون لذلك ، حتى [يلبسوا] [5] له أبدان الدروع» .

وقال رسول الله ﷺ : « **وهم أهل الشام** . ونكت رسول الله ﷺ بأصبعه يومئ بها إلى الشام حتى أوجعها » [6] .

وذكر البخاري في « تاريخه » [7] عن عبد الله بن يوسف نحوه .

وخرّج ابن ماجه [8] من أوله إلى قوله : « **ولا يضرها من خالفها** » عن

---

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١/ ٢٩٦ ـ ٢٩٧) .
(٢) برقم (٤٠٧٧) مطولاً .
(٣) في الأصل « الغرب » ، والتصويب من « سنن ابن ماجه » .
(٤) في تاريخ دمشق : ابن الأسود .
(٥) في الأصل : « يلبسون » والمثبت هو الصواب نحويا .
(٦) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١/ ٢٤٣) .
(٧) برقم (٢٦٩١) .
(٨) برقم (٧) .

[هشام][1] بن عمار عن [يحيى][2] بن حمزة به ، ولم يذكر في إسناده ابن السمط .

وله طريق أخرى من رواية الصعق بن حزن عن سيار بن الحكم عن جبر عن عبيدة الحمصي الشاعر عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: « **هذه الأمة منصورة بعدي ، منصورون أينما توجهوا ، لا يضرهم [من خالفهم]**[3] **من الناس حتى يأتي أمر الله ، أكثرهم من الشام** » .

وفي رواية : هم أهل الشام .

ورواه بقية بن الوليد ، حدثنا [حشرج][4] بن نباتة ، حدثني سيار أبو الحكم عن شهر بن حوشب عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ فذكره بنحوه .

ورواية الصعق بن حزن أصح . والصعق ثقة ، وشيخ بقية غير معروف .

وقد روي من حديث أنس من رواية محمد بن كثير المصيصي عن الأوزاعي [ق/ ١٥ب] عن قتادة عن أنس عن النبي ﷺ : « لا تزال طائفة من أمتي . . . » فذكر الحديث ، « وقال وأومأ بيده إلى الشام » .

وذكره الترمذي في « كتاب العلل »[5] وقال : سألت البخاري عنه ، فقال: هو منكر خطأ ، إنما هو عن قتادة عن مطرف عن عمران بن حصين .

قلت : حديث قتادة عن مطرف عن عمران قد خرجه الإمام أحمد[6] وأبو

---

(١) في الأصل : « هاشم » ، والصواب ما أثبته ، وهو شيخ ابن ماجه .

(٢) في الأصل : « بحير » والصواب ما أثبته ، وهو يحيى بن حمزة بن واقد الحضرمي أبو عبد الرحمن الدمشقي القاضي من الثامنة .

(٣) سقطت من الناسخ ، واستدركتها من تاريخ دمشق (١/ ٢٤٤ ـ ٢٤٥) .

(٤) في الأصل : خزرج . والصواب ما أثبته ، وهو حشرج بن نُباتة ـ بضم النون ثم الموحدة ثم المثناة ـ أبو مكرم الواسطي ـ أو الكوفي ـ من الثامنة . وهناك استدراك على ابن رجب ؛ لأنه قال : شيخ بقية غير معروف . وحشرج قال فيه الحافظ في التقريب: صدوق يهم ! ووثقه غير واحد من الأئمة منهم أحمد وابن معين .

(٥) برقم (٥٩٨) .

(٦) (٤/ ٤٢٩ ، ٤٣٧) .

داود [1] ، وقد سبق ذكره ، وأن الجُريريَّ رواه عن مطرف ، وذكر فيه عنه أنه قال: نظرت فيهم فوجدتهم أهل الشام .

وأما الأوزاعي فإنه روى هذا الحديث عن يحيى بن أبي كثير عن أبي هريرة عن النبي ﷺ من غير ذكر الشام .

قال الأوزاعي : فحدثت به قتادة فقال : لا أعلم أولئك إلا أهل الشام.

كذلك رواه الوليد بن مسلم عن الأوزاعي ، وكذا رواه يحيى بن حمزة عنه إلا أنه قال : عن يحيى عن جابر ، وقال فيه : قال الأوزاعي : وحدثني به قتادة، فزعم أنهم أهل الشام .

ورواه عقبة بن علقمة عن الأوزاعي عن يحيى عن أبي سلمة عن أبي هريرة، فوصل إسناد أبي هريرة ، والمحفوظ الأول .

ورُوي من وجه آخر :

من رواية عباد بن عباد أبي عتبة البرمكي عن أبي زرعة [السيباني] [2] عن أبي وعْلَةَ [العكي] [3] [ق/ ١١٦] عن كريب السحولي ، حدثني مرة البهزي أنه سمع النبي ﷺ يقول : « **لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين على من ناوأهم، وهم كالإناء بين الأكلة حتى يأتي أمر الله ، وهم على ذلك ، قلنا : يا رسول الله ، وأين هم ؟ قال : بأكناف بيت المقدس** » .

خرجه الطبراني [4] وغيره إلا أن رواية الطبراني عن أبي زرعة العكي ، وهو وهم .

---

(١) برقم (٢٤٧٦) .

(٢) في « الأصل » : السفياني وهو خطأ والتصويب من المعجم الكبير للطبراني (٢٠/ ٧٥٤).

(٣) كذا بالأصل ، وفى الكنى للبخاري ص ٧٨ « العجلي » وذكر البخاري حديث مرة البهزي .

(٤) في « الكبير » (٢٠/ برقم ٧٥٤) .

ورواهُ ضمرة بن ربيعة عن أبي زرعة الشيباني عن عمرو بن عبد الله الحضرمي عن أبي أمامة عن النبي ﷺ بنحوه .

وقال فيه : « قالوا يا رسول الله ، وأين هم ؟ قال : **ببيت المقدس وما حوله، لا يضرهم خذلان من خذلهم ، ظاهرين على الحق إلى أن تقوم الساعة** » .

أخرجه ابن أبي خيثمة والطبراني[1] وقال : لم يروه عن عامر إلا الوليد ، تفرد به إسماعيل بن عياش .

وخرجه ابن عدي [2] ، وقال : هذا الحديث بهذا اللفظ ليس يرويه إلا ابن عياش عن الوليد ، والوليد بن عباد ليس بمعروف ، وحديثه غير مستقيم . انتهى.

وقد قال بعضهم في هذا الإسناد : عن عاصم الأحول ، عن أبي صالح الخولاني ، قاله أبو القاسم الدمشقي الحافظ [3] .

الوجه الثاني :رواه خيثمة بن [سليمان] [4] الحافظ ، حدثنا العباس بن الوليد ، أخبرنا محمد بن شعيب ، أخبرني أبو المغيرة [ق/ ١٦ب] عمرو بن [شراحيل] [5] العنسي أنه سمع حيان بن [وبرة] [6] المري ببيروت يحدث عن أبي هريرة عن النبي - ﷺ - قال : « **لا يزال بدمشق عصابة يقاتلون على الحق حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون** » .

الوجه الثالث : من رواية محمد بن عائذ ، حدثنا الهيثم بن حميد ، حدثنا يزيد الحميري ، رفعه إلى أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ: « **لا يزال عصابة من أمتي يقاتلون على أبواب دمشق وما حولها ، وعلى أبواب بيت المقدس وما**

---

(١) في الكبير (٨/ ١٤٥) ، ومسند الشاميين (٨٦٠) .
(٢) في « الكامل » (٧/ ٨٤) .
(٣) في « تاريخ دمشق » (١/ ٢٤٠) .
(٤) في الأصل « سليم » والتصويب من « تاريخ دمشق » لابن عساكر (١/ ٢٤٢) .
(٥) في الأصل : « شرحبيل » والتصويب من تاريخ دمشق (١/ ٢٤٢) .
(٦) في الأصل : « مرة » والتصويب من الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٣/ ٢٤٥) برقم [١٠٨٩] .

حولها ، لا يضرهم خذلان من خذلهم ، ظاهرين على الحق إلى أن تقوم الساعة » .

الوجه الرابع : من رواية موسى بن أيوب ، حدثنا عبد الله بن القاسم [١] عن السري بن بزيع عن السري عن الحسن عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال: **«لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على أبواب بيت المقدس وما حولها ، وعلى أبواب أنطاكية وما حولها ، وعلى أبواب دمشق، وما حولها ، وعلى أبواب الطالقان وما حولها ، ظاهرين على الحق، لا يبالون من خذلهم ولا من نصرهم »** .

غريب جدًا ، وفي إسناده من لا يعرف ، ومما يدل على أن هذه الطائفة بالشام حديث شعبة عن معاوية بن قرة [ق/ ١١٧] عن أبيه ، عن النبي ﷺ قال : **«إذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم ، لا تزال طائفة من أمتي منصورين ، لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة »** .

خرجه الإمام أحمد [٢] ، والترمذي [٣] وقال : حديث حسن صحيح.

ورواه سعيد بن عبد الجبار ، عن أرطأة بن المنذر ، حدثني معاوية بن قرة عن عبد الله بن عمر ، عن النبي ﷺ قال : **« إذا هلك أهل الشام فلا خير في أمتي، ولا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين لا يبالون بخلاف من خالفهم أو خذلان من خذلهم حتى يأتي أمر الله ، وهم على ذلك وهو يشير إلى الشام »** .

خرجه أبو القاسم الحافظ[٤].

ورواية شعبة عن معاوية بن قرة عن أبيه أصلح .

وقد ذكرنا فيما تقدم حديث سلمة بن نفيل عن النبي - ﷺ - : **« لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الناس يزيغ الله قلوب أقوام فيقاتلونهم، ويرزقهم الله**

---

(١) كذا بالأصل ، وفي « فضائل الشام » للربعي (٧٥) « وتاريخ دمشق » (١/ ٢٤٢) « عبد الله بن قسيم » ولم أعرفه ، والله أعلم .

(٢) (٣/ ٤٣٦ ، ٤/ ٣٤، ٣٥) .

(٣) برقم (٢١٩١) .

(٤) في « تاريخ دمشق » (١/ ٢٥٦) .

منهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك ، ألا إن عقر دار المؤمنين الشام » .

خرجه الإمام أحمد [1] والنسائي [2] .

وفي رواية لأبي القاسم البغوي : «وعقر دار المؤمنين يومئذ بالشام»[3] وفيه إشارة إلى أن هذه الطائفة ، أو معظمها بالشام .

وأما من قال من العلماء أن هذه الطائفة المنصورة هم أهل الحديث .

[ق/١٧ب] كما قاله ابن المبارك، ويزيد بن هارون ، وأحمد بن حنبل، وعلي ابن المديني ، والبخاري وغيرهم ، فإنه غير مناف لما ذكرناه؛ لأن الشام في آخر الزمان بها يستقر الإيمان وملك الإسلام ، وهي عقر دار المؤمنين ، فلابد أن يكون فيها من ميراث النبوة من العلم ما يحصل به سياسة الدين والدنيا ، وأهل العلم بالسنة النبوية بالشام هم الطائفة المنصورة القائمين بالحق الذين لا يضرهم من خذلهم .

وروى محمد بن أيوب بن ميسرة عن حَلْبَس عن أبيه خريم بن فاتك الأسدي أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « أهل الشام سوط الله في أرضه ، ينتقم بهم ممن يشاء من عباده ، وحرام على منافقيهم أن يظهروا على مؤمنيهم ، ولا يموتوا إلا همًّا وغمًّا » .

خرجه الطبراني [4] وغيره ، وروي عن خريم موقوفًا .

وروى عبد الله بن [مسلم] [5] بن هرمز عن مجاهد عن تبيع عن كعب قال: أهل الشام سيف من سيوف الله ، ينتقم الله بهم ممن عصاه في أرضه .

ويروى عن عون بن عبد الله بن عتبة قال : قرأت فيما أنزل الله على بعض

---

(١) (٤/ ١٠٤) .

(٢) برقم (٣٥٦١) .

(٣) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١/ ١٠٤ ـ ١٠٥) .

(٤) في « الكبير » (٤/ برقم ٤١٦٣) .

(٥) في الأصل : مسلمة : والتصويب من تاريخ دمشق (١/ ٢٧٥) .

الأنبياء أن الله ـ عز وجل ـ يقول : الشام كنانتي ، فإذا غضبت على قوم رميتهم منها بسهم .

وروى سعيد بن بشير عن قتادة في قوله ـ تعالى ـ : ﴿ وَإِنَّ جُندَنَا [ق/ ١١٨] لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ [الصافات : ١٧٣] قال : هم أهل الشام .

ورواه خليد عن قتادة قال : لا أعلم أولئك إلا أهل الشام .

وروى عطاء بن السائب قال : سمعت عبد الرحمن الحضرمي [أيام] [١] ابن الأشعث يخطب وهو يقول : يا أهل الشام ، أبشروا ؛ فإن فلانًا أخبرني أن رسول الله ﷺ قال : «**يكون قوم في آخر أمتي يعطون من الأجر مثل ما يعطى أولهم ، ويقاتلون أهل الفتن وينكرون المنكر وأنتم هم** » .

وروى [عمرو] [٢] بن مرزوق ، أنا عمران القطان ، عن يزيد بن [سفيان][٣] عن أبي هريرة قال : « لا تسبوا أهل الشام ، فإنهم جند الله المقدم » .

وروى مالك بن أبي عامر [أنه] [٤] سمع كعبًا يقول : نجد صفة الأرض في كتاب الله [٥] على صفة النسر ، فالرأس الشام والجناحان المشرق والمغرب ، فإذا قرع [٦] الرأس هلك الناس ، وايم الذي نفسي كعب بيده ، ليأتين على الناس زمان لا يبقى جزيرة من جزائر العرب ـ أو قال: مصر من أمصار العرب ـ إلا وفيهم مغيث كذا ـ جبل من الشام يقاتلونهم عن الإسلام ، لولاهم كفروا » .

وقد ورد النهي عن قتال أهل الشام وذم من قاتلهم ؛ فروى يعقوب بن شيبة في « مسنده » حدثنا الأسود بن عامر ، حدثنا شريك ، عن الأعمش ، عن حبيب

---

(١) في الأصل : « إمام » والتصويب من تاريخ دمشق (١/ ٢٧٤) .
(٢) في الأصل: « عمر » والتصويب من تاريخ دمشق (١/ ٣٢٧) .
(٣) في الأصل : « شعبان» والتصويب من « تاريخ مدينة دمشق » (١/ ٣٢٧) .
(٤) زيادة من تاريخ دمشق (٨/ ١٧٩) .
(٥) في تاريخ دمشق (١/ ١٧٩) زيادة « يعني : التوراة » .
(٦) في « تاريخ دمشق » (نزع) وقرع أي ضرب .

ابن أبي ثابت [ق/ ١٨ب] عن أبي إدريس عن المنتقب ابن بحينة [١] قال : قال علي - رضي الله عنه - : « لا تقاتلوا أهل الشام بعدي » .

وروى أبو القاسم الحافظ [٢] بإسناده عن [أبي بكر] [٣] النهشلي قال: كنت في الجمع - يعني : جمع الكوفة - يوم جاء [أهل] [٤] الشام يقاتلون أهل الكوفة، فإذا شيخ حسن الخطاب ، حسن الهيئة على دابة له ، وهو يقول : اللهم لا تنصرنا عليهم ، اللهم فرق بيننا وبينهم ، اللهم ، اللهم ؟ فقلت : يا عبد الله ، ألا تتقي الله ؟! ترى قومًا قد جاءوا يريدون ، يقاتلون مقاتلينا ويسبون ذرارينا ، وأنت تقول : اللهم لا تنصرنا عليهم؟!

فقال : ويحك! إني سمعت عبد الله بن مسعود يقول : لا يغلب أهل الشام إلا شرار الخلق .

***

(١) لعل صوابه : (المسيب بن نجبة) راجع تهذيب الكمال (٢٧/ ٥٨٩) .
(٢) في « تاريخ دمشق » (١/ ٢٧٥) .
(٣) في الأصل « أبهل » والتصويب من تاريخ دمشق .
(٤) زيادة من تاريخ دمشق .

الباب السادس
فيما ورد في أن الأبدال بالشام

قال الإمام أحمد [1] : حدثنا أبو المغيرة ، حدثنا صفوان ، حدثني شريح بن عبيد قال : «ذكر [أهل] [2] الشام عند علي بن أبي طالب فقالوا : العنهم يا أمير المؤمنين قال : لا ؛ إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **الأبدال يكونون بالشام وهم [أربعون] [3] رجلاً ، كلما مات رجل بدل الله مكانه رجلا فيستقي بهم الغيث** [ق/ ١١٩] **وينتصر بهم على الأعداء ، ويصرف عن أهل الشام بهم العذاب** » .

شريح بن عبيد شامي ، معروف، قيل : إنه لم يسمع من علي ، لكنه أدركه فإنه يروي عن عقبة بن عامر ، وفضالة بن عبيد ، ومعاوية ، وغيرهم .

وروي عن علي من وجه آخر :

من رواية [ابن لهيعة] [4] حدثني عياش بن عباس عن عبد الله بن زرير عن علي بن أبي طالب أن رسول الله ﷺ قال : « **يكون في آخر الزمان فتنة ، (يخلص) [5] فيها الناس كما (يخلص) [5] الذهب في المعدن ، فلا تسبوا أهل الشام ، ولكن سبوا شرارهم؛ فإنه فيهم الأبدال ، يوشك أن يرسل على أهل الشام سَبَب من السماء فيفرق جماعتم، حتى لو قاتلتهم الثعالب غلبتهم، فعند ذلك**

---

(١) (١/ ١١٢) .

(٢) زيادة من المسند .

(٣) في الأصل [أن يقعد] والتصويب من المسند (١/ ١١٢) .

(٤) في الأصل : « ابن ربيعه » والتصويب من المعجم الأوسط .

(٥) هكذافي الأصل وكتب في الهامش : «بمهملة : يحصل » وهو الموافق لما في المعجم الأوسط ، والمعنى واحد .

يخرج خارج من أهل بيتي في ثلاث رايات ، المكثر يقول : هم خمسة عشر ألفًا ، والمقل يقول : هم اثنا عشر ألفًا ، أمارتهم : أمت أمت، يلقون سبع رايات ، تحت كل راية منها رجل يطلب الملك ، فيقتلهم الله جميعًا ، ويرد الله إلى المسلمين ألفتهم ونعمتهم وقاصيهم ودانيهم » .

خرجه الطبراني [١] .

وقد روى ذكر الأبدال عن علي موقوفًا ، وهو أشبه .

روى أبو صالح حدثني أبو شريح أنه سمع الحارث بن يزيد يقول : حدثني عبد الله بن زرير [ق/ ١١٩] الغافقي أنه سمع علي بن أبي طالب يقول : « لا تسبوا أهل الشام ؛ فإن فيهم الأبدال وسبوا ظلمتهم ».

وروى الفرج بن فضالة ، حدثنا عروة بن رويم اللخمي عن رجاء بن حيوة عن الحارث بن جبريل عن علي بن أبي طالب قال : قال علي بن أبي طالب : «لا تسبوا أهل الشام » .

وروى سفيان بن عيينة حدثنا زياد بن سعد عن الزهري عن أبي عثمان بن [سنَّة] [٢] قال : قام رجل فسب أهل الشام فقال : [علي رضي الله عنه] [٣] «لا تسبوهم جمًّا غفيراً ، فإن فيهم الأبدال » .

وروى عبد الرزاق [٤] عن معمر عن الزهري عن عبد الله بن صفوان، قال : «قال رجل يوم صفين : اللهم العن أهل الشام ! فقال علي : لا تسبوا أهل الشام جمًّا غفيراً ؛ فإن بها الأبدال ، فإن بها الأبدال ، فإن بها الأبدال » .

ورواه ابن المبارك ومحمد بن كثير المصيصي عن معمر فقالا : عن الزهري

---

(١) في الأوسط برقم (٣٩٠٥) . قال الطبراني : لم يرو هذا الحديث عن ابن لهيعة إلا زيد بن أبي الزرقاء .

(٢) في الأصل « شبَّة » والتصويب من تاريخ دمشق (١/ ٣٢٤) .

(٣) زيادة من تاريخ دمشق (١/ ٣٢٤) . وأخرجه الفسوي في المعرفة والتاريخ (٢/ ٣٠٥) .

(٤) « كما في الجامع لمعمر بن راشد » برقم (٢٠٤٥٥) .

عن صفوان بن عبد الله بن صفوان عن علي . . . فذكره .

وكذا رواه صالح بن كيسان عن الزهري عن صفوان بن عبد الله .

ورواه الأوزاعي عن الزهري فأرسله عن علي ، ولم يذكر بينهما أحداً.

وروى يعقوب بن سفيان [١] ، حدثنا يحيى بن عبد الحميد ، حدثنا شريك عن عثمان بن أبي زرعة ، عن أبي صادق ، قال : « سمع [علي] [٢] رجلا وهو يلعن أهل الشام [ق/ ١٢٠] فقال : علي : لا تعم ؛ فإن فيهم الأبدال » .

وروى يعقوب بن شيبة في مسنده ، حدثنا عثمان بن محمد ، حدثنا جرير عن الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي الطفيل قال : خطبنا علي فذكر الخوارج ، فقام رجل فلعن أهل الشام ، فقال له علي : ويحك ؟ لا تعمم إن كنت لاعنًا فلانًا فلانًا ، وأشياعه ، فإن فيهم الأبدال ، ومنك الغضب » [٣] .

ويروى عن وكيع [عن] [٤] فطر عن أبي الطفيل عن علي قال : «الأبدال بالشام ، والنجباء بالكوفة » .

وروى إسحاق بن إبراهيم الأزدي عن فطر عن أبي الطفيل قال : قال علي : «إذا قام قائم آل محمد جمع له أهل المشرق وأهل المغرب ، فيجتمعون كما يجتمع قزع الخريف ، فأما الرفقاء فمن أهل الكوفة ، وأما الأبدال فمن أهل الشام » .

وروى ابن لهيعة عن خالد بن يزيد السكسكي عن سعيد بن أبي هلال عن علي قال : « النجباء بمصر ، والأبدال بالشام وهم قليل » .

وقال كعب : «الأبدال ثلاثون » . وهذا منقطع .

ورواه عن الليث بن سعد ، عن عياش بن عباس ، عن علي ، وهو أيضًا منقطع.

---

(١) في « المعرفة والتاريخ » (٢/ ٣٠٥) .

(٢) في الأصل « عليًا » والمثبت هو الصواب لغويًا .

(٣) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١/ ٢٨٤) .

(٤) في الأصل « بن » والتصويب من تاريخ دمشق .

وروي عن علي من وجوه أخر ، فهذا الأثر صحيح عن علي ـ رضي الله عنه ـ من قوله .

وقد روي [مرفوعًا] [١] من غير حديث علي أيضًا من رواية عمرو بن واقد [ق/ ٢٠ب] حدثنا يزيد بن أبي مالك عن شهر بن حوشب قال: « لما فتح معاوية مصر ، جنح أهل مصر يسبون أهل الشام ، فقال عوف ـ وأخرج وجهه من برنسه ـ : يا أهل مصر ، أنا عوف بن مالك : لا تسبوا أهل الشام ؛ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : **فيهم الأبدال ، وبهم يرزقون ، وبهم ينصرون** » عمرو بن واقد فيه ضعف .

وروي من حديث أنس من طريق العلاء بن زيدل [٢] عن أنس عن النبي ﷺ قال: « **البدلاء أربعون : اثنان وعشرون بالشام ، وثمانية عشر بالعراق ، كلما مات منهم واحد أبدل الله مكانه آخر ، فإذا جاء الأمر قبضوا كلهم فعند ذلك تقوم الساعة** » .

العلاء بن زيد متروك .

وروي من وجه آخر من طريق يزيد الرقاشي ، وهو ضعيف جدًّا من قبل حفظه ، عن أنس عن النبي ﷺ : « **دعائم أمتي عصائب اليمن [و][٣] أربعون رجلا من الأبدال بالشام ، كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلا ، أما إنهم لم [يبلغوا] [٤] ذلك بكثرة صلاة ولا صيام ، ولكن بسخاء الأنفس ، وسلامة الصدور، والنصيحة للمسلمين** » .

وقد روي في ذلك آثار موقوفة كثيرة .

---

(١) في الأصل: « موقوفًا » والسياق يدل على المثبت .

(٢) هكذا بالأصل وهو صواب ، قال الحافظ في التقريب : العلاء بن زيد ، ويقال : زيدل بزيادة « لام » الثقفي ، أبو محمد البصري ، متروك ، ورماه أبو الوليد بالكذب .

(٣) زيادة من تاريخ دمشق (١/ ٢٧٩) .

(٤) في الأصل « يبلغون » والمثبت هو الصواب نحويًّا ـ مجزوم بلم .

فروى سيف بن عمر - وفيه ضعف - عن ابن عمر ، وعن زيد بن أسلم [ق/ ٢٠ ب] عن أبيه قال : كان الشام قد أقبل فإذا أقبل جند من اليمن ، وممن بين المدينة واليمن ، فاجتاز أحدهم بالشام . قال عمر: يا ليت شعري عن الأبدال هل مرت بها الركبان [١] .

ورواه سيف من طريق آخر منقطع عن عمر .

وروى عيسى بن يونس عن هشام عن من سمع الحسن يقول: لن تخلو الأرض من سبعين صِدِّيقًا ، وهم الأبدال ، لا يهلك منهم رجل إلا أخلف مكانه مثله ، أربعون بالشام ، وثلاثون في سائر الأرضين .

وروى إسماعيل بن عياش حدثتني أم عبد الله بن خالد بن معدان عن أبيها ، قال : قالت الأرض للرب - عز وجل - : كيف تدعني وليس على نبي ؟! قال : سوف أدع عليك أربعين صِدِّيقًا بالشام .

وروى زيد بن الحباب ، حدثنا معاوية - أُراه عن [أبي] [٢] الزاهرية قال : قال الأبدال ثلاثون رجلا بالشام بهم يجأرون ، وبهم يرزقون ، فإذا مات رجل أبدل الله - عز وجل - مكانه .

وروى بقية [عن الوليد بن كامل البجلي] [٣] قال : سمعت الفضيل بن فضالة يقول : إن الأبدال بالشام من حمص خمسة وعشرون رجلا ، ومن دمشق ثلاثة عشر رجلا ، ونبيان اثنان .

وروي عن رجاء بن [حيوة] [٤] أنه بلغه أن ببيسان [رجلين] [٥] من الأبدال .

---

(١) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١/ ٢٨٤) .
(٢) في الأصل « ابن » والتصويب من تاريخ دمشق (١/ ٢٨٦) .
(٣) في الأصل : « أن الوليد أن كامل البجلي » والتصويب من تاريخ دمشق (١/ ٢٨٦).
(٤) في الأصل « حياة » والتصويب من تاريخ دمشق (١/ ٣٢٣) .
(٥) في الأصل (رجالي) وما أثبته من تاريخ دمشق (١/ ٣٢٣).

وعن الحسن بن يحيى الخشني [ق/ ٢١ب] قال : بدمشق من الأبدال سبعة عشر نفسا ، وببيسان أربعة .

وعنه قال : بدمشق من الأبدال خمسة ، وأربعة ببيسان .

وروى ابن أبي خيثمة في « تاريخه » حدثنا هارون بن معروف ، نا ضمرة ، عن ابن شوذب قال: الأبدال سبعون، فستون بالشام ، وعشرة بسائر الأرضين[1] .

وقال ضمرة عن عثمان بن عطاء الخراساني عن أبيه : الأبدال أربعون إنسانًا . قلت : أربعون رجلا ، قال : لا تقل : أربعون رجلا ، قل : أربعون إنسانًا ، لعل فيهم نساء .

وقال أحمد بن أبي الحواري : سمعت أبا سليمان يقول : الأبدال بالشام ، والنجباء بمصر ، والعُصَب باليمن ، والأخيار بالعراق .

وروى ابن أبي الدنيا [2] عن هارون بن عبد الله عن سيار عن جعفر بن سليمان ، حدثنا شيخ من أهل صنعاء من جلساء وهب بن منبه قال : رأيت رسول الله - ﷺ - في المنام ، فقلت : يا رسول الله : أين بدلاء أمتك ؟ فأومأ بيده نحو الشام ، فقلت : يا رسول الله ، أما بالعراق منهم أحد ؟ قال : بلى ، محمد بن واسع ، وحسان بن أبي سنان ، ومالك بن دينار ، الذي يمشي في الناس بمثل زهد أبي ذر في زمانه .

وقد رويت أحاديث كثيرة في الأبدال لا تخلو من ضعف في أسانيدها، وبعضها موضوع ، ولكن ليس فيها ذكر الشام ، فلم نذكرها لذلك ، وفي بعضها أن أعمالهم أنهم يعفون [ق/ ٢١أ] عمن ظلمهم ، ويحسنون إلى من أساء إليهم، ويواسون فيما آتاهم الله عز وجل .

وقد روي ذكر الأبدال عن الحسن وقتادة وغيرهم من السلف .

---

(١) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١/ ٢٨٦).
(٢) في « المنامات » (١٣٤) .

وفي مراسيل ابن أبي رباح عن النبي ﷺ قال : « **الأبدال من الموالي** » . خرجه الترمذي (١) .

ومن أحسن ما ورد في وصفهم :

ما رواه ابن أبي الدنيا (٢) حدثنا أبو حاتم الرازي محمد بن إدريس حدثنا عثمان(٣) بن مطيع ، حدثنا سفيان بن عيينة قال : قال أبو الزناد: لما ذهبت النبوة وكانوا أوتاد الأرض ، أخلف الله مكانهم أربعين رجلا من أمة محمد ﷺ يقال لهم : الأبدال ، لا يموت الرجل منهم حتى ينشئ الله مكانه آخر يخلفه ، وهم أوتاد الأرض ، قلوب ثلاثين منهم على مثل يقين إبراهيم - عليه السلام - لم يفضلوا الناس بكثرة الصلاة ولا بكثرة الصيام ، ولا بحسن التخشع ، ولا بحسن الحلية ، ولكن بصدق الورع، وحسن النية ، وسلامة القلوب ، والنصيحة لجميع المسلمين ابتغاء مرضاة الله ، بصبر وخير ، ولب حليم ، وبتواضع في غير مذلة ، واعلم أنهم لا يلعنون شيئًا ، ولا [يزدرون] (٤) أحدًا فوقهم ، ولا يتطاولون على أحد تحتهم، ولا يحقرون ، ولا يحسدون ، ليسوا بمتخشعين ولا متماوتين ولا معجبين [ق/ ١٢٢] ولا يحبون الدنيا ، ليسوا اليوم في خشية وغدًا في غفلة .

وروى إبراهيم بن هانئ عن الإمام أحمد قال : إن لم يكن أصحاب الحديث هم الأبدال ، فلا أدري من هم .

ومراده بأصحاب الحديث من حفظ الحديث وعلمه وعمل به ، فإنه نص أيضًا على أن أهل الحديث من عمل بالحديث لا من اقتصر على طلبه.

ولا ريب أن من علم سنن النبي ﷺ وعمل بها وعلمها الناس فهو من خلفاء الرسل ، وورثة الأنبياء ، ولا أحدًا أحق بأن يكون من الأبدال منه ، والله أعلم.

---

(١) لم أقف عليه عند « الترمذي » وهو عند الآجري في « سؤالات أبي داود » (١٧٨) .

(٢) في « الأولياء » برقم (٥٧) .

(٣) في « الأصل : « أكثم » وما أثبته من « الأولياء » وانظر ترجمته في الجرح والتعديل (٦/ ١٧٠) برقم (٩٢٩] .

(٤) في الأصل : « يزدون » ، والمثبت هو الموافق للسياق .

ومما يشهد لذلك - الأبدال - كونهم في الشام - حديث خرجه الإمام أحمد[1]، وأبو داود [2] من حديث قتادة عن أبي الخليل عن صاحب له عن أم سلمة عن النبي ﷺ قال : « **يكون اختلاف عند موت خليفة ، فيخرج رجل من أهل المدينة هاربًا إلى مكة ، فيأتيه ناس من أهل مكة فيخرج وهو كاره ، فيبايعونه بين الركن والمقام ، ويبعث إليه بعث من الشام فيخسف بهم بالبيداء بين مكة والمدينة، فإذا رأى الناس ذلك أتاه أبدال [الشام وعصابة أهل العراق]** [3] **فيبايعونه...** » وذكر بقية الحديث .

وقد اختلف في تسمية هذا الرجل [المبهم] [4] في إسناده ، فقيل : هو مجاهد، وقيل : هو عبد الله بن الحارث [ق/ ٢٢ب] ورجحه محمد بن حاتم الرازي [5] ، والله أعلم .

***

(١) (٦/ ٣١٦) .

(٢) برقم (٤٢٨٥) .

(٣) بالأصل « أهل اليمن وعصابة أهل الشام » والتصويب من المسند والسنن .

(٤) في الأصل : « المتهم » والصواب ما أثبته .

(٥) في « العلل » (٢/ ٤١٠ - ٤١١) برقم [٢٧٤٠] .

الباب السابع
فيما ورد في بركة الشام

قال الله ـ عز وجل ـ : ﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ [الأعراف : ١٣٧] .

وإنما أورث الله بني إسرائيل أرض الشام .

وقال ـ سبحانه وتعالى : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ ﴾ [الإسراء : ١] .

وقال تعالى : ﴿ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴾[الأنبياء: ٧١].

وقال تعالى : ﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ﴾ [الأنبياء : ٨١] .

وقال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ﴾ [سبأ: ١٨] .

روى الربيع عن أبي العالية عن أبي بن كعب [١] أنه قال في قوله تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ﴾ [الأنبياء: ٧١].

قال : الشام ، وما من ماء عذب إلا يخرج من تلك الصخرة التي ببيت المقدس .

وروي بإسناد ضعيف عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ﴾ [سبأ: ١٨] .

يعني : الأرض المقدسة : أرض الشام .

وعن الحسن في قوله تعالى : ﴿ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ﴾

---

(١) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١/ ١٤٠) .

[الأعراف: ١٣٧] يقول : مشارق الشام [ق/ ١٢٣] ومغاربها .

وكذا قال زيد بن أسلم وقتادة وسفيان .

وقال السدي في قوله تعالى : ﴿ تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ﴾ [الأنبياء: ٨١] قال : أرض الشام .

قال الوليد بن مسلم : حدثنا زهير بن محمد ، قال : حُدِّثتُ أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله ـ تعالى ـ بارك ما بين العريش [والفرات] [(١)] وخص فلسطين بالتقديس » يعني : التطهير .

وروي عن كعب قال : إن الله تعالى بارك في الشام من الفرات إلى العريش.

وعنه قال : بارك الله في أرض الشام من الفرات إلى العريش، وخص بالتقديس من أرض حمص إلى رفح .

وعنه أنه جاء إليه [رجل] [(٢)] فقال : إني أريد الخروج أبتغي من فضل الله ، قال : عليك بالشام ؛ فإنه ما ينقص من بركة الأرضين يزاد بالشام [(٣)] .

وقال عقبة بن وساج عمن حدثه قال : ما ينقص من الأرض شيء يزاد في الشام ، وما ينقص من الشام يزاد في فلسطين .

وقال سليمان بن عبد الرحمن : حدثنا أبو عبد الملك الجزري قال : إذا كانت الدنيا في بلاء وقحط كان الشام ، في رخاء وعافية ، وإذا كان الشام [(٤)] في بلاء وقحط كان بيت المقدس في رخاء وعافية .

وقال : الشام مباركة ، وفلسطين مقدسة ، وبيت المقدس قدس القدس.

ويروي عن كعب قال : قدس ميسرة الشام مرتين [ق/ ٢٣ب] وقدست سائر الشام مرة واحدة .

---

(١) في الأصل : الفراة والمثبت هو الصواب .

(٢) زيادة من « تاريخ دمشق » (١/ ١٤٤) .

(٣) روى هذه الآثار عن كعب ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١/ ١٤٤) .

(٤) في « تاريخ دمشق (١/ ١٤٤) « كانت فلسطين في رخاء وعافية ، وإذا كانت فلسطين في . . . » .

وعن ثور بن يزيد قال : قدس الأرض الشام ، وقدس الشام فلسطين، وقدس فلسطين : بيت المقدس ، وقدس : بيت المقدس الجبل ، وقدس الجبل: المسجد، وقدس المسجد : القبة .

واعلم أن البركة في الشام تشمل البركة في أمور الدين والدنيا ، ولهذا سميت : الأرض المقدسة .

قال ـ تعالى ـ حاكيًا عن موسى ـ عليه السلام ـ : ﴿ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ [المائدة] .

ولما « قال النبي ﷺ لأبي ذر : **كيف تصنع إن أخرجت من المدينة؟** قال : أنطلق إلى الشام والأرض المقدسة المباركة » .

وقد خرّجه الإمام أحمد [1] وغيره . وفي رواية الإمام أحمد [2] قال: « **الحق بالشام ؛ فإن الشام أرض الهجرة ، وأرض المحشر وأرض الأنبياء** » .

وكتب أبو الدرداء إلى سلمان : هلمَّ إلى أرض الجهاد .

قال قتادة : الأرض المقدسة : أرض الشام .

وقال عكرمة والسدي : هي أريحا .

وقال الكلبي : دمشق وفلسطين ، والمراد بالمقدسة المطهرة من الشرك وتوابعه، ولذلك كانت أرض الأنبياء .

قال ضمرة بن ربيعة : سمعت أنه لم يبعث [نبي] [3] إلا من الشام، فإن لم يكن فيها أسري به إليها .

وروى الوليد بن مسلم ، حدثنا عفير بن معدان ، عن (سليم) [4] بن عامر ،

---

(١) (٥/ ١٥٦) .
(٢) (٦/ ٤٥٧) .
(٣) زيادة من « تاريخ دمشق » (١/ ١٥٤) .
(٤) في الأصل « سالم » ، والتصويب من تاريخ دمشق (١/ ١٥٤) .

عن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال : « (أنزل القرآن) [1] [ق/ ١٢٤] في ثلاثة أمكنة : مكة والمدينة والشام » .

قال الوليد : يعني : بيت المقدس .

خرجه الحاكم [2] وقال : صحيح الإسناد. كذا قال .

وفي رواية : « أنزلت عليّ النبوة في ثلاثة أمكنة . . . » فذكره، وعفير بن معدان ضعيف .

وقد سمى الله الشام : مبوأ صدق .

قال تعالى : ﴿ ولقد بوأنا بني إسرائيل مبوأ صدق ﴾ .

قال قتادة : بوأهم الشام وبيت المقدس .

وأما حد الشام :

فروى الشافعي [3] أخبرني (عمي محمد بن عباس) [4] عن حسن بن القاسم الأزرقي [5] قال : « وقف رسول الله ﷺ على ثنية تبوك ، فقال : « ما ها هنا شام [وما ها هنا يمن] [6] وأشار بيده إلى جهة المدينة » .

وزعم الواقدي في « مغازيه » بغير إسناد أن « وادي القرى أول طرف الشام من جهة الحجاز ، وما وراءه إلى المدينة حجاز » .

وزعم بعض الأئمة المتأخرين أن حد الشام من جهة الحجاز عقبة الصوان . قال : وتسمى : المنحنى ، فما فوقها شام وما تحتها حجاز ، وهو غريب لم يتابع

---

(١) كذا بالأصل ، وفي « تلخيص المستدرك للذهبي » أنزلت علي النبوة .

(٢) راجع « مختصر استدراك الذهبي . . . » لابن الملقن (١١٣٢) .

(٣) في الأم برقم (١/ ١٦٢) .

(٤) في الأصل : « عمر بن محمد بن عياش » والتصويب من « الأم » للشافعي ، «وتاريخ دمشق » (١/ ١٨٧) .

(٥) في الأصل : « الأزرق » والتصويب من « الأم ».

(٦) سقط من الأصل وهو في « تاريخ مدينة دمشق » .

عليه.

وقال سالم بن عبد الأعلى حدثنا أبو الأعيس القرني ، وكان قد أدرك أصحاب النبي ﷺ قال : « سئل عن البركة التي تدرك في الشام أين مبلغ حدّه؟ قال: أول حددوة عريش مصر ، والحد الآخر جبل طرف الثنية ، والحد الآخر: الفرات ، والحد الآخر [ق/ ٢٤ب] جبل فيه قبر هود [1] النبي ﷺ » .

وقال أبو حاتم بن حبان في صحيحه [2] : أول الشام : بالس [3] ، وآخره : عريش مصر .

ويروي عن معاذ بن جبل قال : أرض المقدسة ما بين العريش إلى الفرات.

ولكن إسناده لا يصح .

وقد دعا النبي ﷺ للشام بالبركة ، ففي صحيح البخاري [4] عن عمران أن النبي ﷺ قال : « اللهم بارك لنا في شامنا ، اللهم بارك لنا في يمننا . قالوا: وفي نجدنا ؟ قال : هناك الزلزال والفتن ، وبها - أو قال : منها - يخرج قرن الشيطان » .

ولحديث ابن عمر طرق متعددة عنه ، قد ذكرتها في شرح الترمذي ، وخرج الطبراني من حديث ابن عباس عن النبي ﷺ معناه .

❋ ❋ ❋

---

(١) راجع للأهمية « اقتضاء الصراط المستقيم » (٢/ ٧٥٨) والفتاوى (٢٧/ ٤٤٤) .

(٢) (١٦/ ٢٩٥ - إحسان).

(٣) هي بلدة بالشام شرق حلب على ستين ميلا منها ، عندها يتحول مجرى الفرات من الجنوب إلى الشرق فتحها أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه .

(٤) برقم (٧٠٩٤) .

فصل

ومن بركاتها الدينية أنها أرض الجهاد ، فأهلها في جهاد ورباط ، ونفقتهم على أنفسهم كالنفقة في سبيل الله ، تضاعف سبعمائة ضعف .

وقد كتب أبو الدرداء إلى سلمان : هلم إلى الأرض المقدسة ، أرض الجهاد، ولذلك كان السلف يختارون الإقامة بها للجهاد ، كما فعل (*) ذلك رؤساء مسلمة الفتح من قريش .

وقال أرطاة بن المنذر (١) : قال عمر : أعظم الناس أجراً : رويجل بالشام [ق/ ١٢٥] آخذ بلجام فرسه يكلأ من وراءه بيضة المسلمين لا يدري أسبع يفترسه أم هامة تلدغه أو عدو يغشاه .

وكان ابن (. . .) (٢) وغيره من العلماء يقولون : من أراد علم السير فعليه بأهل الشام ؛ فإنهم لكثرة جهادهم أعلم الناس بأحكام الجهاد .

وعن الشافعي قال : من أراد علم الملاحم فعليه بأهل الشام .

وقد صنف أبو إسحاق الفزاري كتابًا كبيراً في السير فيه علم كبير مما يتعلق بالجهاد لا يكاد يوجد في غيره مجموعًا .

وقد ورد حديث مرفوع غريب من رواية أبي مطيع معاوية بن يحيى حدثنا أرطاة بن المنذر عمن حدثه عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ : « **أهل الشام وأزواجهم وذرياتهم وعبيدهم إلى منتهى الجزيرة مرابطون ؛ فمن نزل مدينة من المدائن فهو في رباط أو في ثغر من الثغور فهو في جهاد** » .

خرجه الطبراني وغيره (٣) .

(*) ليست بالأصل وبها يستقيم المعنى.

(١) في « الأصل »: « المنذري » والتصويب من تاريخ دمشق (١/ ٢٧٠) .

(٢) بياض بالأصل ولعلها عيينة وقد روي عنه هذا الكلام في تاريخ دمشق (١/ ٣١٦) .

(٣) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١/ ٢٦٩) من طريق الطبراني ، وذكره =

ورواه ابن جوصا حدثنا عمرو بن عثمان حدثنا ابن حمير عن سعيد البجلي عن شهر بن حوشب عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال : «ستفتح على أمتي من بعدي الشام وشكًا (*)، فإذا فتحها فاتحها فأهل الشام مرابطون إلى منتهى الجزيرة ورجالهم ونساؤهم وصبيانهم وعبيدهم ، فمن احتل ساحل من تلك السواحل فهو في جهاد ، [ق/ ٢٥ب] ومن احتل بيت المقدس وما حولها فهو في رباط ».

غريب جدًا ، وسعيد هذا غير معروف .

وروى أبو زرعة [يحيى] [1] بن [أبي] [1] عمرو السيباني [2] عن عبدالله بن باشرة [3] أنه أخبره عن سعيد بن سفيان القاري [4] قال: توفي أخي وأوصى بمائة دينار في سبيل الله ، فلم يكن عامئذ غازية [فما تأمرني] [5] فقدمت المدينة في حج أو عمرة ، فدخلت على عثمان بن عفان ، وعنده رجل قاعد ، فقلت : يا أمير المؤمنين توفي أخي وأوصى بمائة دينار في سبيل الله - تعالى - فلم تجئنا غازية، فقال عثمان : إن الله أمرنا بالإسلام فأسلمنا كلنا فنحن المسلمون، وأمرنا بالهجرة فهاجرنا ، فنحن المهاجرون أهل المدينة ، ثم أمرنا بالجهاد فجاهدنا ، فأنتم المجاهدون أهل الشام أنفقها على نفسك وعلى أهلك وعلى ذوي الحاجة ممن حولك، فإنك لو خرجت بدرهم ، ثم اشتريت به لحمًا فأكلت أنت وأهلك كتب لك بسبعمائة درهم . فخرجت من عنده فسألت عن الرجل الذي كان عنده فإذا هو علي بن أبي طالب - رضي الله عنه .

= الهيثمي في المجمع (١٠/ ٦٠) وقال : رواه الطبراني من رواية أرطاة بن المنذر عمن حدثه عن أبي الدرداء ولم يسمه ، وبقية رجاله ثقات .

(*) قال في ترتيب القاموس مادة : « وشك » ووَشْكُ الفراق وَشْكانه ووُشْكانه ويُضَمَّان سرعته .

(١) من تاريخ دمشق (١/ ٢٣٤) .

(٢) في الأصل « الشَّيباني » والتصويب من توضيح المشتبه لابن ناصر الدين (٥/ ٢٤٤ - ٢٤٥) .

(٣) كذا بالأصل وفي تاريخ دمشق (١/ ٢٣٤) ناشرة ، ونبه ابن عساكر على أن الصواب: «ناشر » .

(٤) في تاريخ دمشق « الغازي » وما في الأصل هو الصواب . انظر الأنساب لابن السمعاني (٤/ ٤٢٦) .

(٥) من تاريخ دمشق (١/ ٢٣٥) .

فصل
ومن بركات الشام الدينية

أن نور النبي ﷺ عند ولادته سطع إليها فأشرقت قصورها منه ، فكان ذلك أول مبدأ دخول نوره ﷺ الشام ، ثم دخلها نور دينه وكتابه فأشرقت به وطهرت [ق/ ١٢٦] مما كان فيها من الشرك والمعاصي ، وكمل بذلك قدسها وبركتها.

فخرج الإمام أحمد [١] والحاكم في صحيحه [٢] من حديث العرباض بن سارية قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « إني عبد الله وخاتم النبيين، وإن آدم لمنجدل في طينته ، سأخبركم عن ذلك ، دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسى ، ورؤيا أمي التي رأت ، وكذلك أمهات (النبيين) [٣] يرين ، وإن أم النبي ﷺ رأت حين وضعته نورا (أضاء)[٤] منه قصور الشام » .

وخرج أبو القاسم البغوي نحوه من حديث فرج بن فضالة عن لقمان بن عامر عن أبي أمامة عن النبي ﷺ .

وخرّج الحاكم [٥] أيضًا من حديث خالد بن معدان ، عن أصحاب رسول الله ﷺ أنهم قالوا : يا رسول الله ، أخبرنا عن نفسك . . . فذكره .

وفي حديثه : « قصور بُصْرى من أرض الشام » .

وقال : صحيح الإسناد .

وخرجه الإمام أحمد [٦] من حديث خالد بن معدان عن عبد الرحمن بن

---

(١) (٤/ ١٢٧) . (٢) « المستدرك » (٢/ ٤١٨) .

(٣) في الأصل « المؤمنين » والتصويب من مصدري التخريج .

(٤) في المصادر السابقة « أضاءت » .

(٥) في « المستدرك » (٢/ ٦٠٠) .

(٦) (٤/ ١٨٤) مطولا .

عمرو السلمي عن عتبة [1] بن عبد عن النبي ﷺ أن أمهُ قالت : « إني رأيت خرج مني نور أضاءت به قصور الشام » .

ورواه الأحوص بن حكيم عن خالد بن معدان عن عبد الرحمن بن غنم عن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ والذي قبله أصح .

[ق/ ٢٦ب] وروى الطبراني [2] وأبو نعيم من حديث بقية بن الوليد ، حدثني صفوان بن عمرو عن حُجْر [3] بن مالك الكندي ، عن أبي مريم الكندي قال : أقبل أعرابي من بهز ، حتى جلس إلى النبي ﷺ فقال : أي شيء كان من أمر نبوتك أول؟ قال: أخذ الله مني الميثاق كما أخذ من النبيين ميثاقهم. وتلا: ﴿وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾ الأحزاب: ٧] .

وبشر بي المسيح عيسى ابن مريم ـ عليهما السلام ـ ورأت أم رسول الله ﷺ في منامها أنه خرج من بين رجليها سراج أضاءت لها منه قصور الشام ، فقال الأعرابي : هـاه ؟ وأدنى رأسه منه ، وكأن في سمعه شيء فقال رسول الله ﷺ: «ووراء ذلك ، ووراء ذلك » مرتين ، أو ثلاثًا .

أبو مريم الكندي ؛ قيل : إنه صحابي نزل حمص .

وروى محمد بن عائذ حدثنا الوليد بن مسلم عن عثمان بن أبي عاتكة وغيره «أن آمنة بنت وهب أنها حين وضعته كفأت عليه برمة حتى تتفرغ له، قالوا : فوجدت البرمة قد انشقت عن نور أضاء منه قصور كثيرة من قصور الشام » .

فكان مولد رسول الله ﷺ بمكة ، وابتداء النبوة له بها ، وأنزل الكتاب عليه بمكة ، ثم أسري به إلى الشام من المسجد الحرام [ق/ ١٢٧] إلى المسجد الأقصى، ثم رجع إلى مكة ثم هاجر إلى المدينة ، ثم في آخر عمره كتب إلى الشام، وإلى هرقل، وإلى كثير من أتباعه ، ثم غزا بنفسه غزوة تبوك ، ثم رجع ثم بعث سرية

---

(١) في الأصل « عيينة » والتوصيب من الإكمال لابن ماكولا (٥/ ٨٣) وجاء في المسند على الصواب .

(٢) في الكبير (٢٢/ ٨٣٥) ، ومسند الشاميين (٩٨٤).

(٣) في الأصل : « صخر » والتصويب من مسند الشاميين ، وتاريخ دمشق (١/ ١٥٨) ، وانظر الجرح والتعديل (٣/ ٢٦٧) برقم [١١٩٢] .

إلى مؤتة ، ثم بعث جيش أسامة فتوفي رسول الله ﷺ قبل خروجهم ثم ابتدأ أبو بكر الصديق بفتوح الشام ، واستكمل في زمن عمر - رضي الله عنه .

وذكر ابن عائذ [1] قال : قال الوليد بن مسلم : أخبرني ابن لهيعة عن أبي الأسود القرشي عن عروة ، أنه كان في كتاب أبي بكر إلى خالد بن الوليد أن أعجل إلى إخوانكم بالشام ، فوالله لقرية من قرى الأرض المقدسة يفتحها الله علينا أحب إليّ من رستاق من رساتيق العراق .

وأخبر النبي ﷺ أنه « **لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء لها أعناق الإبل ببصرى** » .

ففي الصحيحين [2] عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : «**لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى** » .

وهذه النار خرجت من وادي بقرب مدينة النبي ﷺ سنة أربع وخمسين وستمائة ، واشتهر أمرها وشوهد من ضوئها بالليل عناق الإبل ببصرى ، واستفاض وبعد ذلك بقليل ثم خراب العراق بواقعة بغداد المشهورة [ق/ ٢٧ب] ودخول أكثر الكفار إليها ، وقتل خليفة بني العباس وعامة أهلها ، وبذلك ثم خراب بلاد المشرق على أيدي التتار ، وانتقل من حينئذ إلى الشام عامة أهل العراق ، وخيارهم كما أخبر بذلك أبو أمامة ، وقد سبق كلامه ، وعظم أمر الشام ، وكثر أهلها ، واتسعت عمارتها وكثر بها علم النبوة الموروث ، عن خاتم النبيين ﷺ ثم في آخر الزمان تخرج نار تحشر الناس كلهم إلى الشام ، وهي أول أشراط الساعة كما في « صحيح البخاري » [3] عن أنس عن النبي ﷺ أنه قال : «**أول أشراط الساعة نار تحشرهم من المشرق إلى المغرب ، ويجتمع الناس كلهم حينئذ بعد ذلك** » .

وسنذكر هذه النار فيما بعد ، إن شاء الله.

---

(١) في الأصل « عابد » والتصويب من تاريخ دمشق (١/ ١٣٨) .
(٢) أخرجه البخاري (٧١١٨) و « مسلم » (٢٩٠٢) .
(٣) برقم (٣٩٣٨) .

الباب الثامن
في حفظ الله - تعالى - الشـــام بالملائـــكة الكـــرام

خرج الإمام أحمد [1] والترمذي [2] والحاكم [3] من حديث زيد بن ثابت قال: «كنا عند رسول الله ﷺ نؤلف القرآن من الرقاع ، فقال رسول الله ﷺ: «**طوبى للشام . قلنا : لأي ذلك يا رسول الله ؟! قال : لأن ملائكة الرحمن باسطة أجنحتها عليها**» .

[ق/ ١٢٨] وقال الترمذي : حسن صحيح غريب [4] .

وقال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين .

وفي رواية خرجها ابن خزيمة [5] : «**إن ملائكة الرحمة**» وفي رواية للطبراني [6] في هذا الحديث : «**إن الرحمن باسط رحمته عليه**»، وفي رواية

---

(١) (٥/ ١٨٤ ـ ١٨٥) .

(٢) برقم (٣٩٥٤) .

(٣) في «المستدرك» (٢/ ٢٢٩) .

(٤) في «سنن الترمذي» و«تحفة الأحوذي» (١٠/ ٤٥٤) ، و«تحفة الأشراف» (٣/ ٢٢١) قال : حسن غريب.

(٥) ومن طريقه خرجها ابن عساكر (١/ ١١٢) .

(٦) في الكبير (٥/ ٤٩٣٥) . قال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٦٠) : ورجاله رجال الصحيح . وقال العلامة الألباني ـ رحمه الله ـ في الصحيحة (٢/ ١٦): وحق العبارة أن تتبع بقوله : غير أحمد بن رشدين . . . فإنه ليس من رجال الصحيح ، بل هو من شيوخ الطبراني الضعفاء . وكثيراً ما يصنع الهيثمي مثل هذا التعميم المخل ، فكن منه على ذكر تنج إن شاء الله تعالى من الخطأ .

رويناها في كتاب «فضائل الشام» لأبي الحسن الربعي [1] أن النبي ﷺ قال : «**طوبى لأهل الشام ...**» فذكره .

وذكر الحافظ أبو القاسم [2] من رواية معروف الخياط قال : سمعت واثلة بن الأسقع يقول : إن الملائكة تغشى مدينكم هذه ـ يعني : دمشق ـ ليلة الجمعة ، فإذا كان بكرة افترقوا على أبواب دمشق براياتهم وبنورهم ، فيكونون سبعين رجلا، ثم ارتفعوا ، ويدعون الله لهم : اشف مريضهم ، ورد غائبهم .

❊ ❊ ❊

---

(١) في «فضائل الشام» برقم (١٧) .

(٢) في «تاريخ دمشق» (١/ ١١٥) .

الباب التاسع
فيما ورد في بقاء الشام
بـعـد خـراب غيرها مـن الأمصـار

ذكر الحافظ أبو القاسم [1] من طريق محمد بن هارون [بن محمد بن][2] يكار بن يلال ، حدثنا أبي عن أبيه محمد بن بكار ، حدثنا سعيد بن بشير عن قتادة عن عوف بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : «**تخرب الدنيا ، أو قال : الأرض - قبل الشام بأربعين سنة** » .

هذا غريب منكر منقطع ، ومحمد بن بكار متكلم فيه .

[ق/ ٢٨ ب] وبإسناده [3] عن كعب الأحبار قال : إني لأجد في كتاب الله المنزل إن خراب الأرض قبل الشام بأربعين عامًا .

وبإسناده [4] عن [أبي] [5] عبد ربه قال : يبعث تُبَيْعًا أكثر من ثلاثين مرة يقول: تخرب الأرض وتعمر الشام، حتى يكون من العمران كالرمانة، ولا يبقى فيها ضربة في سهل ولا جبل إلا عمرت، وليعرس فيها من البحر ما لم يغرس في زمن نوح وتبين فيها القصور اللائحة في السماء ، فإذا رأيت ذلك ، فقد نزل بك الأمر .

وبإسناده عن بجير بن سعد قال : يقيم الشام بعد خراب الأرض أربعين عامًا.

وروينا في كتاب « فضائل الشام » لأبي الحسن الربعي من طريق عبدالخالق بن

---

(١) في « تاريخ دمشق » (١/ ١٨٥) .
(٢) كذا في تاريخ دمسق ، وفي الأصل : (محمد بن هارون عن بكار . . .) .
(٣) تاريخ دمشق (١/ ١٨٦) .
(٤) تاريخ دمشق (١/ ١٨٦) .
(٥) في الأصل « ابن » والتصويب من « تاريخ دمشق» وراجع تهذيب الكمال (٣٤/ ٣٦).

زيد بن واقد عن أبيه عن عطية بن قيس قال : قال كعب : ليبنينّ في دمشق مسجد يبقى بعد خراب الأرض أربعين عامًا .

وبإسناده عن الوليد بن مسلم عن عثمان بن أبي العاتكة عن علي بن زيد عن القاسم أبي عبد الرحمن قال : أوحى الله عز وجل إلى جبل قاسيون أن هب ظلك وبركتك بجبل بيت المقدس ، ففعل ، فأوحى الله ـ عز وجل ـ إليه : أما إذ فعلت ، فإني سأبني لي في حضنك بيتًا .

قال الوليد: في حضنك أي: في وسطك بيتًا، وهو هذا المسجد، يعني: مسجد دمشق [ق/ ١٢٩] أُعْبَدُ فيه بعد خراب الدنيا أربعين عامًا ، ولا تذهب الأيام والليالي حتى أعيد عليك ظلك وبركتك . فهو عند الله بمنزلة المؤمن الضعيف المتضرع .

قال أبو القاسم الحافظ : هذا هو المحفوظ .

وقد روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص ضد هذه الأقوال ثم ساق من طريق أبي جعفر محمد بن عثمان بن أبي شيبة ، حدثنا أبي ، حدثنا معاوية بن هشام ، حدثنا سفيان عن أبي ظبيان عن عبد الله بن عمرو ، قال : قال : أول أهل الأرض خرابًا : الشام .

قلت : أبو جعفر متكلم فيه ، والأولى تدل على صحة القول الأول كما ذكر أبو القاسم أنه المحفوظ ؛ فإن الشام تبقى عامرة فيها أهلها بعد خراب المدينة ، وبعد خروج الدجال ، ونزول عيسى ابن مريم ، وخروج يأجوج ومأجوج ، وبعد ظهور النار التي هي من أول أشراط الساعة وبعد بعث الله الريح الطيبة التي تقبض أرواح المؤمنين .

وكل هذا قد ذكر في الأحاديث .

فخرج الإمام أحمد [(١)] وأبو داود [(٢)] من حديث معاذ بن جبل عن النبي ﷺ

---

(١) (٥/ ٢٣٢ ، ٢٤٥) .

(٢) برقم (٤٢٩٤) .

قال : « عمران بيت المقدس خراب يثرب ، وخراب يثرب خروج الملحمة ، وخروج الملحمة فتح القسطنطينية ، وفتح القسطنطينية خروج الدجال [ق/ ٢٩ب] ثم ضرب بيده وقال : إن هذا الحق ، كما أنك قاعد » .

وقد صح أن عيسى - عليه السلام - ينزل شرقي دمشق ، وسيأتي ذكره فيما بعد - إن شاء الله .

وثبت في الصحيح [١] أيضًا أن الدجال يهلك بالشام ، وأن عيسى - عليه السلام - يتجاوز بمن معه من المؤمنين إلى الطور وهو من الشام .

وفي صحيح مسلم [٢] عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال : «يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين ، لا أدري أربعين يوما ، أو شهراً، أو سنة ، فيبعث الله عيسى ابن مريم ، كأن عروة بن مسعود ، فيطلبه ، فيهلكه، ثم يمكث الناس سبع سنين ثم يرسل الله ريحًا باردة من قبل (السماء) [٣] فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضه ، حتى لو أن أحدكم دخل في كبد جبل لدخلته عليه حتى تقبضه - سمعته من رسول الله ﷺ - فيبقى شرار الناس في خفة الطير ، وأحلام السباع ، لا يعرفون معروفًا ، ولا ينكرون منكراً، فيتمثل لهم الشيطان فيقول : ألا تستجيبون ، فيقولون : ما تأمرنا؟! ويأمرهم بعبادة الأوثان ، وهم على ذلك ، دارٌ رزقهم ، حسن عيشهم ، ثم ينفخ في الصور... »، وذكر بقية الحديث.

وقد ذكرنا فيما تقدم عن ابن مسعود أن الفرات لا يبقى فيها طست من ماء ، ويرجع كل ماء [ق/ ١٣٠] إلى عنصره ، ويبقى الماء وبقية المؤمنين بالشام ، ولا يبقى مؤمن إلا من انحاز مع عيسى ابن مريم إلى جبل الطور، ولا يبقى ماء إلا بالشام، فإن أصل مياه الدنيا من الشام، فترجع إلى عنصرها .

---

(١) أخرجه مسلم (٢١٣٧) .

(٢) برقم (٢٩٤٠) .

(٣) كذا بالأصل وفي « مسلم » : الشام .

وروي عن كعب قال : والذي نفسي بيده ، ما شرب ماء عذب إلا يخرج من تحت هذه الصخرة ، حتى العين التي بدارين لتخرج من تحت هذه الصخرة ، يعني: عينًا في البحر .

وروى ابن أبي حاتم في تفسيره من حديث شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا ﴾ [المرسلات:٢٧] قال : من أربعة أنهار : سيحان ، وجيحان ، والفرات ، والنيل .

فكل ماء عذب شربه ابن آدم من هذه الأنهار ؛ فإنها تخرج من تحت الصخرة التي في بيت المقدس .

(. . .) [١] قال : يوشك الرعد والبرق أن يهاجرا إلى الشام حتى لا يكون رعد ولا برق إلا ما بين الفرات والعريش .

وخرج ابن أبي خيثمة وغيره عن الأوزاعي قال : يهاجر الرعد والبرق إلى مهاجر إبراهيم ، حتى لا يبقى قطرة إلا فيما بين الفرات والعريش .

وعن عباد بن منصور ، حدثنا أبو قلابة أن الرعد والبرق سيهاجر من أرض العراق إلى أرض الشام حتى لا يبقى بها رعد ولا برق ، ويدل على صحة ذلك أيضا أن النار التي هي أول أشراط الساعة [ق/ ٣٠ب] تسوق الناس إلى الشام .

وقد ذكرنا في أول الكتاب حديث ابن عمر عن النبي ﷺ : « تخرج نار من حضرموت تسوق الناس ، قالوا : يا رسول الله ، ما تأمرنا ؟ قال: عليكم بالشام». وهو حديث اختلف فيه نافع وسالم ؛ فرواه سالم عن ابن عمر عن النبي ﷺ ورواه نافع عن ابن عمر عن كعب من قوله .

وفي حديثه : « يوشك تخرج نار اليمن تسوق الناس إلى الشام » .

وذكرنا أيضا حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال : «إنكم تحشرون ها هنا ـ وأشار بيده إلى الشام » .

---

(١) بياض بالأصل وعند ابن عساكر (١/ ١٥٣) : عن كعب الأحبار .

وذكرنا حديث عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ : « ستكون هجرة بعد هجرة، فخيار أهل الأرض ألزمهم مهاجر إبراهيم ويبقى في الأرض شرار أهلها ، تلفظهم أرضوهم ، وتقذرهم نفس الله ، وتحشرهم النار مع القردة والخنازير » .

وفي رواية : « تكون هجرة بعد هجرة ، فخيار الأرض إلى مهاجر إبراهيم ... » وذكر الحديث ، فهذا كله يدل على أن خيار الناس في آخر الزمان مهاجرون إلى مهاجر إبراهيم عليه السلام ، وهي الشام طوعًا فيجتمعون فيها ، وأما شرار الناس فيحشرون كرهًا [1] تحشرهم النار من بلادهم إلى الشام .

وقد تكاثرت الأحاديث والآثار بذكر هذه النار ، ففي صحيح البخاري [2] [ق/ ١٣١] عن أنس أن النبي ﷺ قال : « أول أشراط الساعة نار تحشرهم من المشرق إلى المغرب » .

والمراد بالمغرب ها هنا ـ والله أعلم ـ : الشام ، كما سبق في تفسير قوله ﷺ: « لا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحق » .

وفي الصحيحين [3] عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « يحشر الناس على ثلاثة طرائق : راغبين راهبين واثنان على بعير ، وثلاثة على بعير ، وأربعة على بعير، وعشرة على بعير ، وتحشر بقيتهم النار ، تقيل معهم حيث قالوا ، وتبيت معهم حيث باتوا ، وتصبح معهم حيث أصبحوا ، وتمسي معهم حيث أمسوا » .

فهذه الثلاث المذكورة في هذا الحديث : أحدها : من يحشر راغبًا ، وهو من يهاجر إلى الشام طوعًا .

والثاني : من يحشر رهبة وخوفًا على نفسه ؛ لظهور الفتن في أرضه .

والثالث : من تحشره النار قسراً ، وهو شر الثلاثة وخرج الإمام أحمد [4] من حديث أبي ذر قال : « أقلنا مع رسول الله ﷺ (فرأينا) [5] ذا الحليفة ، فتعجل

---

(١) رسمت في الأصل : كذكرها ! .   (٢) برقم (٣٩٣٨) .

(٣) أخرجه « البخاري » (٦٥٢٢) ، و« مسلم » (٢٨٦١).

(٤) (٥/ ١٤٤) .

(٥) هكذا في الأصل : « وفي المسند » : فنزلنا .

رجال إلى المدينة ، وبات رسول الله ﷺ وبتنا معه ، فلما أصبح سأل عنهم فقيل: تعجلوا ، فقال : تعجلوا إلى المدينة والنساء ، أما إنهم سيدعونها أحسن ما كانت، ثم قال : ليت شعري (من) [1] تخرج نار من اليمن من جبل الوراق ، تُضيء منها [ق/ ١٣٢] أعناق الإبل بروكًا ببصرى كضوء النهار » .

وهذا فيه إشعار بأن هذه النار هي التي تخرج أهل المدينة منها .

وفي صحيح مسلم [2] عن حذيفة قال : أخبرني رسول الله ﷺ مما هو كائن إلى أن تقوم الساعة ، فما منه شيء إلا وقد سألته ، إلا أني لم أسأله ما يخرج أهل المدينة من المدينة .

وفي صحيح البخاري [3] عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « (ينزلون) [4] المدينة على خير ما كانت لا يغشاها إلا العوافي - يريد : عوافي السباع والطير - وآخر من يحشر راعيان من مزينة - يريدان المدينة ينعقان بغنمهما فيجدونها وحوشًا - حتى إذا بلغا ثنية الوداع خرًّا على وجوههما » .

وفي المسند [5] عن جابر عن النبي ﷺ قال : « ليسيرن راكب في جانب المدينة فيقولون : قد كان في هذه مرة حاضر من المؤمنين كثير » .

وقد سبق حديث : « عمارة بيت المقدس : خراب يثرب » .

وهذا يدل على خرابها قبل خروج الدجال .

وقد ثبت أن الدجال ينزل خارجها ، وأنها ترجف ، فيخرج إليه كل منافق ومنافقة .

فإما أن يكون المراد بخرابها ضعف أمرها ، وقلة بركاتها أو أن أهلها يخرجون منها في بعض الفتن ثم يعودون إليها .

---

(١) في المطبوع : متى .

(٢) برقم (٢٨٩١) . (٣) برقم (١٨٧٤) .

(٤) كذا في الأصل ، وفي البخاري « تنزلون » .

(٥) (٣/ ٣٤٧) .

وفي المسند [1] عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « **يوشك** [ق/ ٣٢ب] **أن يرجع الناس إلى المدينة حتى يصير [مسالحهم بِسَلاحٍ]** [*] ، وسَلاح بوزن لَحَام أسفل من خيبر » .

وقد خرجه أبو داود [2] وغيره من حديث ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «**يوشك المسلمون أن يحاصروا [إلى]** [3] **المدينة ، حتى يكون أبعد مسالحهم بسلاح**» .

قال الزهري : سلاح : قريب من خيبر .

وفي الترمذي [4] عن أبي هريرة عن النبي ﷺ : « **آخر قرية من قرى الإسلام خرابا : المدينة** » .

وذكر عن البخاري [5] أنه تعجب منه ، يريد أنه استنكره ، وهو منكر جداً مخالف للأحاديث ، والله أعلم.

وفي مسند الإمام أحمد [6] عن رافع بن بشر ـ أو [بسر] [7] عن أبيه ، عن النبي ﷺ قال : « **يوشك أن تخرج نار من حبس سيل تسير بسير بطئة الإبل ، تسير النهار ، وتقيم الليل ، فتغدوا وتروح** » .

يقال : غدت النار أيها النار فاغدوا ، قالت النار أيها الناس قيلوا ، راحت النار أيها الناس روحوا ، من أدركته أكلته ! .

---

(١) (٢/ ٤٠٢) .

(*) في الأصل : « مشايخهم بسلاح » المثبت من المسند . قال ابن الأثير في النهاية (٢/ ٣٨٨) : .

المسلحة : القوم الذين يحفظون الثغور من العدو .

(٢) برقم (٤٢٥٠ ، ٤٢٩٩) .

(٣) زيادة من « سنن أبي داود » .

(٤) برقم (٣٩١٩) .

(٥) كما في « العلل الكبير » برقم (٧٠٣) .

(٦) (٣/ ٤٤٣) .

(٧) في الأصل « بشر »: والتصويب من المسند وانظر التاريخ الكبير (للبخاري) (٢/ ١٣١) ، (٣/ ٣٠٤) .

وفي صحيح الحاكم [1] من حديث أبي البدَّاح بن عاصم عن أبيه عن النبي ﷺ أنه [قال :] (*) « **يوشك أن تخرج نار من حبس سيل نار تضيء إليها أعناق الإبل ببصرى** » .

حبس السيل : الظاهر أنه بقرب المدينة من منازل بني سليم .

وفي « صحيح مسلم » [2] عن حذيفة بن أسيد عن النبي ﷺ قال: « **إن الساعة لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات** [ق/ ١٣٣] ... **فذكر : الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ، ونزول عيسى ـ عليه السلام ـ ويأجوج ومأجوج ، وثلاثة خسوف ، خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب ، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم** » .

وفي رواية له [3] : « **ونار تخرج من قعر عدن ترحل الناس** » .

وخرجه الترمذي [4] وعنده : « **ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس أو تحشر الناس فتبيت معهم حيث باتوا ، وتقيل معهم حيث قالوا** » .

وخرج الحاكم [5] من حديث واثلة بن الأسقع عن النبي ﷺ نحوه ، وقال فيه : « **ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس إلى المحشر تحشر الذر والنمل** » .

وقال : صحيح الإسناد .

وخرج أيضًا [6] من حديث عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال : « **تبعث نار على أهل المشرق ، فتحشرهم إلى المغرب تبيت معهم حيث باتوا ، وتقيل معهم**

---

(١) (٤/ ٤٤٣) مطولاً .

(*) زيادة ليست بالأصل ، لكن السياق يقتضيها .

(٢) برقم (٢٩٠١) .

(٣) برقم (٢٩٠١) .

(٤) برقم (٢١٨٣) .

(٥) في « المستدرك » (٤/ ٤٢٨) .

(٦) (٤/ ٥٤٨) .

حيث قالوا ، يكون لها ما سقط منهم ، وتخلف فتسوقهم سوق الجمل الكبير » .

وخرج الإمام أحمد [١] والنسائي [٢] والحاكم [٣] من حديث أبي ذر قال : «حدثني الصادق المصدوق ﷺ أن الناس يحشرون على ثلاثة أفواج ؛ فوج راكبين طاعمين كاسين ، وفوج يمشون ويسعون ، وفوج تسحبهم الملائكة [...] [٤] على وجوههم [ق/ ٣٣ب] وتحشرهم النار . فقال قائل منهم : هذان قد عرفناهما فما بال هؤلاء الذين يسعون ويمشون ؟!

قال : يُلْقي الله الآفة على الظهر حتى لا يبقى ظهر، حتى أن الرجل ليكون له الحديقة المعجبة فيغطيها بالشارف ذي القتب ، فلا يقدر عليها ، فقد تضمنت هذه الأحاديث أمرين : أحدهما : أن الناس تحشرهم النار إلى المحشر .

وفي حديث أنس وعبد الله بن عمرو ، أنهم يحشرون إلى المغرب ، والظاهر أنه أريد بالمغرب مغرب المدينة ، وهو الشام ، ويدل على أن المحشر إلى الشام حديث ابن عمر وحديث بهز بن حكيم عن أبيه ، عن جده ، كما سبق .

وقد روى ذلك صريحًا عن جماعة من السلف .

خرجه نعيم بن حماد في كتاب « الفتن » [٥] عن ابن اليمان عن (جراح) [٦] عن أرطاة عمن حدثه عن كعب قال : قال عبد الله بن عمرو: « يبعث الله بعد قبض عيسى ابن مريم والمؤمنين بتلك الريح الطيبة ناراً ، تخرج من نواحي الأرض تحشر الناس والدواب والذر إلى الشام » .

---

(١) (٥/ ١٦٤ ـ ١٦٥) .
(٢) (٤/ ١١٦ ـ ١١٧) .
(٣) (٢/ ٣٦٧) ، (٤/ ٥٦٤) .
(٤) أقحمت بالأصل كلمة : « وفوج » .
(٥) برقم (١٧٤٩) .
(٦) في الأصل : « حزام » والتصويب من « الفتن » لنعيم بن حماد ، وانظر ت الكمال (١٤/ ٥١٧) ، (٢/ ٣١١) .

وعن ابن عيينة [1] عن ابن طاوس عن أبيه قال : قال معاذ بن جبل : «اخرجوا من اليمن قبل انقطاع الحبل [2] وقبل أن لا يكون لكم زاد إلا الجراد [3] وقبل أن تحشركم نار إلى الشام» .

وبإسناده عن أبي هريرة [4] قال: « **يحشر الناس إلى الشام على ثلاثة أصناف: صنف على وجوههم [ق/ ١٣٤] وصنف على الإبل ، وصنف على أقدامهم** » .

وبإسناده عن كعب [5] قال : تخرج نار من القسطنطينية فتركد عند الدرب بين سيحان وجيحان ، ونار أخرى تخرج من عدن تبلغ بصرى تقوم إذا قاموا ، وتسير إذا ساروا ، وإن الفرات ليجري ماؤه أول النهار وبالعشي تجري كبريتًا ونارًا ، وتخرج نار من الغرب تبلغ العريش وأخرى من نحو المشرق فتبلغ كذا وكذا فتقيم زمانا لا تنطفئ حتى يشك الشاك، ويقول الجاهل : لا جنة ولا نار ، إلا هذه ، تجتنب في مسيرها مكة والمدينة والحرم كله، حتى تلج الشام، تحشر جميع الناس.

وعنه [6] قال : إذا عثر إنسان أو دابته قالت له النار : تعست وانتكست، لو شئت هاجرت قبل اليوم ، حتى تنتهي إلى بصرى فتقيم أربعين عامًا ، وحتى يسأل الكافر ، فيقول : هذه النار التي كانوا يوعدون !.

الثاني : أن في بعض الأحاديث خروج النار من اليمن وفي بعضها من المشرق ، وفي بعضها ما يدل على خروجها من قرب المدينة ، وكله حق .

وقد ذكرنا في هذه الآثار أنها تخرج من أماكن متعددة .

فروى نعيم بن حماد [7] من طريق علي بن زيد بن جدعان عن رجل عن أبي

---

(١) « الفتن » (٧٥٩) .

(٢) في الأصل : « الحيل » وما أثبته من « الفتن » وقال : معناه : الطريق .

(٣) في الأصل : « الجواد » وما أثبته من « الفتن » .

(٤) « الفتن » (١٧٤٩) .

(٥) « الفتن » (١٧٤٥) مختصراً .

(٦) « الفتن » (١٧٤٣) .

(٧) في « الفتن » (١٧٥١ ، ١٧٦١) .

هريرة قال : « تخرج نار من قبل المشرق ، ونار أخرى من قبل المغرب [ق/ ٣٤ب] تحشران الناس بين أيديهم القردة ، يسيران بالنهار، ويكتمان بالليل حتى يجتمعا بجسر منبج .

وهذا كله يدل على أن الشام هي أرض المحشر والمنشر وأن الناس كلهم يجتمعون إليها في آخر الزمان ، ولذلك تسمى أرض الشام : أرض المحشر .

وفي المسند [(١)] عن أبي ذر قال : قال رسول الله ﷺ : « **كيف أنت إذا أخرجوك منه - يعني : مسجد المدينة - ؟فقلت : إذًا ألحق بالشام ، فإن الشام أرض الهجرة وأرض المحشر ، وأرض الأنبياء** » فذكر الحديث.

وخرج الطبراني [(٢)] والحاكم [(٣)] وغيرهما من حديث أبي ذر عن النبي ﷺ قال: « **صلاة في مسجدي هذا أفضل من أربع صلوات فيه - يعني : بيت المقدس - ولنعم المصلى هو أرض المحشر والمنشر ، وليأتين على الناس زمان ، ولبسطة قوسه من حيث يرى منه بيت المقدس أفضل وخير من الدنيا جميعًا** » .

وخرج الإمام أحمد [(٤)] وأبو داود [(٥)] وابن ماجه [(٦)] من حديث ميمونة مولاة رسول الله ﷺ قالت : « **قلت : يا رسول الله ، أفتنا في بيت المقدس ؟ قال : أرض المحشر والمنشر ائتوه فصلوا فيه ...** » وذكر الحديث .

وروى عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم «أن اليهود آتوا رسول الله ﷺ فقالوا : يا أبا القاسم، إن كنت [ق/ ١٣٥] صادقًا أنك نبي فالحق الشام ، فإن الشام أرض المحشر وأرض الأنبياء ! فصدق رسول الله ﷺ ما قالوا ، فغزا غزوة تبوك لا يريد إلا الشام ، فلما بلغ تبوك أنزل الله عليه آيات

---

(١) برقم (٦/ ٤٥٧) .
(٢) في « الأوسط » برقم (٦٩٧٩) ، ومسند الشاميين (٢٧١٤) .
(٣) في « المستدرك » (٤/ ٥٠٩) .
(٤) (٦/ ٤٦٣) .
(٥) برقم (٤٥٨) .
(٦) برقم (١٤٠٧) .

من سورة بني إسرائيل بعد ما ختم السورة : ﴿ وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ... ﴾ إلى قوله ﴿ تَحْوِيلاً ﴾ » [الإسراء : ٧٦ ـ ٧٧] .

فأمره الله ـ تعالى ـ بالرجوع إلى المدينة ، قال : فيه محياك ومماتك ، ومنها تبعث .

خرجه آدم بن أبي إياس في تفسيره عن عبد الحميد بمعناه(1) .

وفي مراسيل الحسن (2) قال : « نزلت قريظة على حكم سعد بن معاذ فقتل رسول الله ﷺ منهم ثلاثمائة وقال لبقيتهم : **انطلقوا إلى أرض المحشر ؛ فإني في آثاركم ـ يعني : أرض الشام ، فسيرهم إليها** » .

وفي صحة هذا عن الحسن نظر ؛ فإن قريظة قتلت مقاتلتهم ، وسبيت ذراريهم ، وإنما الذين سيروا إلى الشام بنو النضير ، وفيهم نزلت سورة الحشر .

وروى أبو سعيد (البقال) (3) عن عكرمة عن ابن عباس قال : « من شك أن المحشر ها هنا ، يعني : الشام ـ فليقرأ هذه الآية : ﴿ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الْحَشْرِ ﴾ [الحشر : ٢] .

قال : قال لهم رسول الله ﷺ يومئذ : اخرجوا . قالوا : إلى أين؟ قال : **إلى أرض المحشر** » .

وخرجه البزار (3) في مسنده ، وعنده : فقال [ق/ ٣٥ب] رسول الله ﷺ : « **هي أرض المحشر ـ يعني : الشام** » .

وروى نعيم بن حماد في كتابه عن يزيد بن أبي حكيم عن الحكم بن أبان

---

(١) أخرجه « البيهقي « في « الدلائل » (٥/ ٢٥٤) .
قال ابن كثير في تفسيره : « وفي هذا الإسناد نظر ، والأظهر أن هذا ليس بصحيح. . . » إلخ .

(٢) تاريخ دمشق (١/ ١٧١) .

(٣) في الأصل : « النقال » والصواب ما أثبته .

(٤) برقم (٣٤٢٦ ـ كشف) . قال الهيثمي في المجمع (١٠ / ٣٤٣) : رواه البزار وفيه أبو سعد البقال ، والغالب فيه الضعف .

عن عكرمة قال : يحشر الناس نحو الشام ، وأول من حشر من هذه الأمة بنو النضير .

وهذا فيه إشارة إلى أن الحشـر إلى الشام ليس هو مرة واحدة ، بل هو مرات كثيرة ، وأول ما وقع منه حشر بني النضير إليها.

ويدخل في ذلك خروج من خرج من الصحابة ، ومن بعدهم بَعْد.

وقد روى عن عامر بن عبد قيس أنه لما أخرج من البصرة كرها إلى الشام وكان راكبًا على بعيره ، قال : الحمد لله الذي حشرني راكبًا ، فجعل مسيره إلى الشام حشراً .

وقد ذكر أن النار التي خرجت بالحجاز ، وأضاءت منها أعناق الإبل ببصرى ، تكامل عقيبها خراب بلاد العراق على أيدي التتار ، وانتقل غالب خيار أهل العراق، بعد ذلك إلى الشام فهذا نوع من الحشر ، وهو حشر خيار الناس إلى الشام (وأما شرارهم) [1] فتحشرهم النار قسراً بعد قبض المؤمنين .

وحديث عبد الله بن عمرو صريح في هذا المعنى ، ولفظه :ستكون هجرة بعد هجرة ، ينحاز الناس إلى مهاجر إبراهيم لا يبقى في الأرض إلا شرار أهلها ، تلفظهم أرضوهم ، تقذرهم نفس الله ، تحشرهم النار مع القردة والخنازير ، تبيت معهم إذا باتوا [ق/ ١٣٦] وتقيل معهم إذا قالوا ، وتأكل من تخلف .

وفي رواية : « ستكون هجرة بعد هجرة ، تخرج خيار أهل الأرض إلى مهاجر إبراهيم ـ عليه السلام ـ هو الشام » .

قال قتادة في قوله عز وجل : ﴿ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي ﴾ [العنكبوت:٢٦].

قال : إلى الشام ، كان مهاجره . والله أعلم .

❊ ❊ ❊

---

(١) في الأصل : فالشرارهم ، وما أثبته هو الموافق للسياق .

الباب العاشر
ما ورد في فضل
دمشق بخصوصها وفيه فصول
الفصل الأول

فيما ورد من ذلك في القرآن :

قال الله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾ [المؤمنون: ٥٠] .

روى تمام الرازي [١] وغيره من حديث مسلمة بن علي ، حدثنا أبو سعيد الأسدي عن سليم بن عامر عن أبي أمامة عن النبي ﷺ أنه تلا هذه الآية : ﴿وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ [المؤمنون: ٥٠] قال : **هل تدرون أين هي ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال: هي بالشام ، بأرض يقال لها: الغوطة ، مدينة يقال لها : دمشق ، هي خير مدائن الشام »** .

إسناده ضعيف ؛ مسلمة بن علي ضعيف ، وشيخه لا يعرف .

وروي عن عكرمة عن ابن عباس « في هذه الآية قال : هي دمشق » .

وفي رواية عنه ، قال : « هي أنهار دمشق » .

ورواه أيضًا يحيى الأنصاري عن سعيد بن المسيب من قوله .

ورواه يحيى عن سعيد [ق/ ٣٦ب] عن عبد الله بن سلام .

وفي رواية عن سعيد قال : « هي دمشق ذات قرار ومعين الغوطة » .

---

(١) في فوائده (٩٨٩) .

وفي رواية رويناها في كتاب « فضائل الشام » لأبي الحسن الربعي[1] قال : «هي مسجد دمشق » .

وقال يزيد بن شجرة : « دمشق هي الربوة المباركة » .

عن قتادة عن الحسن « في هذه الآية قال : هي أرض ذات أشجار وأنهار ـ يعني : أرض دمشق » .

وعنه قال : « ذات معيشة تقوتهم وتحملهم وماء جارٍ » .

قال : « هي الربوة ، هي دمشق » .

وفي رواية عنه [2] قال : « ذات ثمار كثيرة وماء ، هي دمشق » .

وعنه قال : « هي الغوطة » .

وممن قال أن الربوة هي دمشق : خالد بن معدان ، وغيره من السلف.

وقالت طائفة : هي الرملة .

وروى عبد الرزاق [3] عن بشر بن (رافع) [4] أخبرني أبو عبد الله بن عم أبي [5] هريرة ، سمع أبا هريرة يقول في « قوله عز وجل : ﴿ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾ [المؤمنون: ٥٠] هي الرملة ، من فسلطين » .

بشر بن رافع ضعيف الحديث .

وخرج الطبراني [6] وغيره ، من رواية عباد بن عباد الرملي عن أبي زرعة السيباني عن أبي وعلة العكي عن كريب (السحولي)[7]، حدثني مرة البهزي

(١) برقم (٤١) .
(٢) في فضائل الشام برقم (٣٢) .
(٣) في « تفسيره » (٢/ ٤٦) .
(٤) في الأصل (نافع) : والتصويب من التفسير ، وسيذكره المصنف على الصواب .
(٥) في الأصل : أبو والمثبت هو الصواب نحويًا .
(٦) في « المعجم الكبير » (٢٠/ ٧٥٤) .
(٧) في الأصل : (النجولي) والتصويب من المعجم الكبير وكتب التراجم .

سمع النبي ﷺ يقول : « **لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على من ناوأهم ، وهم كالإناء بين الأكلة ، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك** . قلنا : يا رسول الله ، وأين هم؟ قال : **بأكناف بيت المقدس** .

[ق/ ١٣٧]قال : وحدثني أن الرملة هي الربوة . وذلك أنها مغربة ومشرقة .

كذا رواه زكريا بن نافع الأرسوفي ، ومحمد بن عبد العزيز البرمكي ، عن عباد ، وهو أبو عتبة الخواص الزاهد .

والظاهر أن قوله : وحدثني ، يشير به إلى مرّة ، فهو من كلام مرة ، ليس مرفوعًا .

ورواه رواد بن الجراح ـ وقد اختلط بأَخَرَة عن عبَّاد فرفعه .

ورواه هشام بن عمار حدثنا المغيرة بن المغيرة ، حدثنا يحيى بن أبي عمرو السيباني ـ وهو أبو زرعة ـ قال : مرض رجل من عك ، يقال له: الأقرع على عهد رسول الله ـ ﷺ ـ فأتى يعوده ، فقال له : « **إنك لا تموت ولا تدفن إلا بالربوة. فمات ودفن بالرملة ، فكانت عك إذا مات الرجل منهم بالأردن حمل ودفن بالرملة ـ مكان الأقرع** » .

وهذا مرسل.

وخرجه ابن منده في « معرفة الصحابة » بإسناد مجهول عن الأقرع بن [شفي العكي] (١) قال : « **دخل عليّ النبي ﷺ في مرض فقال : لتبقين ولتهاجرن إلى الشام ، وتموت وتدفن بالربوة من أرض فلسطين**» (٢).

ثم قال : رواه إسماعيل بن رشيد الرملي عن ضمرة بن ربيعة عن قادم بن

---

(١) في الأصل : صفي العلي والتصويب من الإصابة (١/ ٥٩) لابن حجر ونقل قول ابن السكن : لا نعرف من رجال هذا الإسناد أحداً .

(٢) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١/ ٢٠٠) من طريق ابن منده .

(ميسور)[1] القرشي عن رجال[2] من عك ، عن الأقرع .

قلت : خرجه آدم بن أبي إياس في تفسيره ، عن ضمرة عن قادم بن ميسور، قال: « مرض رجل من أهل عك [ق/ ٣٧ب] يقال له : الأقرع . . . » فذكره مرسلا.

وبتقدير صحة الحديث ، فلا يدل على أن هذه الربوة المذكورة في الحديث هي المذكورة في القرآن ، والله أعلم .

وقالت طائفة : الربوة المذكورة في القرآن : بيت المقدس .

قال قتادة فيما رواه مسكين بن بكير عن جرير بن حازم عنه ، فعلى هذه الأقوال الثلاثة ، الربوة المذكورة في القرآن هي من أرض الشام ، وقيل: إنها مصر .

روي عن وهب بن منبه : وقيل : الإسكندرية ، رواه عبد الرحمن بن زيد ابن أسلم عن أبيه .

وقيل : هي الكوفة ، وهو أضعف الأقوال وأردأها .

رواه أهل الكوفة من الشيعة عن جعفر الصادق وأبيه أبي جعفر ، ولا يصح غيرهما[3] إن شاء الله تعالى .

وقال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴾ [التين : ١ ـ ٣] .

فطور سنين : هو الطور الذي كلم الله ـ عليه موسى عليه السلام ـ والبلد الأمين : مكة ، وأما التين والزيتون ، اختلف في تفسيرهما.

وقد روي حديث مرفوع ، رواه محمد بن بيان بن مسلم ، حدثنا الحسن بن

---

(١) في الأصل : مسور ، والمثبت من « تاريخ دمشق » وجاء في العزو التالي على الصواب، في إسناد آدم بن أبي إياس .

(٢) في الإصابة لابن حجر (١/ ٥٩) : عن رجل .

(٣) كذا بالأصل ولعلها « عنهما » .

عرفة حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، عن مالك عن الزهري، عن أنس « أن النبي ﷺ فرح بنزول هذه السورة فرحًا شديداً ، قال: فسألنا ابن عباس عن تفسيرهما؟ فقال : التين : بلاد الشام ، والزيتون: بلاد فلسطين . . .» وذكر بقية الحديث .

[ق/ ٣٧ب] وهذا كذب لا مرية فيه .

قال الحافظ أبو بكر الخطيب (١): هذا الحديث بهذا الإسناد باطل لا أصل له، والرجال المذكورون في إسناده كلهم أئمة مشهورون غير محمد بن بيان ، ونرى العلة من جهته ومن أورد هذا الحديث بهذا الإسناد، فقد أغنى أهل العلم عن أن ينظروا في حاله ويبحثوا عن أمره ، يعني : أنه أبان عن كذبه ، وفضح نفسه.

وأشد من هذا نكرة ما خرجه الحافظ أبو القاسم الدمشقي (٢) من طريق أبي الفضل العباس بن منجور مولى أمير المؤمنين ، حدثنا أبو محمد المراغي حدثنا قتيبة حدثنا أبوعوانة، عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ وذكر حديثا طويلا ، وفيه : إن الله اختار من المدائن أربعة وهي البلدة والمدينة وهي النخلة ، وبيت المقدس وهي الزيتون ، ودمشق وهي التينة .

وقال : هذا حديث منكر [بمرة](٣) . وأبو الفضل والمراغي مجهولان.

قلت : هو موضوع لا شك في ذلك .

وروى عوف عن يزيد أبي عبد الله عن كعب قال : التين : مسجد دمشق ، والزيتون : بيت المقدس .

وروى عبد الرحمن بن أبي عمار عن كعب قال : التين : دمشق ، والزيتون: بيت المقدس .

وروى أبو حمزة العطار عن الحسن في ﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴾ قال : جبال ومساجد بالشام .

---

(١) في « تاريخ بغداد » (٢/ ٩٨) .

(٢) في « تاريخ دمشق » (١/ ٢١٠ ـ ٢١١) .

(٣) في الأصل : مرة . والصواب ما أثبتناه .

وعن خالد بن معدان في التين والزيتون ، [ق/ ٣٨ب] قال : دمشق .

وروى عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله : ﴿وَالتِّينِ﴾ ، قال : الجبل الذي عليه دمشق ، والزيتون : الذي عليه بيت المقدس .

وكذا قال خليد بن دعلج عن قتادة .

وروى سعيد بن بشير عن قتادة قال : التين : دمشق ، والزيتون : بيت المقدس .

وفي رواية أخرى قال : التين : مسجد دمشق ، والزيتون: مسجد بيت المقدس .

وعن الحكم قال : التين : دمشق ، والزيتون : فلسطين .

وعن الحارث بن محمد قال : التين : مسجد دمشق ، والزيتون : مسجد بيت المقدس .

وعن محمد بن كعب قال : أقسم الله عز وجل بأربعة مساجد ، التين : مسجد أصحاب الكهف ، والزيتون : مسجد إيلياء ، ومسجد الطور ، ومسجد الحرام .

وعن الربيع بن أنس قال : التين والزيتون : جبل عليه التين والزيتون.

وعن يزيد بن ميسرة قال : أربعة أجبل مقدسة : طور زيتا ، وطور سيناء ، وطور تيناء ، وطور تيمانا ، قال : فطور زيتا : طور بيت المقدس ، وطور سيناء: طور موسى ـ عليه السلام .

وطور تيناء : مسجد دمشق . وطور تيمانا : مكة يشرفها الله تعالى.

وقالت طائفة : المراد به التين والزيتون المأكولان .

روي عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة ، والكلبي وغيرهم .

وروى العوفي عن ابن عباس ، التين : مسجد نوح الذي بنى (على) [1]

---

(١) في الأصل : عليه ، والتصويب من تفسير الطبري (١٥/ ٢٣٩) .

الجودي ، وإسناده ضعيف .

ولا ريب أن لفظ القرآن يدل صريحًا [ق/ ١٣٩] يدل على التين والزيتون المأكولين ، كما قاله ابن عباس ومجاهد وغيرهما ، ولكنه قد يدل على مكانهما من الأرض بدليل أنهما قرنا [١] بمكانين شريفين ، وهما الطور والبلد الأمين ، وهذه البقاع هي أشرف بقاع الأرض ، ومنها ظهرت النبؤات العظيمة والشرائع المتبعة ، فعامة أنبياء بني إسرائيل كانوا من الشام ، وهي أرض التين والزيتون ، ومنها ظهرت نبوة عيسى - عليه السلام - وطور سيناء كلم الله منه (موسى عليه السلام)[٢] والبلد الأمين ، فمن ابتديء الوحي ، وإنزاله على محمد ﷺ وهذه النبوات الثلاث هي أعظم النبوات والشرائع .

ونظير ذلك ما ذكر في التوراة من قوله : جاء الله من طور سيناء ، وأشرق من ساعير ، واستعلن من جبال قاران .

وساعير : هي أرض بيت المقدس وما حوله ، وجبال قاران : مكة . فمن قال من المفسرين : إن التين والزيتون هما المأكولان فقوله صحيح باعتبار دلالة التين والزيتون على بقاعهما من الأرض ، فإن أرض الشام هي أرض التين والزيتون غالبًا .

ومن قال : التين : دمشق ، والزيتون : بيت المقدس ، وفلسطين ، فقوله : صحيح باعتبار أن دمشق وما حولها هي بلاد التين غالبًا . وفلسطين وبيت المقدس وبلاد الزيتون غالبًا .

ومن قال : المراد : جبل دمشق وجبل بيت المقدس ، فالجبل من جملة [ق/٣٩ب] أرض التين والزيتون .

ومن قال : المراد مسجد دمشق ومسجد بيت المقدس ، فهذان المسجدان هما أشرف بقاع أرض الشام ، والله أعلم .

---

(١) في الأصل قربا ولعل الصواب من أثبته .

(٢) زيادة ليست في الأصل والسياق يقتضيها .

وقد روينا في كتاب « فضائل الشام » [1] لأبي الحسن الرَّبعي بإسناد فيه نظر عن كعب أنه قال لواثلة بن الأسقع وهو يريد الخروج إلى بيت المقدس : تعال حتى أريك موضعًا من هذا المسجد - يعني : مسجد دمشق - من صلى فيه فكأنما صلى في بيت المقدس .

وبإسناد فيه نظر [2] أيضًا عن سفيان الثوري قال : الصلاة في بيت المقدس بأربعين ألف صلاة ، وفي مسجد دمشق بثلاثين ألف صلاة .

وبإسناده [3] عن هشام بن عمار ، حدثنا الحسن بن يحيى الخشني أن رسول الله ﷺ ليلة أسري به صلى في موضع مسجد دمشق .

والخشني لا يعتمد عليه.

وقال عز وجل : ﴿ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝٧ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴾ [الفجر : ٧ - ٨] . قد قيل : إنها دمشق .

قاله سعيد المقبري وخالد بن معدان .

وروى عن سعيد بن المسيب ، وعكرمة ولا يصح عنهما .

أما سعيد فهو من رواية إسحاق بن بشر عن [ابن] [4] إسحاق عمن يخبره عنه ، وإسحاق هذا كذاب مشهور .

وأما عكرمة فهو من رواية حفص بن عمر العدني عن الحكم بن أبان عنه . وحفص ضعيف جدًا .

وقال مالك : يقال إن إرم ذات العماد : دمشق .

[ق/ ١٤٠] ولكن جمهور المفسرين [والمحققين] [5] من العلماء على خلاف هذا القول ، على اختلاف بينهم في تفسيره يطول ذكره ها هنا والله أعلم .

---

(١) في فضائل الشام برقم (٦٥) .

(٢) في فضائل الشام برقم (٦٤) .

(٣) في فضائل برقم (٦٨) .

(٤) زيادة من تاريخ دمشق .

(٥) في الأصل : والمحققون ، والصواب نحويًا ما أثبته .

الفصل الثاني
فيما ورد في السنة والآثار من
أنها فسطاط المسلمين ومعقلهم في الملاحم

روى زيد بن أرطاة عن جبير بن نفير عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال : **«إن فسطاط المسلمين يوم الملحمة بالغوطة إلى جانب مدينة يقال لها : دمشق من خير مدائن الشام »** .

خرجه أبو داود [١] وغيره ، وخرجه الطبراني [٢] ، وعنده : **« فهو خير مساكن يومئذ »** .

وخرجه الحاكم [٣] وعنده : خير منازل المسلمين يومئذ وقال : صحيح الإسناد. وفي رواية في هذا الحديث : **« يوم الملحمة الكبرى »** .

قال إبراهيم بن الجنيد : سمعت يحيى بن معين وقد ذكروا عنده أحاديث من ملاحم الروم فقال يحيى : ليس من حديث الشاميين شيء أصح من حديث [صدقة بن خالد] [٤] يعني : حديث أبي الدرداء عن النبي ﷺ **« معقل المسلمين أيام الملاحم دمشق »** .

وروى عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه عن عوف بن مالك قال: **«قال لي رسول الله ﷺ : يا عوف ، اعدد ستًا بين يدي الساعة ، أولهن : موتي .**

---

(١) برقم (٤٢٩٨) .

(٢) في « مسند الشاميين » (١٣١٣) .

(٣) في « المستدرك » (٤/ ٤٨٦) .

(٤) سقطت من الناسخ واستدركتها من سؤالات ابن الجنيد برقم (٥٦٦) .

فاستبكيت حتى جعل يُسكتني ، [ق/ ٤٠ب] ثم قال لي: [احدى] [1] ، فقلت : [احدى][1] قال : والثانية : فُتح بيت المقدس، قل : ثنتان . قلت : ثنتان . (فقال)[2]: والثالثة : موتان يكون في أمتي يأخذه [مثل] [2] قعاص الغنم ، قل : ثلاث ، قلت : ثلاث. قال : والرابعة : فتنة تكون في أمتي وعظمها ، قل : أربع . فقلت: أربع . قال: والخامسة : يفيض فيكم المال حتى إن الرجل ليعطى المائة دينار فيسخطها ، قل : خمس . فقلت : خمس . قال : والسادسة هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر ، فيسيرون إليكم على ثمانين غاية تحت كل غاية اثني عشر ألفًا ، ففسطاط المسلمين يومئذ في أرض يقال لها : الغوطة في مدينة يقال لها :دمشق » .

خرجه الطبراني[3] وغيره .

وخرجه البخاري في « صحيحه » [4] من طريق أبي إدريس عن عوف بمعناه . . . إلى قوله : « اثنى عشر ألفا » ، ولم يذكر ما بعده .

ورواه بعضهم : راية - بالراء - وهما بمعنى .

وقيل : إنه رُوي : « غياية » يعني : السحابة .

ورواه بعضهم غابة - بباء موحدة ، وهي الأجمة ، وهو بعيد من المعنى .

وقال أبو القاسم الدمشقي [5] الحافظ : وكلا القولين في إسناده صحيح قول من قال عن جبير عن أبي الدرداء ، وقول من قال عن جبير عن عوف.

واستدل بما خرجه الإمام أحمد [6] من حديث أبي بكر بن أبي مريم عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه ، قال : حدثنا أصحاب محمد [7] [ق/ ٤١] ﷺ

(١) في الأصل : « اجدر » والتصويب من المعجم الكبير للطبراني .
(٢) من المعجم الكبير
(٣) في « المعجم الكبير » (١٨/ برقم ٧٢) .
(٤) برقم [٣١٧٦] .
(٥) في « تاريخ دمشق » (١/ ٢٢٤) .
(٦) (٤/ ١٦) .
(٧) في المسند حدثنا رجل من أصحاب محمد وفي « تاريخ دمشق » و« أطراف المسند » ما=

أن رسول الله ﷺ قال : ستفتح عليكم الشام ؛ فإذا اخترتم المنازل منها فعليكم بمدينة يقال لها : دمشق ، فإنها معقل المسلمين من الملاحم ، وفسطاطهم منها بأرض يقال لها : الغوطة » .

وخرجه الإمام أحمد (١) من وجه آخر بهذا الإسناد ، إلا أنه قال فيه : عن رجل من أصحاب محمد ﷺ .

ورواه مكحول عن جبير بن نفير مرسلا .

ورواه بعضهم عن مكحول عن النبي ﷺ مرسلا من غير ذكر جبير.

وروى الوليد بن مسلم ، حدثني سعيد بن عبد العزيز أن من أدرك من علمائنا كانوا يقولون : « تخرجون أهل مصر من مصرهم إلى ما يلي المدينة ، ويَخْرُجُ أهل فلسطين والأردن إلى مشارف البلقاء وإلى دمشق ، ويخرج أهل الجزيرة وقنسرين ، وحمص إلى دمشق .

وذلك ما كان حدثنا به سعيد عن مكحول عن النبي ﷺ قال : « فسطاط المؤمنين ، يوم الملحمة الكبرى بالغوطة مدينة يقال لها : دمشق » .

ورواه أبو القاسم البغوي حدثنا [أبو نصر] (٢) التمار ، عن سعيد بن عبدالعزيز عن مكحول عن معاذ عن النبي - ﷺ - وروينا بإسناد مجهول لا يصح عن جعفر بن محمد بن علي بن حسين عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ نحوه. وزاد : ومعقلهم [ق/ ٤١ب] من الدجال بيت المقدس ، ومعقلهم من يأجوج ومأجوج الطور .

رواه محمد بن علي بن حسين عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ للمسلمين ثلاث معاقل فمعقلهم من الملحمة الكبرى التي تكون بعمق أنطاكية دمشق ،

= يوافق الأصل ، وسيأتي عزو « أحمد » عند المصنف ابن رجب بعد ذكره لمتن الحديث.

(١) (٥/ ٢٧٠) .

(٢) في الأصل : « أبو نصير » والتصويب من تاريخ دمشق .

ومعقلهم من الدجال بيت المقدس ، ومعقلهم من يأجوج ومأجوج طور سيناء .

و [. . .] [1] مشهور بالكذب والوضع ، ولا يصح هذا الحديث من هذا الوجه .

وقد روي من وجوه أخر مرسلة .

رواه الوليد بن مسلم ، حدثنا [حفص] [2] بن غيلان [أبو مُعَيد] [3] عن حسان بن عطية ، قال ذكر رسول الله ﷺ كيف تجوز الأعداء أمته من بلد إلى [بلد] [4] .

فقالوا : يا رسول الله ، هل من شيء به قال نعم الغوطة ، مدينة يقال لها : دمشق ، فسطاطهم ومعقلهم من الملاحم ، لا ينالهم عدو إلا منها ، قال حفص: يقول : لا ينالهم عدو لهم إلا منها من الأمة ، وهو يوم دخلها عبد الله بن علي بجنوده .

وروى ابن أبي خيثمة [5] بإسناده عن يحيى بن جابر الطائي أن رسول الله ﷺ قال : « للمسلمين ثلاثة معاقل؛ فمعقلهم من الملاحم : دمشق ، ومعقلهم من الدجال : بيت المقدس ، ومعقلهم من يأجوج ومأجوج : الطور».

وقد روي هذا عن كعب من قوله ، قال : معقل المسلمين من الملاحم دمشق، ومعقلهم من الدجال نهر أبي قطرس [6] وفي رواية [ق/ ١٤٢] عن كعب قال: « الأردن ، ومعقلهم من يأجوج ومأجوج الطور».

وقال الأوزاعي : بلغني أن بالشام واديًا يقال له :الغوطة فيه مدينة يقال لها :

(١) بياض بالأصل .
(٢) في الأصل : « جعفر » والتصويب من تاريخ دمشق .
(٣) في الأصل : « أبو معبد » والتصويب من التقريب ، وهي كنية حفص بن غيلان.
(٤) بياض بالأصل ، واستدركتها من تاريخ دمشق .
(٥) ومن طريقه ابن عساكر (١/ ٢٢٩) .
(٦) قال في القاموس المحيط : فطرس ، بالضم رجل ، ومنه نهر فطرس ، ويقال : أبي فطرس قرب الرملة ، مخرجه من جبل قرب نابلس .

دمشق ، هي خير مدائن الشام يوم الملاحم .

وروينا في كتاب « فضائل الشام »[1] للربّعي ، من حديث واثلة بن الأسقع مرفوعًا : « **ستكون دمشق في آخر الزمان أكثر المدن أهلا ، وهي لأهلها معقل ، وأكثره أبدالا ، وأكثره مساجد ، وأكثره زهاداً ، وأكثره مالا وأكثره رجالا ، وأقله رجالا وأقله كفاراً** » .

وذكر حديثا طويلا لا يصح ، إسناده واه .

ومن حديث مكحول [2] عن عبد الله بن سلام قال : « دمشق معقل الناس في آخر الزمان من الملاحم » .

ومن حديث هشام بن عمار [3] قال : سمعت من رفع الحديث إلى وهب بن منبه سمع ابن (عباس)[4] سمع النبي ﷺ يقول : « **اجتمع الكفار يتشاورون في أمري ـ فقال رسول الله ﷺ : ـ يا ليتني بالغوطة بمدينة يقال لها : دمشق حتى آتي الموضع ـ مستغاث الأنبياء ـ حيث قَتَلَ ابن آدم آخاه ، فأسأل الله أن يهلك قومي ، فأتى جبريل فقال : يا محمد ، ائت بعض جبال مكة فأسأل الله أن يهلك قومي فأتى جبريل ، فقال : يا محمد ائت بعض جبال مكة ، فأوِ [إلى][5] بعض غاراتها ؛ فإنها معقلك من قومك** » .

هذا منكر جداً ، ولا يدري ممن سمعه هشام بن عمار .

وذكر أبو القاسم الدمشقي الحافظ [6] بإسناد له عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم عن عمرو بن جابر الحضرمي ، قال : سمعت جابر بن عبد الله الأنصاري يقول : من سكن دمشق نجا ، فقلت : عن رسول الله ﷺ قال : أفعن رأي

---

(١) فضائل الشام برقم (٧٦) .

(٢) فضائل الشام برقم (٨٥) .

(٣) فضائل الشام برقم (٩٩) .

(٤) في الأصل : « عياش » ، والتصويب من تاريخ دمشق .

(٥) ليست في الأصل ، واستدركتها من تاريخ دمشق .

(٦) في « تاريخ دمشق » (١/ ٢٣١) .

احد؟!

قلت : إسناده فيه ضعف .

وحديث ابن لهيعة ، حدثنا عبد الرحمن بن شريح عن يزيد بن أبي حبيب [عن] [1] أبي سالم الجيشاني أنه قال « لعبد الله بن عمرو بن العاص ـ اختر لي ، فقال له : عليك بالفحص ـ قال : وهي الغوطة ـ فإنها فسطاط المسلمين ، ثم قال: عليك بمدينة الأسباط ـ يعني : بانياس ـ فإن العافية تجوزها ، كما يجوز السيل الدمن » [2].

ومن طريق عبد الرحمن بن سابط [3] قال : قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص : إن منزلي قد نبا بي بالعراق والحجاز فخر لي ؟ قال : أرضى لك ما أرضى لنفسي ولوالدي عليك بدمشق ، ثم عليك بمدينة الأسباط بانياس؛ فإنها مباركة السهل والجبل ، وإن البركة عشر بركات ، خص الله بانياس من ذلك: ببركتين ، وإذا وقعت الفتن كانت بها أخف منها في غيرها ، فوالله لفدَّان بها أحب إليّ من عشرين بالوهط . والوهط بالطائف .

ومن طريق عبد الله بن حكيم [4] عن عبد الله بن عمرو قال : « ما أودُّ أن لي مصر و(كنوزها) [5] بعد (الخمسين ، ومائه) [6] أسكنها ، ولدمشق خير لو كنتم تعلمون .

[ق/ ١٤٣] ومن طريق ابن لهيعة [7] عن سليم بن عبد الرحمن أخبرني نافع بن كيسان الدمشقي قال : لقيت يزيد بن شجرة فقلت : إني أردت أن آتي فلسطين .

---

(١) ليست في الأصل ، وهي في تاريخ دمشق .
(٢) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١/ ٢٢٩) .
(٣) تاريخ دمشق (١/ ٩٠ ، ٢٣٥ ـ ٢٣٦) مختصراً .
(٤) تاريخ دمشق (١/ ٢٣٠) .
(٥) هكذا في الأصل وفي تاريخ دمشق (١/ ٢٣٠) « كورها » .
(٦) في الأصل الحسين ومنه التصويب من تاريخ دمشق .
(٧) « تاريخ دمشق » (١/ ٢٣٠) .

قال : لا تفعل ؛ فإني أحدثك في دمشق أحاديث ليست في غيرها ، إن خيل الناس إذا اضطربت كانت عصمتهم ، وإن أهلها مدفوع عنهم ، وإنه لا ينزل بأرض جوع ولا بلاء ولا فتنة إلا خفف ذلك عنهم.

ومن حديث ابن مُحَيْرِيز [(١)] ، قال : قال لي رويفع بن ثابت الأنصاري، وكان من أصحاب الشجرة : اسكن فلسطين ، ما استقامت العرب ، فإذا نادوا بشعار الجاهلية ، فاسكن دمشق وشرقها خير من غيرها .

وروى نعيم بن حماد [(٢)] بإسناده عن مكحول قال : لتمخرنّ الروم الشام أربعين صباحًا ، لا يمتنع منها إلا دمشق وعمان .

وبإسناده [(٣)] عن [أبي الأعيس عن عبد الرحمن بن سلمان] [(٤)] قال: سيأتي ملك من ملوك العجم يظهر على المدائن كلها إلا دمشق .

وروى أبو الشيخ الأصبهاني [(٥)] بإسناده عن أبي الزاهرية عن كعب قال: لن تزالوا بخير ما لم يركب أهل الجزيرة أهل قنسرين ، وأهل قنسرين أهل حمص، فيومئذ تكون الجفلة ويفزع الناس إلى دمشق .

وفي كتاب «الفتن» [(٦)] لنعيم بن حماد بإسناده عن كعب أنه قال لمعاوية : ليغشين الناس [ق/ ٤٣ب] بحمص أمر يفزعهم من الجفلة حتى يخرجوا منها مبادرين قد تركوا دنياهم خلفهم حتى [يموت منهم] [(٧)] ما بين باب دمشق إلى ثنية العقاب

---

(١) « تاريخ دمشق » (١/ ٢٣١) .
(٢) « الفتن » برقم (١٢٥٧) .
(٣) « الفتن » برقم (١٢٥٨) .
(٤) في الأصل : أبي الأعمش عن عبد الرحمن بن سليمان ، وهو خطأ ، والصواب ما أثبته . قال الحافظ في التقريب : أبو الأعيس ، فتح التحتانية قبلها مهملة ساكنة وآخره مهملة ، الخولاني الشامي ، لقبه عبيد ، مشهور بكنيته .
(٥) ومن طريقه ابن عساكر (١/ ٢٣٣) .
(٦) برقم (١٣٠٢) .
(٧) هكذا في الأصل ، وفي « الفتن » : حتى إن المرأة لتخرج تتبعها جاريتها حتى تنزع رداءها تقول : أين أين ؟!! وحتى يموت منهم .

سبعون ألفًا من العطش .

وبإسناده عن كعب [1] قال : يهلك ما بين حمص وثنية العقاب سبعون ألفا من الوغا - يعني : العطش - فمن أدرك ذلك منكم فعليه بالطريق الشرقي من حمص إلى سربك ومن سربك إلى حميراء ، أو من حميراء إلى الدخيرة ومن الدخيرة إلى النبك ، ومن النبك إلى القطيفة ، ومن القطيفة إلى دمشق ، فمن أخذ هذه الطريق لم يزل في مياه متصلة .

وقال نعيم [2] حدثنا أبو المغيرة صفوان حدثنا بعض مشايخنا قال : جاء رجل نعرفه خليف للخير حسن [ننظر إليه] [3] كأنه يلتمس العلم فقال : هل لكم علم بسوسية ، قالوا : نعم . قال : وأين هي ؟ قلنا : خربة نحو البحر . قال :هل فيها عين يهبط إليها بدرج وماء بارد عذب ؟ قالوا : نعم . قال : فهل إلى جانبها حصن خرب ؟ قالوا : نعم .

قلنا : ومن أنت يا عبد الله ؟ قال : أنا رجل من أشجع .

قالوا : فما بال ما ذكرت قال : تقبل سفن الروم في البحر حتى ينزلوا قريبًا من تلك العين [فيخربون] [4] سفنهم ، فيبعث الله إليهم أهل دمشق، فيمكثون ثلاثًا يدعونهم الروم على أن يخلو لهم البلد ، فيأبون عليهم فيقاتلوهم [ق/ ٤٣ ب] المهاجرون فيكون أول يوم القتل في الفريقين كلاهما ، واليوم الثاني على العدو ، والثالث يهزمهم الله ، فلا يبلغ سفنهم منهم إلا أقلهم، وقد [خربوا] [5] سفنا كثيرة، وقالوا : لا نبرح هذا البلد فيهزمهم الله وصف المسلمون يومئذ بحذاء البرج

---

(١) في الفتن برقم (١٣٠٤) .

(٢) في الفتن برقم (١٢٩٧) .

(٣) هكذا في الأصل، وفي «الفتن » لنعيم بن حماد: « جاءنا رجل وأنا نازل عند ختن لي بعرقة فقال : هل من منزل الليلة ؟ فأنزلوه ، فإذا برجل خليق للخير حين تنظر إليه» .

(٤) هكذا في الأصل ، وفي الفتن « يحرقون » .

(٥) هكذا في الأصل ، وفي الفتن لنعيم : « حرقوا » .

[الخرب][1] فبينما هم على ذلك قد هزم الله عدوهم حتى يأتي آت من خلفهم فيخبرهم أن أهل قنسرين قد أقبلوا مقبلين إلى دمشق ، وأن الروم قد حكمت عليهم ، وكان موعد منهم في البر والبحر فيكون معقل المسلمين يومئذ بدمشق.

سوسية ذكر صاحب كتاب « معجم البلدان » [2] . أنها كورة بالأردن لعلها من بلدان السواحل الخربة في ناحية الغور . والله أعلم .

وروينا في كتاب « فضائل الشام » [3] لأبي الحسن الربعي - بإسناده - عن [عبد السلام التنوخي] [4] حدثنا أشياخنا أنهم لما فتحوا دمشق في أيام عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وجدوا حجراً في جيرون مكتوب عليه باليونانية ، فجاءوا برجل يوناني فقرأه فإذا فيه مكتوب : دمشق جبارة ، لا يهم بها جبار إلا قصمه الله ، الجبابرة تبني ، والقرود تخرب ، الآخر شر إلى يوم القيامة .

❊ ❊ ❊

(١) في الأصل : الجنوب وما أثبته من « الفتن » .

(٢) في الأصل : عبد الله المذحجي وما أثبته من « فضائل الشام للربعي » .

(٣) (٥/ ١٧٥) .

(٤) برقم (٤٠) .

فصل
وقد ورد في تخريب دمشق ما نحن ذاكروه [ق/ ٤٤ب] ومثبتون معناه

فروى عبد العزيز بن المختار ، عن خالد الحذاء ، عن أبي قلابة عن أبي أسماء عن ثوبان عن النبي ﷺ قال : « تجيء رايات سود من قبل المشرق كأن قلوبهم زبر الحديد، فمن سمع بهم فليأتهم ، ولو حبواً على الثلج حتى يأتوا مدينة دمشق ، فيهدمونها حجراً حجراً ، ويقتلوا بها أبناء الملوك . . .» وذكر الحديث .

وهذا الحديث قد رواه الثوري وغيره ، عن خالد الحذاء ، ولم يذكروا فيه هذه الزيادة .

وقد خرجه الإمام أحمد [١] من حديث علي بن زيد عن أبي قلابة . وخرجه ابن ماجه [٢] والحاكم [٣] من حديث الثوري وفيه ذكر المهدي ، وقد كان إسماعيل ابن علية ينكر هذا الحديث .

قال عبد الله بن الإمام أحمد في كتاب « العلل » [٤] : حدثنا أبي قال : قيل لابن علية في هذا الحديث كان خالد يرويه فلم يلتفت إليه، ضعّف ابن علية أمره، يعني : حديث خالد عن أبي قلابة عن أبي أسماء عن ثوبان «في الرايات السود ».

---

(١) (٥/ ٢٧٧) .
(٢) برقم (٤٠٨٤) .
(٣) في « المستدرك » (٤/ ٤٦٣ ـ ٤٦٤) .
(٤) برقم (٢٤٤٣) .

وإن صح فقد وقع ذلك عند ظهور بني العباس على دمشق ، ودخول عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس إليها ، فإنه هدم سورها ، وقتل بها مقتلة عظيمة من بني أمية وأتباعهم .

وقد ذكر الحافظ أبو القاسم [(١)] بإسناده ، عن يحيى بن حمزة ، قال : قدم عبدالله بن علي [ق/ ١٤٥] إلى دمشق ، وحاصر أهلها ، فلما دخلها هدم سورها فوق منها حجر كان عليه مكتوب باليونانية ، ويل إرم الجبابرة ، من رامك بسوء قصمه الله ، إذا وهي مثل جيرون الغربي من باب البريد ، ويل من الخمسة أعين، نقض سورك على يديه بعد أربعة آلاف سنة تعيشين رغداً ، فإذا وهي مثل جيرون الشرقي إذ ويل لك ممن تعرض لك.

قال : فوجدنا الخمسة أعين عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب .

وذكر أيضًا [(٢)] من طريق علي بن أبي طلحة عن كعب قال : إن الله خلق (الدنيا) [(٣)] بمنزلة الطائر ، فجعل الجناحين للمشرق والمغرب ، وجعل الرأس الشام، وجعل رأس الرأس حمص وفيها المنقار ، فإذا [نقف][(٤)] المنقار ويتأفف الناس وجعل الجؤجؤ : دمشق وفيها القلب ، فإذا تحرك القلب تحرك الجسد والرأس ضربتان : ضربة من الجناح الشرقي وهي على دمشق ، وضربة من الجناح الغربي وهي على حمص ، وهي أثقلهما ، ثم يقبل الرأس على الجناحين، فينتفهما ريشة ريشة .

وبإسناده عن كعب [(٥)] أيضًا قال : ويل للجناحين من الرأس ، وويل للرأس من الجناحين ، يرددها ثلاثا ، فالرأس الشام ،والجناحان المشرق والمغرب .

---

(١) ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١/ ١٥) .
(٢) (١/ ١٩٢) .
(٣) في الأصل : آدم ، والتصويب من تاريخ دمشق .
(٤) في الأصل : انفت ، وما أثبته من « تاريخ دمشق » .
(٥) في تاريخ دمشق (١/ ١٩٣) .

وهذا أيضا يراد به ما وقع من عبد الله بن علي لما دخل إلى دمشق [ق/ ٤٥ ب] من بلاد المشرق .

فأما الفتن الواقعة من قبل المغرب ، فإنما يخشى منها على حمص .

وروى ابن أبي خيثمة حدثنا عبد الوهاب بن نجدة ، حدثنا جنادة بن مروان عن أبيه قال : سمعت الأشياخ يقولون : أسعد الناس بالرايات السود من أهل الشام أهل دمشق وأسعد الناس بالرايات الصفر من أهل الشام أهل حمص.

وهذا أيضا إشارة إلى ما وقع من بني العباس عند دخولهم دمشق.

وروى ابن أبي خيثمة [١] بإسناده عن بشر بن غنم قال : لتهدمن مدينة دمشق حجراً حجراً .

قال الحافظ أبو القاسم [٢] : ولعله أراد بذلك ما وجد من هدم عبد الله بن علي سورها لما فتحها .

وفي كتاب « العلل » لأبي بكر الخلال [٣] بإسناد ضعيف عن الشعبي قال: تخرج من خراسان رايات سود يدعون إلى ولد فلان ، يعني : العباس [فلا] [٤] ترد لهم راية حتى يأتوا مسجد دمشق فيلقونه حجراً حجراً ، ثم لا يزال الملك فيهم حتى يخرج السفياني .

وذكر أن الإمام أحمد نهى أن يحدث بهذا وبأحاديث أخر من الملاحم .

قال الخلال [٥] : وأخبرنا [المروذي] [٦] قال : سمعت أبا عبد الله يقول: كتب إليّ يعني : المتوكل أن اكتب إليّ بما صح عندك من الملاحم فكتبت إليه : ما

---

(١) ومن طريقه ابن عساكر (١/ ١٨٧) .

(٢) في « تاريخ دمشق » (١/ ١٨٧) .

(٣) في « المنتخب من العلل » لابن قدامة برقم (٢٠٤) .

(٤) زيادة من المطبوع .

(٥) في « المنتخب من العلل » لابن قدامة المقدسي برقم (٢٠٠) .

(٦) في الأصل : المروزي ، والصواب ما أثبتناه .

صح عندي منها شيء .

وقد سبق حديث أبي معيد [ق/ ١٤٦] حفص بن غيلان عن حسان بن عطية المرسل في دمشق ، وأنهم لاينالهم عدو إلا منها وتفسير أبي معيد له بأن دمشق لا يسلط عليها إلا من هذه الأمة وأنه أريد ما نالها عند دخول بني العباس إليها .

والله المسئول أن يحقق ظن هؤلاء الأئمة ورجاءهم لدمشق أن لا يعيد الله عليها ما كان حصل لها عند دخول بني العباس إليها ، فإنه عند حسن ظن عباده به بمنه وكرمه .

وقد كان عبد الله بن سيار الكذاب المفتري يزعم أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ أخبره أنه يدخل دمشق ، ويهدم مسجدها حجراً حجراً . وهذا مما كان يفتريه عليه ابن سيار ، فإن الثابت عن علي أنه نهى عن سب أهل الشام ، وأخبر أن فيهم الأبدال ، وقال عند حربه لأهل الشام كلامًا فيه تورية ، فإن الحرب خدعة فلم يفهمه من سمعه منه ، فحرفه .

كما روى أمية بن خالد ، حدثنا أبو محصن عن شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي الطفيل قال : سمعت عليًا يقول بمسكن: لا أغسل رأسي بغسل حتى آتي البصرة فأحرقها ثم أسوق الناس بعصاي إلى مصر . قال : فأتيت أبا مسعود فأخبرته فقال : إن عليًّا يورد الأمور مواردها ، ولا تحسنون أن تصدروها [ق/ ١٤٦] على أن يغسل رأسه بغسل ، ولا يأتي البصرة ولا يحرقها ولا يسوق الناس بعصاه إلى مصر على رجل أصلع رأسه مثل الطست إنما حوله مثل الشعرات ـ أو قال: زغيبات [(١)] .

وروى نعيم بن حماد [(٢)] عن أبي المغيرة عن إسماعيل بن عياش ، أخبرني بعض أهل العلم عن محمد بن جعفر قال : سئل علي بن أبي طالب عن السفياني، فقال : هو من ولد خالد بن يزيد بن أبي سفيان رجل ضخم الهامة

---

(١) « تاريخ بغداد » (١/ ١٩٩) .

(٢) في « الفتن » برقم (١٩٧٦) .

بوجهه آثار جدري ، وبعينه نكتة بياض ، خروجه خروج المهدي ، ليس بينهما سلطان ، هو يدفع الخلافة إلى المهدي ، يخرج من الشام من واد من أرض دمشق يقال له : وادي اليابس ، يخرج في سبعة نفر ، مع رجل منهم لواء معقود يتعرفون في لوائه النصر، يسير بين يديه على ثلاثين ميلا ، لا يرى ذلك العلم أحد يريده إلا انهزم ، يأتي دمشق فيقعد على منبرها ويدني الفقهاء والقراء ، ويضع السيف في التجار وأصحاب الأموال ، ويستصحب القراء ، ويستعين بهم على أموره ، لا يمتنع منهم أحد إلا قتله . . . وذكر بقية الخبر .

وهذا إسناد غير صحيح . والله أعلم .

* * *

الفصل الثالث
فيما ورد في أن دمشق خير بلاد الشام في آخر الزمان وأن أهلها خير أهل الشـــام

[ق/١٤٧] قد سبق حديث (هي)[١] من خير مدائن الشام .

وقد روى : « هي خير مدائن الشام » .

كذا رواه مكحول وغيره عن جبير بن نفير مرسلا .

وروي : خير مساكن المسلمين يومئذ .

وقد ذكرنا في أوائل الكتاب قول أبي الدرداء لما أمره معاوية أن يرجع من دمشق إلى حمص : يا معاوية أتأمرني بالخروج من عقر دار الإسلام ؟!

وروى ابن أبي خيثمة بإسناده[٢] عن شريح بن عبيد أن معاوية سأل كعب، فقال : حمص أعجب إليك أم دمشق ؟

قال : بل دمشق . قال : ولم ؟ فقال كعب : مربض ثور في دمشق خير من دار عظيمة في حمص .

وروى بإسناد آخر له[٣] : أن معاوية قال لكعب : ما ترى في حمص وطيبها؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، لموضع من دمشق (صغير)[٤] أحب إليّ من

---

(١) في الأصل ، وفي المطبوع : « أنها » ، وكتب في الهامش: في الأصل غير مقروءة.
(٢) ومن طريقه ابن عساكر (١/ ٢٣٦) .
(٣) ومن طريقه ابن عساكر (١/ ٢٣٦ ـ ٢٣٧) .
(٤) في الأصل : صغيرة ما أثبته من المطبوع وهو الأصوب .

دار بحمص . قال : ولِمَ ذلك ؟

قال : لأنها معقل الناس في الملاحم .

قال : لا جرم ،(لا تركب بها حرمة) [1] .

روى الحافظ أبو القاسم[2] عن الزهري عن ربيعة بن عبد الله بن المهدي قال: منزل في دمشق خير من عشر منازل في غيرها في أرض حمص ، ومنزل داخل دمشق خير من عشر منازل بالفراديس ، وإياك وأرباضها فإن في سكناها الهلاك .

وبإسناده [3] عن يونس بن ميسرة بن حلبس [ق/ ١٤٧] أن رجلا سكن طبرية بعياله شهراً ، فكفاهم فيها عشرة أمداد من قمح ، ثم تحول إلى دمشق، فكفاهم فيها خمسة أمداد من قمح .

وبإسناده [4] عن عبد الرحمن بن يزيد (بن) [5] جابر قال : قلت لأبي سلام الأسود: ما تملك من حمص إلى دمشق ؟

قال : بلغني أن البركة تضاعف بها ضعفين .

وبإسناده [6] عن مكحول أنه سأل رجلا : أين تسكن ؟ قال : الغوطة، فقال له مكحول : ما يمنعك أن تسكن دمشق فإن البركة بها مضاعفة .

وبإسناده [7] عن عبيد بن يعلي - رجل من أهل بيت المقدس كان بعسقلان، وكان عالما - أنه قال لرجل : ارحل من فلسطين والْحَقْ بدمشق ؛ فإن بركات الشام كلها مسوقات إلى دمشق .

---

(١) « في تاريخ دمشق » : لا تركت لها حرمة .

(٢) « في تاريخ دمشق » (١/ ٢٣٧) .

(٣) « في تاريخ دمشق » (١/ ٢٣٧) .

(٤) « في تاريخ دمشق » (١/ ٢٣٨) .

(٥) في الأصل : « أن » والتصويب من تاريخ دمشق وكتب التراجم .

(٦) « في تاريخ دمشق » (١/ ٢٣٨) .

(٧) « في تاريخ دمشق » (١/ ٢٣٨) .

وبإسناده عن جابر [1] بن أزد الحمصي قال : حُدثنا أنه سيأتي على الناس زمان لمربض ثور من دمشق خير من دار عظيمة بحمص ، وإنها لمعقل المسلمين .

وبإسناده عن كعب [2] قال : كل ما يبنيه العبد في الدنيا يحاسب به العبد يوم القيامة إلا بناء في دمشق .

وقال ابن أبي خيثمة : حدثنا هارون بن معروف ، حدثنا ضمرة حدثنا السيباني قال : كان نوف البكالي إماما لأهل دمشق، فكان إذا أقبل على الناس بوجهه قال : من لا يحبكم فلا أحبه الله [ق/ ٤٧ ب] ومن لا يرحمكم فلا رحمه الله.

وروى عثمان بن أبي العاتكة عن سليمان بن حبيب عن أبي هريرة عن النبي ﷺ : « إذا كانت الملاحم خرج من دمشق بعث من الموالي هم خير عباد الله ، أبعثهم فرسًا وأجوده سلاحا » .

وفي رواية : « هم أكرم العرب فرسًا وأجودهم سلاحًا ، يؤيد الله بهم الدين».

وقد خرجه الحاكم [3] ، وقال : صحيح على شرط الشيخين . وليس كما قال ؛ فإن عثمان بن أبي العاتكة ليس بالقوي .

وخرجه ابن ماجه [4] ، ولكن ليس في روايته : « من دمشق » .

وروى أبو بكر بن أبي مريم عن عطية بن قيس قال : قال رسول الله ﷺ «إذا وقعت الملاحم خرج بعث من دمشق خير عباد الله الأولين والآخرين » .

وهذا مرسل .

---

(١) في تاريخ دمشق (١/ ٢٣٨) .

(٢) « في تاريخ دمشق » (١/ ٢٣٩) .

(٣) في « المستدرك » (٤/ ٥٤٨) . وقال الحاكم : صحيح على شرط البخاري ، ورمز له الذهبي في التلخيص بـ « م » أي على شرط مسلم .

(٤) برقم (٤٠٩٠) .

وروى الحافظ أبو القاسم [1] بإسناده عن ابن محيريز قال : خير فوارس تظل السماء : فوارس من قيس يخرجون من غوطة دمشق ، يقاتلون الدجال.

وروى نعيم بن حماد في كتابه [2] : حدثنا الوليد عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن كعب قال : يا معشر قيس ، أخبر يمنًا [3] ، ويا معشر اليمن ، أخبر قيسًا، فيوشك أن لا يقاتل على هذا الدين غيركما .

قال الأوزاعي : بلغني أن رسول الله ﷺ . قال : « **قيس فرسان الناس يوم الملاحم ، واليمن رجال الإسلام** » .

[ق/ ٤٨ب] وخرج عبد الرزاق [4] في كتابه بإسناد صحيح عن حذيفة بن اليمان قال: إن قيسا لا تزال تبغي دين الله شرًّا حتى [يركبها] [5] الله بملائكة فلا يمنعوا ذنب [تلعة] [6] ، ثمَّ فإذا رأيت قيسا توالت الشام فخذ حذرك .

وروى بإسناد [7] فيه نظر عن عائشة « أنها «سألت النبي ﷺ يوم الأحزاب : كيف بنا يا رسول الله لو اجتمعت علينا اليمن مع هوازن ، وغطفان ؟

فقال النبي ﷺ: **كلا ، أولئك قوم ليس على أهل هذا الدين منهم [بأس]** [8]» .

وخرج الخطابي في « غريب الحديث » [9] بإسناد فيه ضعف عن غالب بن الأبجر مرفوعًا : « **إن لله فرسانًا من أهل السماء مسوَّمين ، وفرسانًا من أهل الأرض معلَّمين ، ففرسانه من أهل الأرض قيس ، إن قيسا ضِراَءُ الله** » .

---

(١) في « تاريخ دمشق » (١/ ٢٦٠) . (٢) « في الفتن » (١٤٠١) .

(٣) « في الفتن » : أحبي .

(٤) وهو في « الجامع » لمعمر بن راشد برقم (١٩٨٨٩/ مع المصنف) .

(٥) في الأصل غير مقروءة وما أثبته من المطبوع و« الجامع » و« الفتن » .

(٦) أي أسفلها ، أي يذلها الله حتى لا تقدر على أن تمنع ذيل تلعة « انظر الفائق للزمخشري » (٢/ ٢٤٨) .

(٧) برقم (١٩٨٩٢) .

(٨) ما بين المعقوفتين من الجامع لمعمر ، وقد سقط من الناسخ .

(٩) (١/ ٣٩٥) .

الضِّرَاءُ : جمع ضِرْو ، وهو ما أبيح بالفرائس من السباع وبالصيد من الكلاب .

واعلم أن العرب كانت من قديم الزمان تنقسم إلى فريقين : العدنانية والقحطانية، فمن كان من ولد معد بن عدنان يقال في الواحد منهم : عدناني ، وقيسي ، ونزاري ، وخِنْدِفيٌّ .

ويقال لمن انتسب إلى ما دون عدنان من القبائل : مضري ، أو ربيعي، أو قرشي ، وغير ذلك بحسب القبائل التي ينتسب إليها ولد معد بن عدنان.

ومن كان من ولد قحطان يقال له : [ق/ ١٤٩] يمني ، ويقال لهم: يمن. ولا خلاف أن معد بن عدنان من ولد إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام ، وأما قحطان فالأكثرون على أنهم ليسوا من ولد إسماعيل ، بل كان جدهم : قحطان قبل إسماعيل عليه السلام بكثير .

ومن الناس من يقول : بل هو من ولد إسماعيل ، ويزعم أن العرب كلها من ولد إسماعيل عليه السلام .

وكان بين العدنانية والقحطانية تباين كثير من زمن الجاهلية ، وكانت العدنانية تفتخر على القحطانية ، فإنهم كانوا أشرف منهم وبقيت هذه الأحقاد في أولادهم متوراثة .

ولما مات سفيان الثوري أوصى إلى رجل من كندة يصلي عليه ، فقالت بنو تميم : يماني يصلي على مضري ! فقيل لهم : أوصى ، بذلك فخلوا سبيله ! والله أعلم .



الفصل الرابع
فيما ورد في نزول عيسى ابن مريم عليهما السلام في آخر الزمان عند دمشق

روى النواس بن سمعان عن النبي ﷺ قال : « ينزل عيسى ابن مريم على المنارة البيضاء شرقي دمشق » .

وفي رواية : « عند المنارة » .

وهذا قطعة من حديث طويل فيه ذكر الدجال ، ويأجوج ومأجوج ، خرجه مسلم في صحيحه بتمامه [1] .

[ق/ ١٤٩] وروى محمد بن شعيب بن شابور حدثنا يزيد بن عبيدة ، حدثني أبو الأشعث عن أوس بن أوس الثقفي أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : **« ينزل عيسى ابن مريم عند المنارة البيضاء شرقي دمشق »** [2] .

ورواه بعضهم عن محمد بن شعيب بهذا الإسناد ، وشك هل هو عن النبي ﷺ أو عن كعب ؟ ورجح أبو حاتم الرازي[3] قول من قال عن أوس عن كعب .

وقال : يزيد بن عبيدة لا بأس به .

وروى الوليد بن مسلم ، حدثني ربيعة بن ربيعة عن نافع بن كيسان عن أبيه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : **« ينزل عيسى ابن مريم عند المنارة البيضاء**

---

(١) برقم (٢١٣٧) .

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (١/ ٥٩٠) . قال الهيثمي في المجمع (٨/ ٢٠٥) : رواه الطبراني ورجاله ثقات .

(٣) « في العلل » لابنه (٢/ ٤٢٢) .

شرقي دمشق »[1] .

وفي مسند الإمام أحمد[2] من حديث الحسن عن سمرة عن النبي ﷺ قال : «يجيء عيسى عليه السلام من قبل المغرب مصدقا بمحمد ﷺ وعلى ملته، فيقتل الدجال ، ثم إنما هو قيام الساعة » .

وهذا يؤيد ما ذكرناه من قبل (أن)[3] المغرب يراد به الشام .

وروى صفوان بن عمرو عن شريح بن عبيد عن كعب قال : يهبط المسيح - عليه السلام - عند القنطرة البيضاء على باب دمشق الشرقي تحمله غمامة ، واضع يديه على منكبي ملكين[4] .

وروى سعيد بن عبد العزيز عن شيخ له [ق/ ٤٩ب] أنه سمع (ابن عباس)[5] الحضرمي قال : يخرج عيسى ابن مريم عند المنارة عند باب الشرقي ثم يأتي مسجد دمشق حتى يقعد على المنبر ، ثم يخرج يتبع الدجال بمن معه من أهل دمشق ، ثم يأتي ببيت المقدس وهي مغقلة قد حصرها الدجال ، فيأمر بفتح الأبواب ويتبعه حتى يدركه بباب لُدٍّ . . . وذكر بقية الحديث .

وروى أبو اليمان عن الجراح عمن حدثه عن كعب قال : ينزل عيسى عند المنارة التي عند باب دمشق الشرقي ، ويسير إلى من في بيت المقدس من المسلمين.

وقد جاء من حديث أبي أمامة وغيره ما قد يشعر بأن عيسى ينزل ببيت المقدس، وليست أسانيدها بالقوية .

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في « الآحاد والمثاني » (٢٦٤٠) ، وابن قانع في «معجم الصحابة » (٣/ ١٤١) برقم (١١٥) .

(٢) (٥/ ١٣) .

(٣) زيادة يستقيم بها المعنى .

(٤) أخرجه نعيم بن حماد في « الفتن » (١٥٩) .

(٥) كذا في الأصل « ابن عباس » ، وفي هامش تاريخ دمشق (١/ ٢٢٨) كتب المحقق في « خع » ابن عائش ، أي في نسخة خطية .

ويتعين حملها ـ على تقدير صحتها ـ على أنه يأتي بمن معه من المؤمنين إلى بيت المقدس من دمشق ، كما قاله ابن عباس وكعب ، جمعا بينها وبين حديث النواس المخرج في الصحيح .

وظاهر ما تقدم من الأحاديث والآثار يدل على أن عيسى عليه السلام ينزل عند باب مدينة دمشق الشرقي.

وقد ذهبت طائفة إلى أنه ينزل عند المنارة البيضاء شرقي مسجد دمشق الجامع، وهو مخالف للظاهر ، والله أعلم .



الفصل الخامس
فيما ورد في أن دمشق من مدن الجنة

روى الوليد بن محمد الموقري عن الزهري عن سعيد بن المسيب [ق/ ١٥٠] عن أبي هريرة عن النبي ﷺ : « أربع مدائن في الدنيا من الجنة : مكة والمدينة، وبيت المقدس ، ودمشق ، وأربع مدائن من النار : رومية ، وقسطنطينية ، وأنطاكية المحترقة، وصنعاء » .

وفي رواية : « القسطنطينية ، والطوانة ، وأنطاكية المحترقة وصنعاء » (١) .

وقال : « إن المياه [المقدسة] (٢) والرياح اللواقح من تحت صخرة بيت المقدس » .

قال ابن عدي (٣) : هذا حديث منكر ، لا يرويه عن الزهري غير الموقري . كذا قال .

وقد روي بإسناد غريب عن محمد بن مسلم الطائفي عن الزهري نحوه ، وليس بمحفوظ ، وفيه ذكر مدائن النار : القسطنطينية وطبرية وأنطاكية المحترقة وصنعاء .

وصنعاء هذه قيل أنها غير صنعاء اليمن وأنها بأرض الروم ، وأنطاكية

---

(١) أخرجه ابن عدي في الكامل (٧/ ٧٣) ومن طريقه السمعاني في« فضائل الشام » (١٩)، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١/ ٢٠٩ ـ ٢١٠) . قال العلامة الألباني في « تخريج أحاديث فضائل الشام » للربعي : حديث موضوع ، في إسناده الوليد بن محمد الموقري ، قال ابن حبان وغيره : روى عن الزهري أشياء موضوعة لم يروها الزهري قط .

(٢) كذا بالأصل وفي الكامل (٧/ ٧٣) وتاريخ دمشق (١/ ٢١٠) : العذبة .

(٣) في « الكامل » (٧/ ٧٣) .

المحترقة: بأرض الروم ، أحرقها العباس بن الوليد بن عبد الملك .

والمعروف أن هذا الحديث موقوف على كعب .

وروى بقية بن الوليد عن يزيد بن عبد الله الخولاني عن كعب قال : خمس مدائن من مدائن الجنة : بيت المقدس ، وحمص ، ودمشق ، وبيت جبرين وظفار اليمن .

وخمس مدائن من النار : القسطنطينية ، والطوانة ، وأنطاكية ، وتدمر ، وصنعاء ـ صنعاء اليمن .

وكذا رواه محمد بن عبد الله الشعيثي عن يزيد الخولاني إلا أنه [ق/ ٥٠ب] ذكر في مدائن النار « عمورية » بدل « الطوانة » .

وروى سفيان الثوري عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن عبد الله بن عمرو ، قال : الجنة مطوية في قرون الشمس بدمشق في كل عام.

وقد روي عن كعب أن أهل كل مدينة من مدائن الشام لهم في الجنة خصوصية يختصون بها .

وروى عروة بن رويم عن كعب أنه لقي رجلا ، فقال له :من أين أنت؟ قال: من أهل الشام . فقال له كعب : فلعلك من الجند الذين يشفع شهيدهم في سبعين ؟

قال : ومن هم ؟ قال : أهل حمص . قال : لا .

قال : فلعلك من الجند الذين يعرفون في الجنة بثياب خضر ؟ قال : ومن هم؟ قال : أهل دمشق . قال: لا .

قال : فلعلك من الجند الذين في ظل العرش ؟ قال : ومن هم ؟ قال : أهل الأردن . قال : لا .

قال : فلعلك من الجند الذين ينظر الله عز وجل إليهم في كل يوم مرتين؟ قال : ومن هم ؟ قال : أهل فلسطين . قال : نعم .

وفي رواية في هذا الخبر عن كعب أنه قال في أهل حمص : يدخل الجنة منهم سبعون ألفًا بغيرحساب ولا عذاب .

وهذا قد روي مرفوعًا . خرجه الإمام أحمد [1] بإسناد ضعيف ، عن عمر ابن الخطاب ، « **سمعت النبي ﷺ يقول في حمص : ليبعثن الله منها يوم القيامة سبعين ألفًا لا حساب عليهم ولا عذاب** » .

[ق/ ١٥١] وخرج أيضًا [2] بإسناد ضعيف عن أنس عن النبي ـ ﷺ ـ قال : «**عسقلان أحد العروسين ، يبعث الله منها يوم القيامة سبعون ألفا لا حساب عليهم**».

وروينا في « فضائل الشام » [3] للربعي عن كعب قال في مقبرة باب الفراديس: يبعث منها سبعون ألف شهيد يشفعون كل إنسان في سبعين.

وفي مسند الإمام أحمد [4] من رواية ابن لهيعة حدثنا [الحارث بن يزيد] [5] عن أبي مصعب قال : قدم رجل من أهل المدينة شيخ ،فسألوه ، فأخبرهم أنه يريد المغرب ، وقال : سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول : «**سيخرج ناس إلى المغرب يأتون يوم القيامة ، وجوههم على ضوء الشمس** » .

وقد سبق أن المغرب يراد به في كلام النبي ﷺ : الشام وما وراءها إلى مغرب الشمس .

---

(١) (١/ ١٩) .

(٢) (٣/ ٢٢٥) . وقال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٦١) : وفيه أبو عقال هلال بن يزيد ابن يسار ، وثقه ابن حبان وضعفه الجمهور ، وبقية رجاله ثقات ، وفي إسماعيل بن عياش خلاف . وقال ابن الجوزي في الموضوعات (٢/ ٥٤) : وأما حديث أنس فجميع طرقه تدور على أبي عقال ، واسمه هلال بن يزيد بن يسار قال ابن حبان : يروي عن أنس أشياء موضوعة ما حدث بها قط ، لا يجوز الاحتجاج به بحال .

(٣) برقم (٨٧) .

(٤) (٣/ ٤٢٤) .

(٥) في الأصل : أبو الحارث عن يزيد . والتصويب من المسند (٣/ ٤٢٤) ، وأطراف المسند لابن حجر (٨/ ٣٥٥) .

فصل

وقد ورد في فضل أماكن كثيرة بالشام أشياء لم نذكرها ، لأن الغرض من هذا الكتاب كان ذكر دمشق وفضلها وحفظها ، ولكن نختم الكتاب بذكر نبذة من فضائل بيت المقدس فإنه عين الشام ، وواسطة عقد النظام ، وقد صنف العلماء في فضله تصانيف كثيرة ، وممن أفرد فضله بالتصنيف أبو الفرج بن الجوزي ، وأبو محمد القاسم بن عساكر .

[ق/ ١٥ب] ولو استقصينا ما ورد في فضله لطال الكتاب ، وإنما نقتصر على ذكر أعيان الأحاديث المرفوعة في فضله دون الآثار والإسرائيليات . والله الموفق.

قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ في فضله : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ ﴾ .[الإسراء: ١].

وفي الصحيحين [١] عن جابر أن النبي ﷺ قال : « لما كذبني قريش قمت في الحجر ، فجلى الله لي بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته، وأنا أنظر إليه » .

وخرج مسلم [٢] من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « لقد رأيتني في الحجر ، وقريش تسألني عن مسراي فسألوني عن أشياء من بيت المقدس ، لم أثبتها، فكربت كربًا ما كربت مثله قط ، فرفعه الله لي أنظر إليه ، فما سألوني عن شيء إلا أنبأتهم به » .

وفي صحيح البخاري [٣] عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ . [الإسراء: ٦٠] .

---

(١) « أخرجه البخاري » (٣٨٨٦ ، ٤٧١٠) ، و« مسلم » (١٧٠) .
(٢) برقم (١٧٢) .
(٣) برقم (٤٧١٦) .

قال : هي رؤيا عين (أوتيها) [1] النبي - ﷺ - ليلة أسري به إلى بيت المقدس.

وفي مسند الإمام أحمد [2] عن عمر بن الخطاب أنه قال لكعب : أين ترى أن أصلي ؟ يعني : في بيت المقدس ، فقال : إن أخذت عني صليت خلف الصخرة، فكانت القدس كلها بين يديك .

فقال عمر - رضي الله عنه - : [ق/ ١٥٢] ضاهيت اليهود ولكن أصلي حيث صلى رسول الله ﷺ فتقدم إلى القبلة فصلى .

وخرج الإسماعيلي [3] في « مسند عمر » ولفظه : أن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « **صليت ليلة أسري بي في مقدم المسجد ، ثم دخلت إلى الصخرة التي في بيت المقدس ، فإذا أنا بملك قائم معه آنية ثلاث ...** » وذكر بقية الحديث .

وقد أنكر حذيفة بن اليمان - رضي الله عنه - أن يكون النبي - ﷺ - صلى في بيت المقدس وقال : لو صلى فيه لكتب عليكم الصلاة فيه ، كما كتب عليكم الصلاة في المسجد الحرام .

ومال إلى قوله طائفة من العلماء ، منهم أبو بكر الخلال من أصحابنا ، وخالفهم الأكثرون في ذلك .

وفي الصحيحين [4] عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال : « **لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدي هذا ، والمسجد الأقصى** ».

---

(١) كذا بالأصل ، وفي صحيح البخاري : أريها .

(٢) (١/ ٣٨) .

(٣) أورد إسناده ابن كثير في مسند الفاروق » (١/ ٣٣١) وابن رجب في « فتح الباري» (٤/ ٦٤ - ٦٥) قال ابن كثير : هذا حديث غريب جدًّا .

(٤) أخرجه « البخاري » (١١٨٨ ، ١١٩٧ ، ١٨٦٤ ، ١٩٩٥) و« مسلم » (٨٢٧) .

وفي رواية أخرجها الإمام أحمد [1] : « لا ينبغي للمطي أن تشد رحاله إلى مسجد يبتغى فيه الصلاة غير المسجد الحرام ، والمسجد الأقصى ، ومسجدي هذا» .

وفي رواية [2] له أيضا ـ ولأبي يعلي الموصلي في مسنده [3] :«لا تشدوا رحال المطي إلى مسجد يذكر الله فيه إلا إلى ثلاثة مساجد . . . » فذكره.

وفي الصحيحين [4] عن أبي هريرة [ق/ ٥٢ب] عن النبي ﷺ قال: « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، والمسجد الأقصى ، ومسجدي » .

وقد روي هذا الحديث عن النبي ﷺ من رواية جماعة من الصحابة والمعنى متقارب .

ولكن في رواية خرجها الطبراني [5] وغيره : ذكر مسجد الخيف بدل المسجد الأقصى ، وليس ذلك بمحفوظ .

وكان سفيان بن عيينة يروي حديث أبي هريرة بلفظ : « تشد الرحال إلى ثلاثة مساجد »، ثم يقول : « لا تشدوا إلا إلى ثلاثة مساجد سواء».

كذا رواه الإمام أحمد [6] عنه ، وما قاله ابن عيينة أن اللفظين بمعنى سواء، فليس كما قال .

وخرج ابن ماجه [7] والنسائي [8] من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ قال : « لما فرغ سليمان بن داود ـ عليهما السلام ـ من بناء بيت المقدس سأل الله ثلاث : حكمًا يصادف حكمه، وملكًا لا ينبغي لأحد من بعده، وأن لا يأتي

---

(١) (٣/ ٦٤) .
(٢) (٣/ ٩٣) .
(٣) برقم (١٣٢٦) .
(٤) أخرجه « البخاري » (١١٨٩) ، ومسلم (١٣٩٧) .
(٥) في « المعجم الأوسط » (٥١٠٦) .
(٦) (٢/ ٢٣٨) .
(٧) برقم (١٤٠٨) .
(٨) (٢/ ٣٤) .

هذا المسجد أحد لا يريد إلا الصلاة فيه إلا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه . فقال النبي ﷺ : أما اثنتان فقد أعطيهما ، وأرجو أن يكون أعطي الثالثة » .

وروى أبو ذر أن النبي - ﷺ - ذكر له الصلاة في بيت المقدس ، فقال: «نعم المصلى ، هو أرض المحشر [ق/ ١٥٣] والمنشر ».

خرجه الطبراني [(١)] والحاكم [(٢)] ، وقال : صحيح الإسناد .

وعن ميمونة مولاة النبي ﷺ قالت : « قلت يا رسول الله : أفتنا في بيت المقدس . قال : أرض المحشر والمنشر ، ائتوه فصلوا فيه ؛ فإن صلاة فيه كألف صلاة في غيره. قلت : أرأيت إن لم أستطع أن أتحمل إليه ؟ قال: فتهدي له زيتًا يسرج فيه ، فمن فعل ذلك فهو كمن أتاه » .

خرجه الإمام أحمد [(٣)] وابن ماجه [(٤)] .

وخرجه أبو داود [(٥)] ولم يذكر : « فإن الصلاة فيه كألف صلاة في غيره».

وإسناده قوي ؛ لأن رواته ثقات . لكن قد قيل : إن إسناده منقطع ، وفي متنه نكارة .

وقد تأول الأوزاعي آخر الحديث . قال الوليد بن مسلم : ذكرت للأوزاعي هذا الحديث فقال : أوصى الله إلى نبي من أنبياء بني إسرائيل أن مر بني إسرائيل أن يكثروا في مساجدهم النور . قال : فظنوا إنما يراد به المصابيح فأكثروها ، وإنما يراد به العمل الصالح .

خرجه ابن أبي خيثمة ، فحمل الأوزاعي تنويره بكثرة الصلاة فيه والذكر ، ولكن لفظ الحديث يأبى ذلك لمن تأمله ؛ فإن هذا لا يرسله إليه العاجز عن إتيانه.

---

(١) في « المعجم الأوسط » (٦٩٧٩ ، ٨٢٢٦) .
(٢) في « المستدرك » (٤/ ٥٠٩) .
(٣) (٦/ ٤٦٣) .
(٤) برقم (١٤٠٧) .
(٥) برقم (٤٥٨) .

والله أعلم .

وروى الواقدي في كتاب « المغازي » حدثني إبراهيم بن يزيد [ق/ ٥٣ب] هو الخوزي عن عطاء بن أبي رباح قال : « قالت ميمونة زوج النبي ﷺ : إني جعلت على نفسي إن فتح الله عليك مكة أن أصلي في بيت المقدس ! فقال رسول الله ﷺ : **لا تقدرين على ذلك ، تحول بينك وبينه الروم** . قالت : آتي بخفير يقبل بي ويدبر . قال : **لا تقدرين على ذلك ، ولكن ابعثي بزيت يستصبح لك به فيه فكأنك أتيتيه** . فكانت ميمونة تبعث إلى بيت المقدس كل سنة بمال يشترى به زيت يستصبح به في بيت المقدس حتى ماتت ، فأوصت بذلك » .

وهذا مرسل ضعيف .

وروى هشام بن (عمار) [١] حدثنا أبو الخطاب الدمشقي حدثنا [رزيق][٢] الألهاني عن أنس عن النبي ﷺ قال : « **صلاة الرجل في بيته صلاة ، وصلاته في مسجد القبائل بخمس وعشرين صلاة ، وصلاته في المسجد الذي يجمع فيه بخمسمائة صلاة ، وصلاته في المسجد الأقصى بخمسين ألف صلاة ، وصلاته في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة** » .

خرجه ابن ماجه [٣] .

وقال الحافظ [أبو] [٤] نصر بن ماكولا : هو حديث منكر ، ورجاله مجهولون، وقد رُوي عن أنس نحوه ، من طرق كلها لا تثبت ، وفي بعضها «صلاته في مسجد الأقصى بألف صلاة » .

---

(١) في الأصل : « عمارة » وهو خطأ ظاهر ، والتصويب من سنن ابن ماجه ، وهو من شيوخه الذين أكثر من الرواية عنهم في سننه .

(٢) في « الأصل :« زريق » ، والتصويب من « سنن ابن ماجه » . قال ابن ماكولا في الإكمال (٤/ ٤٨) : ورزيق الألهاني أبو عبد الله . وقال الشيخ المعلمي في التعليق : يرى صاحب التوضيح أن هذا هو رزيق بن عبد الله الرواي عن أنس . وهو كما قال.

(٣) برقم (١٤١٣) .

(٤) سقطت من الناسخ ، وهي كنية ابن ماكولا صاحب الإكمال .

[ق/ ١٥٤] وروى مقاتل عن الضحاك عن ابن عباس مرفوعًا ، في حديث ذكره: « **صلاة الرجل في بيت المقدس بألف صلاة** » .

وهو إسناد ضعيف جداً.

وروى سعيد بن سالم القداح عن سعيد بن بشير عن إسماعيل بن عبيد الله عن أم الدرداء [عن أبي الدرداء] [١] عن النبي ﷺ قال : « **فضل الصلاة في المسجد الحرام على غيره مائة ألف صلاة ، وفي مسجدي ألف صلاة ، وفي بيت المقدس خمسمائة صلاة** » .

خرجه البزار في مسنده [٢] . وقال: إسناده حسن ، انتهى .

القداح ضعفوه ، وسعيد فيه لين .

وروى ابن عدي [٣] من طريق أبي حية الكلبي [٤] ـ وفيه ضعف ـ عن عثمان ابن الأسود عن مجاهد عن جابر عن النبي ـ ﷺ ـ قال : «**الصلاة في المسجد الحرام مائة ألف صلاة ، والصلاة في مسجدي ألف صلاة ، والصلاة في بيت المقدس خمسمائة صلاة** » .

وخرج الإمام أحمد [٥] وأبو داود [٦] وهذا لفظه ـ وابن ماجه [٧] من حديث أم سلمة عن النبي ﷺ قال : « **من أهل بحجة أو عمرة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، [أو]**[٨] **وجبت له الجنة** » . شك بعض رواته أيهما قال .

---

(١) سقط من الناسخ واستدركته من « كشف الأستار » .

(٢) برقم (٤٢٢ ـ كشف) .

(٣) في « الكامل » (٧/ ٢١٣) .

(٤) لعله يحيى بن أبي حية ، وسقط من الأصل « يحيى بن » وهو هكذا في الكامل لابن عدي.

(٥) (٦/ ٢٩٩) .

(٦) برقم (١٧٣٨) .

(٧) برقم (٣٠٠١) .

(٨) في الأصل : «و » وما أثبته من سنن « أبي داود » .

وروى عثمان بن عطاء [ق/ ٥٤ب] عن أبي عمران عن ذي الأصابع قال: «قلنا يا رسول الله : إن بعدك ابتلينا بالبقاء ، أين تأمرنا ؟ قال: **عليك ببيت المقدس، فلعله إن تعش لك ذرية يغدون إلى ذلك المسجد ويروحون** » .

خرّجه عبد الله بن الإمام أحمد في المسند (١) .

وأبو عمران هذا شامي ، قال البخاري (٢) وأبو أحمد (٣) : اسمه : سليم. وعثمان بن عطاء الخراساني فيه ضعف .

وقد اختلف عليه في إسناده ، فرواه عنه ضمرة بن ربيعة عن أبي عمران عن ذي الأصابع كما ذكرناه ، وخالفه محمد بن شعيب بن شابور، فرواه عن عثمان ابن عطاء عن [زياد] (٤) بن أبي سودة أنه حدثه عن أبي عمران . . . فذكره .

وخرج الإمام أحمد (٥) من حديث جنادة بن أبي أمية حدثنا رجل من أصحاب النبي - ﷺ - سمع النبي - ﷺ - يخطب وهو يذكر الدجال، فقال : **يمكث في الأرض [أربعين] (٦) صباحًا ، يبلغ فيها كل منهل، لا يقربن أربعة مساجد : مسجد الحرام ، ومسجد المدينة ، ومسجد الطور، ومسجد الأقصى** ، وذكر الحديث .

وخرجه أيضًا (٧) من حديث سمرة بن جندب عن النبي ﷺ أنه ذكر الدجال فقال : **إنه سوف يظهر على الأرض كلها إلا الحرم ، وبيت المقدس [وإنه يحصر المؤمنين في بيت المقدس] (٨) [ق/ ٥٣ب] فتزلزلوا زلزالا شديداً ، ثم يهلكه الله عز**

---

(١) (٤/ ٦٧) .
(٢) في « التاريخ الكبير » (٤/ ١٢٥) .
(٣) أبو أحمد الحاكم في « الكنى » كما نقله الحافظ في « التهذيب » .
(٤) في الأصل : « زيادة » والتصويب من التقريب لابن حجر وغيره من كتب التراجم.
(٥) (٥/ ٤٣٤ ـ ٤٣٥) .
(٦) في الأصل : « أربعون » .
(٧) (٥/ ١٦) .
(٨) زيادة من « المسند » .

وجل . . . وذكر الحديث بطوله.

وهذا آخر ما وجد بخط المصنف ، عفا الله عنه وغفر له ورحمه ورضي عنه ونفع به ، آمين .

بأصله ما صورته :

علقه لنفسه العبد الفقير إلى ربه اللطيف : علي بن محمد بن إبراهيم العفيف، الحنبلي الجعفري ـ عفا الله عنه وغفر لوالديه ولمشايخه وإخوانه ـ بمنه وكرمه .

وذلك في رابع عشرين صفر سنة ثمانمائة والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيراً .

وحسبنا الله ونعم الوكيل

وكان الفراغ من رقم هذه الأحرف البالية ، باليد الفانية في أواخر شهر جمادى الأول المنتظم في سلك سنة ثلاث وعشرين وألف من الهجرة المحمدية على صاحبها الصلاة والسلام .

بأصله ما صورته :

وجد أيضًا بخط شيخنا المصنف ـ رحمه الله تعالى ـ قال : قال الخلال في الجامع : كراهية البناء حول سور المدينة . حدثني أحمد بن محمد ابن مطر ثنا أبو طالب قال : سألت أبا عبد الله قال : قلت : ثابت كان لا يدع خلف الخندق شيئًا كراهية ستر العدو في الرمي والسهام فاليوم قد بنوا المساجد والبناء . قال : إذا كان هذا ضرر للمسلمين فلا .

[ق/ ٥٥ب] حدثنا أبو بكر المروزي قال : قيل لأبي عبد الله : قد بنى مروان هذا الخندق وبيوت الروم يتترسون بهذه البيوت يلقونها في الخندق فيسدون الخندق فكره نزولها.

وقال الجوزجاني في كتاب « الترحم » : حدثنا إسماعيل بن سعيد ، هو الشلنجي قال : سألت أحمد بن حنبل : هل يبنى على خندق مدينة المسلمين مسجد للمسلمين عامة ؟ قال : لا بأس بذلك إذا لم يضيق الطريق .

وقال أبو أيوب يعني :سليمان بن داود الهاشمي : لا بأس بذلك إلا أن يكون في الثغور مخافة العدو . وبه قال أبو خيثمة . قال الجوزجاني: أقول كما قال أحمد ، ثم قال : إذا كان الخندق للمسلمين ، وهم في دار أمن ، فلا بأس أن يتخذ فيه مسجد للعامة ، وإن كانت الدار بإزاء دار الحرب وفي بناء المسجد على الخندق تغرير بالمسلمين فترك ذلك ، والاجتماع مع المسلمين يضرهم ، وترك التغرير بهم فرقًا من كمين أن يكون للعدو ميل . والله أعلم .

ووجد أيضًا بخطه رحمه الله ـ قال ابن أبي خيثمة : ثنا هارون قال : قيل لأبي هريرة : ما يمنعك من التحويل إلى الشام ، لعله إنما يمنعك منها طاعونها ؟ قال : لبراغيثها أهم من طاعونها ، وفي كتاب : «فضائل الشام » لأبي الحسن الربعي بإسناده عن أبي حازم المدني قال : براغيث الشام تنفي خطاياهم .

آخره والحمد لله وحده .

* * *


استنشاق
نسيم الأنس من
نفحات رياض القدس



[ق/ ١٢] بسم الله الرحمن الرحيم

رب يسر وأعن يا كريم

[قال الشيخ الإمام العالم العلامة الأوحد ، شيخ الإسلام والسنة ، قامع البدعة ، بقية السلف الصالح ، وعمدة الخلف : أبو الفرج عبد الرحمن بن الشيخ الإمام القدوة أبي العباس أحمد بن رجب الحنبلي ـ رضي الله عنه وجزاه عن الأمة خيراً] .

الحمد لله الذي فتح على قلوب أحبابه من فيح محبته ، فعبق فيهم نشره وفاح ، وشرح صدور أوليائه بنور معرفته ؛ فأشرق عليهم نوره ولاح ، أحياهم بين رجائه وخشيته ، وغذاهم بولائه ومحبته ؛ فلا تسأل عما هم فيه من السرور والأفراح، فسبحان من ذكره قوت القلوب وقرة العيون وسرور النفوس وروح الحياة وحياة الأرواح ، وتبارك الذي من خشيته تتجافي عن المضاجع الجنوب ، وبرجاء رحمته تتنفس عن نفوس الخائفين الكروب ، وبروح محبته تطمئن القلوب وترتاح ، ما طابت الدنيا إلا بذكره ومعرفته ، ولا الآخرة إلا بقربه ورؤيته ، فلو احتجب عن أهل الجنة لاستغاث أهل الجنة في الجنة كما يستغيث أهل النار في النار ، وأعلنوا بالصياح ، كل قلوب تألهت سواه فهي فاسدة ليس لها صلاح ، وكل صدور خلت من هيبته وتقواه فهي ضيقة ليس لها انشراح ، وكل نفوس أعرضت عن ذكره فهي مظلمة الأرجاء والنواح ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ﴾ [النور : ٣٥] .

أحمده ونشر ذكره كلما نشر فاح ، وأشكره ، ومزيده على الشاكرين يتجدد بالغدو والرواح .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك ، له شهادة استمدها سلاحًا على الأعداء ، فنعم الجنة ونعم السلاح ، واستعدها مفتاحا لباب دار البقاء ، فما للجنة

سواها مفتاح ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، بعثه مفصحًا بتوحيده أي إفصاح، موضحًا لعبيده سبيل الهدى كل الاتضاح ، فلم يزل ﷺ يعرف بالله حتى يعرف توحيده في جميع النواح ، ويخوف بالله حتى لانت القلوب القاسية وصلحت كل (الفلاح) [1] [*] ويذكر بآلاء الله حتى انشرحت القلوب بمحبته أعظم انشراح ، وصلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة تكون سببًا للفلاح ، فحي على الصلاة وحي على الفلاح.

أما بعد ؛ فإن الله ـ تعالى ـ خلق الخلق وأوجدهم لعبادته الجامعة لخشيته ورجائه ومحبته كما قال تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات : ٥٦] وإنما يعبد الله ـ سبحانه ـ بعد العلم به ومعرفته ، فبذلك خلق السموات والأرض وما فيهما للاستدلال بهما على توحيده وعظمته كما قال تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق : ١٢] وقد علم أن العبادة إنما تبنى على ثلاثة أصوال : الخوف والرجاء والمحبة .

وكل منهما فرض لازم ، والجمع بين الثلاثة حتم واجب ، فلهذا كان السلف يذمون من تعبد بواحد منها وأهمل الآخرين ؛ فإن بدع الخوارج ومن أشبههم إنما حدثت من التشديد في الخوف والإعراض عن المحبة والرجاء ، وبدع المرجئة نشأت من التعليق بالرجاء وحده والإعراض عن الخوف ، وبدع كثير من أهل الإباحة والحلول ممن ينسب إلى التعبد ، نشأت من إفراض المحبة والإعراض عن الخوف والرجاء .

وقد كثر في المتأخرين المتسببين إلى السلوك تجريد الكلام في المحبة وتوسيع القول فيها بما لا يساوي علي الحقيقة مثقال حبة ، إذا هو عار عن الاستدلال بالكتاب والسنة ، وخال من ذكر كلام من سلف من سلف الأمة وأعيان الأئمة ،

(١) في المطبوع : الصلاح .

(*) من هنا حدث سقط في النسخة الخطية التي بين أيدينا حتى عبارة : « وأمنحهم رياض قدسي » في الباب السابع .

وإنما هو مجرد دعاوي ، قد تشرف بأصحابها على مهاوي ، وربما استشهدوا بأشعار عشاق الصور ، وفي ذلك ما فيه من عظيم الخطر ، وقد يحكون حكايات العشاق ، ويشيرون إلى التأدب بما سلكوه من الآداب والأخلاق ، وكل هذا ضرره عظيم ، وخطره جسيم .

وقد يكثر ذكر المحبة ويعيدها ويبديها من هو بعيد عن التلبس بمقدماتها ومباديها ، وما أحسن قول ذي النون ـ رحمة الله تعالى ـ وقد ذكر عنده الكلام في المحبة فقال : « اسكتوا عن هذه المسألة ، لا تسمعها النفوس فتدعيها » فإن النفوس من الكبر والفخر والغرور « **والمتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور** »[1] ، وكثير ما تقترن دعوى المحبة بالشطح والإدلال وما ينافي العبودية من الأقوال والأفعال .



(١) أخرجه البخاري (٥٢١٩) ، ومسلم (٢١٣٠) من حديث أسماء ، وأخرجه مسلم (٢١٢٩) من حديث عائشة .

محتويات الكتاب

وقد استخرت الله ـ تعالى ـ في جمع ما ورد في الكتاب والسنة ، وكلام أعيان سلف الأمة ، ومن سلك سبيلهم من العارفين الأئمة ، في محبة الله ـ جل وعلا ـ وعلاماتها وطرقها ولوازمها ومقتضياتها ، وإن كنت لا أستقصي ذلك كله؛ فإنه يطول جدا ، وإنما أذكر منه أبوابا أعدها عدًّا ، وهي اثنا عشر بابًا :

(الباب الأول) : في لزوم محبة الملك القدوس وتقديمها على الأموال والأولاد والنفوس .

(الباب الثاني) : في بيان أن من أعظم المطالب وأهمها سؤال الله محبته على أكمل الوجوه وأتمها .

(الباب الثالث) : في بيان الأسباب التي تستجلب بها محبة رب الأرباب .

(الباب الرابع) : في علامات المحبة الصادقة من التزام طاعة الله والجهاد في سبيله واستحلاء الملامة في ذلك واتباع رسوله .

(الباب الخامس) : في استلذاذ المحبين بكلام محبوبهم وأنه غذاء قلوبهم وغاية مطلوبهم .

(الباب السادس) : في أنس المحبين بالله وأنه ليس لهم مقصود من الدنيا والآخرة سواه .

(الباب السابع) : في سهر المحبين وخلواتهم بمناجاة مولاهم الملك الحق المبين .

(الباب الثامن) : في شوق المحبين إلى لقاء رب العالمين .

(الباب التاسع) : في رضا المحبين بمر الأقدار وتنعمهم ببلاء من يخلق ما يشاء ويختار .

(الباب العاشر) : في ذكر خوف المحبين العارفين وفضله على خوف سائر الخائفين .

(الباب الحادي عشر) : في شرف أهل الحب وأن لهم عند الله أعلى منازل القرب .

(الباب الثاني عشر) : في نبذ من كلام أهل المحبة وتحقيقهم تقوى به القلوب علي سلوك طريقهم ، وسميته (استنشاق نسيم الأنس من نفحات رياض القدس) فإن قلوب الأحباب تشتاق باستنشاق نسيم الاقتراب ، وقد خرج «الطبراني »[1] من حديث عمرو بن عبد الغفار ـ وهو ضعيف عن الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابر مرفوعًا « أن الله ـ جل وعلا ـ يقول للجنة : طيبي لأهلك ليزدادوا طيبا » فذلك البرد يجده الناس في السحر من ذلك .

ويروى بإسناد فيه ضعف ، عن مجاهد ، عن عطية ، عن أبي سعيد قال : « إن الله ـ عز وجل ـ خلق جنة عدن من ياقوتة حمراء ثم قال لها : تزيني . فتزينت ، ثم قال لها : تكلمي . فقالت : طوبي لمن رضيت عنه . فأطبقها وعلقها بالعرش فلم يدخلها بعد ذلك إلا الله لا إله غيره يدخلها كل سحر ، فذلك برد السحر » .

وخرجه الحاكم والبيهقي بإسناد جيد عن مجاهد من قوله مختصراً ، وأنشد بعضهم :

تمر الصبا صفحًا بسكان ذي الغضا ويصدع قلبي أن يهب هبوبها

قريبة عهد بالحبيب وإنما هوى كل نفس حيث حل حبيبها

وقد قيل : إن القلب المحب تحت فحمة الليل جمرة ، كلما هب عليه نسيم السحر التهب . وأنشدوا في هذا المعني :

تذكرني مر النسيم عهودكم فأزداد شوقًا كلما هبت الريح

أراني إذا ما أظلم الليل أشرقتْ بقلبي من نار الغرام مصابيح

---

(١) في الصغير (١/٣٢) وقال : لم يروه عن الأعمش إلا عمرو بن عبد الغفار ، تفرد به يوسف بن موسى أبو غسان .
قال الهيثمي في المجمع (١٠/٤١٢) : وفيه عمرو بن عبد الغفار ، وهو متروك .

أصلي بذكراكم إذا كنت خاليًا ألا إن تذكـار الأحبـة تسبيـــح

يشح فؤادي أن يخامر ســـره سواكم وبعض الشح في المرء ممدوح

وإن لاح برق بالغوير تقطع الـ ـفؤاد على واد بـه البـان والشيـح

والله المستعان وعليه التكلان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

***

الباب الأول
في لزوم محبة الملك القدوس
وتقديمها على حب الأموال والأولاد والنفوس

قال الله ـ عز وجل ـ : ﴿ قُلْ إن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [التوبة : ٢٤].

قال أبو عبد الله محمد بن خفيف الصوفي : « سألنا أبو العباس بن سريج بشيراز فقال لنا : محبة الله فرض أم غير فرض ؟ قلنا : فرض ، قال : ما الدلالة على فرضها ؟ فما منا من أتى بشيء يقبل فرجعنا إليه وسألناه : ما الدليل على فرض محبة الله ـ عز وجل ـ ؟ فقال : قوله تعالى : ﴿ قُلْ إن كَانَ آبَاؤُكُمْ ﴾ ـ إلى قوله : ـ ﴿ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ﴾ [التوبة : ٢٤] قال : فتوعدهم الله ـ عز وجل ـ على تفضيل محبتهم لغيره على محبته ومحبة رسوله ، والوعيد لايقع إلا على فرض لازم وحتم واجب » .

وفي « الصحيحين » [١] عن أنس ، عن النبي ﷺ قال : « **والذي نفسي بيده، لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين** » .

وفي «الصحيحين » [٢] أيضًا أن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قال : «**يا رسول الله ، والله لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي . فقال : لا يا عمر حتى أكون أحب إليك من نفسك . فقال : والله لأنت أحب إلي من نفسي . فقال : الآن يا عمر** » .

---

(١) أخرجه البخاري (١٤) ، ومسلم (٦٩) .
(٢) أخرجه البخاري (٦٦٣٢) ولم يخرجه مسلم ، قال ابن كثير في تفسيره (٢/ ٣٤٣) : «انفرد بإخراجه البخاري ».

ومعلوم أن محبة الرسول إنما هي تابعة لمحبة الله جل وعلا ؛ فإن الرسول إنما يحب موافقة لمحبة الله له ، ولأمر الله بمحبته وطاعته واتباعه ، فإذا كان لا يحصل الإيمان إلا بتقديم محبته على الأنفس والأولاد والآباء والخلق كلهم ، فما الظن بمحبة الله عز وجل؟

وذكر ابن إسحاق عن المغيرة بن عثمان بن الأخنس ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن « أن النبي ﷺ خطب لما قدم المدينة فقال في خطبته [1] : « **أحبوا من أحب الله وأحبوا الله من كل قلوبكم** » .

وقد جعل النبي ﷺ تقديم محبة الله ورسوله على محبة غيرهما من خصال الإيمان ومن علامات وجود حلاة الإيمان في القلوب .

ففي « الصحيحين» [2] عن أنس رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال : « **ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه ، كما يكره أن يلقى في النار**» .

وفي رواية «النسائي» [3] : « **ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان وطعمه : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب في الله ويبغض في الله ، وأن توقد نار [عظيمة] (*) فيقع فيها أحب إليه من أن يشرك بالله شيئًا** » .

وفي مسند الإمام أحمد [4] عن أبي رزين العقيلي قال : « قلت يا رسول الله ما الإيمان ؟ قال : **أن تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده**

---

(١) علقه ابن هشام في « السيرة النبوية » (٢/١٦٦ ـ ١٦٧) .
وأخرج البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٥٢٥) شطره الأخير .
(٢) أخرجه البخاري (١٦) ، ومسلم (٤٣) .
(٣) (٨/ ٩٤ـ٩٥) برقم (٤٩٨٧) .
(*) من سنن النسائي .
(٤) (٤/ ١١).
وقال الهيثمي في المجمع (١/ ٥٣ـ٥٤) : رواه أحمد ، وفي إسناده : سليمان بن موسى، وقد وثقه ابن معين وأبو حاتم وضعفه آخرون .

ورسوله ، وأن يكون الله ورسوله ، أحب إليك مما سواهما ، وأن تحرق في النار أحب إليك من أن تشرك بالله ، وأن تحب غير ذي نسب لا تحبه إلا لله ، فإذا كنت كذلك فقد دخل حب الإيمان في قلبك كما دخل حب الماء للظمآن في اليوم القائظ» [(١)] .

وروي من حديث المقداد بن الأسود عن النبي ﷺ قال : « من أحب الله ورسوله صادقًا من قلبه ، ولقي المؤمنين فأحبهم ، ومن كان أمر الجاهلية عنده كنار أججت فألقي فيها فقد طَعِمَ طَعْمَ الإيمان ـ أو قال : بلغ ذروة الإيمان»[(٢)] .

ومن هذا المعني أن الله ـ تعالى ـ قال ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ . . . ﴾ الآية [الممتحنة: ١٠] فأمر بامتحانهن ليعلم إيمانهن ، فكان النبي ﷺ يحلفهن أنهن ما خرجن إلا حبًّا لله ورسوله ، لم يخرجن رغبة في غير ذلك ؛ فيكون ذلك علمًا بإيمانهن .

قال ابن عباس في هذه الآية : « كانت المرأة إذا أتت النبي ﷺ لتسلم حلفها بالله : ما خرجتي من بغض زوج إلا حبًّا لله ورسوله؟ » .

وهو موجود في بعض نسخ الترمذي [(٣)] كذلك .

وخرجه البزار في « مسنده » [(٤)] ، وابن جرير [(٥)] وابن أبي حاتم ، ولفظه:

---

(١) وهو الشديد الحر .

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٠/٦٠٦) .
وقال الهيثمي في المجمع (١/٨٨) : رواه الطبراني في الكبير، وفيه شريح بن عبيد ، وهو ثقة مدلس ، اختلف في سماعه من الصحابة لتدليسه .

(٣) برقم (٣٣٠٨) وقال :« هذا حديث غريب » .

(٤) برقم (٢٢٧٢ـ كشف) قال البزار : لا نعلمه يروى عن ابن عباس إلا بهذا الإسناد ، وأبو نصر لم يرو عنه إلا خليفة .
وقال الهيثمي في المجمع (٧/١٢٣) : وفيه قيس بن الربيع ، وثقه شعبة والثوري وضعفه غيرهما ، وبقية رجاله ثقات .

(٥) في تفسيره (٢٨/٤٤) .

«حلفها بالله ما خرجتي من بغض زوج ، وبالله ما خرجتي إلا حبًّا لله ورسوله ».

وخرج إبراهيم بن الجنيد الختلي في « كتاب المحبة » بإسناد ضعيف عن أبي هريرة مرفوعًا قال : « **الإيمان في قلب الرجل أن يحب الله عز وجل** » .

ومن مراسيل الزهري أن النبي ﷺ قال : «**رأس الإيمان المحبة لله ـ عز وجل ـ وطابع الإيمان : البر والعدل ، وتحقيق الإيمان بإكرام ذي الدِّين وذي الشيبة** » .

❊ ❊ ❊

فصل

محبة الله على درجتين :

١ـ فرض لازم ٢ـ درجة السابقين

ومحبة الله ـ سبحانه وتعالى ـ على درجتين : إحداهما فرض لازم ، وهي أن يحب الله ـ سبحانه ـ محبة توجب له ، محبة ما فرض الله عليه ، وبغض ما حرمه عليه ، ومحبة لرسوله المبلغ عنه أمره ونهيه ، وتقديم محبته على النفوس والأهلين أيضًا كما سبق ، والرضا بما بلغه عن الله من الدين وتلقي ذلك بالرضا والتسليم ، ومحبة الأنبياء والرسل والمتبعين لهم بإحسان جملة وعمومًا لله ـ عز وجل ـ وبغض الكفار والفجار جملة وعمومًا لله ـ عز وجل ـ وهذا القدر لابد منه في تمام الإيمان الواجب ، ومن أخل بشيء منه فقد نقص من إيمانه الواجب بحسب ذلك .

قال الله عز وجل : ﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء : ٦٥] وكذلك ينقص من محبته الواجبة بحسب ما أخل به من ذلك ، فإن المحبة الواجبة تقتضي فعل الواجبات وترك المحرمات .

وخرج أبو نعيم [١] من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « **إن سالما ـ يعني : مولي أبي حذيفة ـ شديد الحب لله لو كان لا يخاف الله ما عصاه** » يشير إلى أن محبة الله تمنعه من أن يعصيه .

وذكر أبو عبيد في « غريبه » [٢] أن عمر قال : « نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه »[٣].

---

(١) في الحلية (١/١٧٧) وقال الشيخ الألباني ـ عليه رحمة الله ـ في ضعيف الجامع (١٨٦١): « موضوع » .

(٢) غريب الحديث (٣/ ٣٩٤)

(٣) نقل « العجلوني » في كشف الخفاء (٢/ ٤٤٦ـ٤٤٧) عن البهاء السبكي والسيوطي =

قال الحسن بن آدم : « أحب الله يحبك الله ، واعلم أنك لن تحب الله حتى تحب طاعته » .

وقال عبد الله بن حنيف : « قال رجل لرابعة إني أحبك في الله .

قالت : « فلا تعصي الذي أحببتني له » .

وسئل ذو النون : متي أحب ربي ؟ قال : « إذا كان ما يبغضه عندك أمر من الصبر ».

وقال بشر بن السري . « ليس من أعلام الحب أن تحب ما يبغض حبيبك » .

وقال أبو يعقوب النهرجوري : كل من ادعى محبة الله - جل جلاله - ولم يوافق الله في أمره فدعواه باطلة ، وكل محب ليس يخاف الله فهو مغرور ».

وقال يحيى بن معاذ : « ليس بصادق من ادعى محبة الله ولم يحفظ حدوده » .

وقال رويم : « المحبة الموافقة في جميع الأحوال » وأنشد :

ولو قلت لي مت مت سمعًا وطاعة   وقلت لداعي الحق أهلا ومرحبًا

وقد تقدم أن العبد لا يجد حلاوة الإيمان حتى يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وحتى يكره أن يرجع إلى الكفر ، كما يكره أن يلقي في النار .

ولهذا المعني كان الحب في الله والبغض في الله من أصول الإيمان .

وخرج الترمذي [١] من حديث معاذ بن أنس الجهني ، عن النبي ﷺ قال : **«من أعطي لله ومنع لله وأحب لله وأبغض لله ؛ فقد استكمل إيمانه»** .

وخرج الإمام أحمد [٢] وزاد فيه : **«وأنكح لله»** وفي لفظ له أيضا[٣] « أن النبي ﷺ سئل عن أفضل الإيمان قال : **أن تحب لله وتبغض لله وتعمل لسانك في**

=وابن حجر اجتهادهم في البحث عن إسناد لهذا الحديث ، وعدم وقوفهم عليه .

(١) برقم (٢٥٢١) وقال : هذا حديث حسن .

(٢) (٣/٤٣٨ ، ٤٤٠) .

(٣) أخرجه أحمد (٥/٢٤٧) من طريقين .

قال الهيثمي في المجمع (١/٨٩) : «وفي الأولى: رشدين بن سعد ، وفي الثانية ابن لهيعة وكلاهما ضعيف » .

ذكر الله» وخرج أبو داود [1] من حديث أبي أمامة ، عن النبي ﷺ قال : « **من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ؛ فقد استكمل الإيمان** » .

ومن حديث أبي ذر ، عن النبي ﷺ قال : « **أفضل الإيمان : الحب في الله والبغض في الله** » [2] .

وخرج الإمام أحمد [3] من حديث البراء بن عازب ، عن النبي ﷺ قال : «**إن أوثق عرى الإيمان أن تحب في الله وتبغض في الله** » .

ومن حديث عمرو بن الجموح ، عن النبي ﷺ قال : « **لا يجد العبد حق صريح الإيمان حتى يحب لله ويبغض لله ، فإذا أحب لله وأبغض لله فقد استحق الولاية من الله ، وإن أوليائي من عبادي وأحبائي من خلقي يُذكرون بذكري وأُذكر بذكرهم** » [4] .

وفي هذا المعني أحاديث كثيرة :

وروى ليث عن مجاهد عن ابن عباس قال : « من أحب في الله وأبغض في الله ووالى في الله وعادى في الله فإنما تنال ولاية الله بذلك ، ولن يجد عبد طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك » . وقد صار عامة مؤاخاة الناس علي أمر الدنيا وذلك لا يجدي على أهله شيئًا . خرجه ابن جرير الطبري .

وخرج أيضًا بإسناده عن ابن مسعود قال : « من أحب لله وأبغض لله ومنع لله وأعطى لله فقد توسط الإيمان » .

وخرج الحاكم [5] من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ عن النبي ﷺ قال :

---

(١) برقم (٤٦٨١) .

(٢) أخرجه أبو داود (٤٥٩٥) ، وأحمد (١٤٦/٥) بلفظ : « **أفضل الأعمال** » .

(٣) (٢٨٦/٤) بلفظ : «**إن أوسط ...**» وقال الهيثمي في المجمع (٨٩/١ ـ ٩٠) : رواه أحمد ، وفيه ليث بن أبي سليم ، وضعفه الأكثر .

(٤) أخرجه أحمد (٤٣٠/٣) .

قال الهيثمي في المجمع (٨٩/١) : فيه رشدين بن سعد ، وهو منقطع ضعيف .

(٥) (٢٩١/٢) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه . =

«الشرك أخفى من دبيب النمل على الصفا في الليلة الظلماء ، وأدناه أن تحب على شيء من الجور ، وتبغض على شيء من العدل ، وهل الدين إلا الحب في الله والبغض في الله ؟! قال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾[آل عمران:٣١] » وقال : صحيح الإسناد ، وفيما قاله نظر ؛ ففي هذا الحديث أن محبة ما يبغضه الله وبغض ما يحبه الله من الشرك الخفي .

وروينا من طريق الأصمعي ، عن سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد أنه قال في قوله تعالى : ﴿ يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴾ [النور:٥٥] قال : لا يحبون غيره » .

وحينئذ فلا يكمل التوحيد الواجب إلا بمحبة ما يحبه الله وبغض ما يبغضه الله، وكذلك لا يتم الإيمان الواجب إلا بذلك .

ومن هنا يعلم أن الإخلال ببعض الواجبات وارتكاب بعض المحرمات ينقص به الإيمان الواجب بحسب ذلك ، كما قال النبي ﷺ « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ... » [(١)] الحديث .

وروى الإمام أحمد [(٢)] من طريق الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، عن أبي بن كعب قال : « من أصبح وأكبر همه غير الله فليس من الله » .

وقد روي هذا مرفوعًا من حديث أنس بأسانيد ضعيفة [(٣)] .

= وتعقبه «الذهبي» قائلا : عبد الأعلى ، قال الدراقطني : ليس بثقة .
وأخرجه البزار (٣٥٦٦ ـ كشف) وقال : « لا نعلمه يروى عن عائشة إلا بهذا الإسناد». وقال الهيثمي في المجمع (٢٣/١٠) : رواه البزار ، وفيه عبد الأعلى بن أعين، وهو ضعيف .

(١) أخرجه البخاري (٢٤٧٥) وفي مواضع أخر ، ومسلم (٥٧) .

(٢) في الزهد (ص٤٢) .

(٣) أخرجه ابن عدي في الكامل (٦٧/٧) وأبو نعيم في الحلية (٤٨/٣) وقال أبو نعيم :لم يروها عن أنس ـ رضي الله عنه ـ غير فرقد ، ولا عنه إلا وهب بن راشد ، ووهب وفرقد غير محتج بحديثهما وتفردهما .
وقال ابن عدي في ترجمة وهب بن راشد : يروي عن ثابت ومالك بن دينار وفرقد السبخي ، ليست روايته عنهم بالمستقيمة . =

فهذه الدرجة من محبة الله فرض واجب على كل مسلم وهي درجة المقتصدين أصحاب اليمين

الدرجة الثانية درجة السابقين المقربين ، وهي أن ترتقي المحبة إلي ما يحبه الله من نوافل الطاعات ، وكراهة ما يكرهه من دقائق المكروهات ، وإلى الرضا بما يقدره ويقضيه مما يؤلم النفوس من المصائب ، وهذا فضل مستحب مندوب إليه .

وفي صحيح البخاري [1] ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال : « **يقول الله ـ عز وجل ـ : من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه ، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ؛ فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، ولئن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه ، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته** » .

وقد روي هذا المعني عن النبي ﷺ من حديث علي بن أبي طالب [2] ـ رضي الله عنه ـ وابن عباس [3] ـ وأبي أمامة [4] وعائشة [5] ـ رضي الله عنهم ـ بأسانيد

= ثم ساق ابن عدي لوهب أحاديث عن ثابت وفرقد ، ومنها حديثنا هذا وقال : وهذه الأحاديث غير محفوظة ، ولا أعلم يرويها غير وهب بن راشد .

ثم قال ابن عدي : ولوهب غير ما ذكرت ، وأحاديثه كلها فيها نظر .

(١) برقم (٦٥٠٢) .

(٢) أخرجه الإسماعيلي في « مسند علي » كما في الفتح (١١ / ٣٤٩) وضعفه الحافظ .

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (١٢ / ١٢٧١٩) وضعفه الحافظ في الفتح .

وقال الهيثمي في « المجمع » (١٠ / ٢٧٠) : « فيه من لم أعرفه » .

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير (٨ / ٧٨٣٣ ، ٧٨٨٠) ، والبيهقي في الزهد الكبير (٦٩٦) وقال في المجمع (٢ / ٢٤٨) : فيه علي بن يزيد ، وهو ضعيف .

(٥) أخرجه أحمد (٦ / ٢٥٦) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١ / ٥) .

قال الهيثمي في المجمع (١ / ٢٦٩) : فيه عبد الواحد بن قيس ، وقد وثقه غير واحد ، وضعفه غيرهم

فيها نظر .

وذكر ابن أبي الدنيا بإسناده عن سهيل أخي حزم قال : بلغني عن عامر بن عبد قيس أنه كان يقول : « أحببت الله - عز وجل - حبًا سهل علي كل مصيبة ، ورضاني بكل قضية ، فما أبالي مع حبي إياه ما أصبحت عليه وما أمسيت » .

وقال إبراهيم بن الجنيد : حدثنا محمد بن الحسن ، حدثني عبيد الله بن محمد التميمي « أن رجلا قال لعابد : أوصني - أو عظني - فقال : أي الأعمال أغلب على قلبك ؟ فقال الرجل : والله ما أجد شيئًا أنفع للمحب عند حبيبه من المبالغة في محبته وهل تدري ما ذلك ؟ أن لا يعلم شيئًا فيه رضاه إلا أتاه ، ولا يعلم شيئًا فيه سخطه إلا اجتنبه ، فعند ذلك ينزل المحبون من الله منازل المحبة . قال : فصرخ العابد والسائل وسقطا » .

وقد تبين بما ذكرناه أن محبة الله إذا صدقت أوجبت محبة طاعته وامتثالها ، وبغض معصيته واجتنابها ، وقد وقع المحب أحيانًا في تفريط في بعض المأمورات وارتكاب لبعض المحظورات ثم يرجع على نفسه بالملامة ، وينزع عن ذلك ويتداركه بالتوبة .

وفي صحيح البخاري [1] « أن رجلا كان يؤتى به إلى النبي ﷺ قد شرب الخمر ، فقال رجل : اللهم العنه ، ما أكثر ما يؤتى به؟ فقال رسول الله ﷺ : لا تلعنه ؛ فإنه يحب الله ورسوله » .

وقد روي عن الشعبي في « قوله عز وجل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ ﴾ [البقرة:٢٢٢] قال : التائب من الذنب كمن لا ذنب له ، وإذا أحب الله عبداً لم يضره ذنبه » .

وعن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال : « إن الله - تعالى - ليحب العبد حتى يبلغ من حبه إذا أحبه أن يقول له : اذهب فاعمل ما شئت ؛ فقد غفرت لك» .

---

(١) برقم (٦٧٨٠) .

والمراد من هذا أن الله ـ تعالى ـ إذا أحب عبداً وقدر عليه بعض الذنوب ؛ فإنه يقدر له الخلاص منها بما يمحوها من توبة أو عمل صالح أو مصائب مكفرة، كما في الحديث عن النبي ﷺ قال : « أذنب عبد ذنبًا فقال : أي ربي ، عملت ذنبًا ؛ فاغفر لي ؟ ـ فذكر الحديث - إلى أن قال - فليعمل ما شاء »[1] .

والمراد ما دام على هذا ، كلما عمل ذنبًا اعترف به وندم عليه واستغفر منه ، فأما مع الإصرار عليه فلا ، وكذلك المحبة الصادقة الصحيحة تمنع من الإصرار على الذنوب وعدم الاستحياء من علام الغيوب .

وما أحسن قول بعضهم :

تعصي الإله وأنت تزعم حبه   هذا لعمري في القياس شنيع

لو كان حبك صادقًا لأطعته   إن المحب لمن يحب مطيع

* * *

(١) أخرجه البخاري (٧٥٠٧) ، ومسلم (٢٧٥٨) .

الباب الثاني
في بيان أن من أعظم المطالب وأهمها سؤال الله تعالى محبته على أكمل الوجوه وأتمها

روى معاذ بن جبل - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال : « **أتاني ربي - تبارك وتعالى - في أحسن صورة** - يعني : في المنام - فذكر الحديث ، وقال في آخره : **قال : سل . قلت : اللهم إني أسألك فعل الخيرات ، وترك المنكرات ، وحب المساكين، وأن تغفر لي وترحمني ، وإذا أردت بقوم فتنة فتوفني إليك غير مفتون، وأسألك حبك ، وحب من يحبك ، وحب كل عمل يقربني إلى حبك .**

فقال ﷺ : إنها حق ؛ فادرسوها وتعلموها » .

خرجه الإمام أحمد [١] والترمذي [٢] وقال : حسن صحيح .

وخرجه الحاكم [٣] وقال : صحيح الإسناد .

وفي بعض الروايات : «**وحب عمل يبلغني حبك** » .

وخرج البزار [٤] والطبراني [٥] والحاكم [٦] من حديث ثوبان ، عن النبي ﷺ

---

(١) في المسند (٥ / ٢٤٣) . (٢) برقم (٣٢٣٥) .

قال الترمذي : سألت محمد بن إسماعيل عن هذا الحديث فقال : هذا حديث حسن صحيح .

(٣) (١ / ٥٢) .

(٤) برقم (٢١٢٨ - كشف) .

قال الهيثمي في المجمع (٧ / ١٧٧ - ١٧٨) : رواه البزار من طريق أبي يحيى عن أبي أسماء الرحبي ، وأبو يحيى لم أعرفه ، وبقية رجاله ثقات.

(٥) لم أجده في مسند ثوبان من « المعجم الكبير » ، ولم يعزه الهيثمي إلا للبزار . وليس الحديث أيضًا في المعجمين « الأوسط والصغير » للطبراني .

(٦) (١/ ٥٢٧) وقال : هذا حديث صحيح على شرط البخاري .

نحوه .

وخرج البزار [1] بإسناد فيه ضعف ، عن ابن عمر ، عن النبي ﷺ نحوه ، وفي حديثه : « **اللهم إني أسألك حبك ، وحب من يحبك ، وحب عمل يقربني إلى حبك ، اللهم إني أسألك إيمانا يباشر قلبي حتى أعلم أنه لن يصيبني إلا ما كتبت لي ، ورضني بما قسمت لي** » .

وخرج الترمذي [2] والحاكم [3] من حديث أبي الدرداء ، عن النبي ﷺ قال : « **كان من دعاء داود ـ عليه السلام ـ : اللهم إني أسألك حبك وحب من يحبك والعمل الذي يبلغني حبك ، اللهم اجعل حبك أحب إلي من نفسي وأهلي ومن الماء البارد** » .

قال : وكان النبي ﷺ إذا ذكر داود وتحدث عنه قال : « **كان داود أعبد البشر** » . وقال الترمذي : حديث حسن غريب .

وخرج الترمذي [4] أيضًا من حديث عبد الله بن يزيد الخطمي الأنصاري ، عن النبي ﷺ « **أنه كان يقول في دعائه : اللهم ارزقني حبك ، وحب من ينفعني حبه عندك ، اللهم ما رزقتني مما أحب فاجعله فراغًا لي فيما تحب** » وقال : حسن غريب .

وخرج ابن أبي الدنيا وغيره من رواية أبي بكر بن أبي مريم ، عن الهيثم بن مالك الطائي « **أن النبي ﷺ كان يدعو : اللهم اجعل حبك أحب الأشياء إلي، واجعل خشيتك أخوف الأشياء عندي ، واقطع عني حاجات الدنيا بالشوق إلى**

---

(١) برقم (٢١٢٩ - كشف) .
وقال الهيثمي في المجمع (٧ / ١٧٨) : وفيه سعيد بن سنان ، وهو ضعيف ، وقد وثقه بعضهم ، ولم يلتفت إليه في ذلك .

(٢) برقم (٣٤٩٠) وقال : هذا حديث حسن غريب .

(٣) في المستدرك (٢ / ٤٣٣) وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وتعقبه الذهبي فقال: بل عبد الله هذا قال أحمد : أحاديثه موضوعة .

(٤) برقم (٣٤٩١) وقال : هذا حديث حسن غريب .

لقائك ، وإذا أقررت أعين أهل الدنيا بدنياهم ؛ فاقرر عيني من عبادتك »[1]. وهذا مرسل .

وخرج ابن أبي الدنيا أيضًا من رواية أبي بردة قال : « صليت إلى جنب ابن عمر فسمعته حين يسجد يقول : اللهم اجعل حبك أحب الأشياء إلي ، وخوفك أخوف الأشياء عندي » وخرجه أبو نعيم[2] ، ولفظه : « **اللهم اجعلك أحب الأشياء إليّ وأخشى عندي** » .

وصح من رواية نافع عن ابن عمر « أنه كان يدعو على الصفا والمروة وفي مناسكه فيقول في دعائه : اللهم اجعلني ممن يحبك ويحب ملائكتك ، ويحب رسلك ، ويحب عبادك الصالحين ، اللهم حببني إليك وإلى ملائكتك وإلى رسلك وإلى عبادك الصالحين »[3] في دعاء له كثير .

وروى إبراهيم بن الجنيد في كتاب المحبة له بإسناد إلى أبي الزاهرية قال : «كان داود عليه السلام يقول : « اللهم اجعلني من أحبائك ؛ فإنك إذا أحببت عبدًا غفرت ذنبه وإن كان عظيمًا وقبلت عمله وإن كان يسيراً » .

وبإسناد عن صالح بن مسمار قال : « بلغنا أن الله ـ عز وجل ـ أرسل إلى سليمان بن داود ـ عليهما السلام ـ بعد موت أبيه داود ملكًا من الملائكة ، فقال له الملك : إن ربي ـ عز وجل ـ أرسلني إليك لتسأله حاجة . قال سليمان : فإني أسأل ربي أن يجعل قلبي يحبه كما كان قلب أبي داود يحبه ، وأسأل الله ـ تعالى ـ أن يجعل قلبي يخشاه كما كان قلب أبي يخشاه . فقال الرب ـ تبارك وتعالى ـ : أرسلت إلى عبدي ليسألني حاجة فكانت حاجته أن أجعل قلبه يحبني وأجعل قلبه يخشاني ، وعزتي لأكرمنه . فوهب له ملكًا لا ينبغي لأحد بعده ؛ ثم قال : ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ﴾ [ص : ٣٩ ـ ٤٠] » .

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٨ / ٢٨٢) .
(٢) في الحلية (١ / ٣٠٤) .
(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١ / ٣٨٨) .

وعن سلام بن مسكين قال : سمعت الحسن يقول : « اللهم املأ قلوبنا إيمانا بك ، ويقينا بك ومعرفة بك وتصديقًا لك وحبًا لك ، وشوقًا إلى لقائك » .

وعن عبد الواحد بن زيد « أنه كان يقول في دعائه : اللهم إني أسألك أركانًا قوية على عبادتك ، وأسألك جوارح مسارعة إلى طاعتك ، وأسألك هممًا متعلقة بمحبتك » .

وعن مرثد بن أبي عامر عن الحسن بن علي « أنه كان يقول في دعائه : اللهم ارزقني محبة لك تقطع بها عني محبات الدنيا ولذاتها ، وارزقني محبة لك تجمع لي بها خير الآخرة ونعيمها ، اللهم اجعل محبتك آثر الأشياء عندي وأقرها لعيني واجعلني أحبك حب الراغبين في محبتك ، حبًّا لا يخالطه حب هوى أعلى منه في صدري ، ولا أكثر منه في نفسي حتى يشتغل قلبي به عن السرور بغيره ، حتى يكمل لي به عندك الثواب غدًا في أعلى منازل المحبين لك يا كريم » قال : وكان من خيار أهل البيت ، وكان يدعو بهذا الدعاء في آخر كلامه ويبكي .

وعن عقبة بن فضالة قال : « كان أبو عبيدة الخواص يقول في دعائه بعد ما كبر: اللهم ارزقني حبًّا لك ، وحبًّا لطاعتك ، وحبًّا لمطيعك ، وحبًّا لأوليائك ، وحبًّا لأهل محبتك وخدمتك ، اللهم ارزقني حبًّا ترفعني به عندك في أعلى درجات العلى في منازل المحبين لك » .

قال : وكان يبكي حتى يكاد يهمد وكان قد كبر جدًّا .

وعن أبي صخر ، عن محمد بن كعب القرظي « أن عمر بن عبد العزيز أرسل يومًا إليه ـ وعمر أمير المدينة يومئذ ـ فقال : يا أبا حمزة ، إنه أسهرتني البارحة آية . قال محمد : وما هي أيها الأمير ؟ فقال : قول الله ـ عز وجل ـ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ﴾ قال محمد : إنما عنى الله ـ عز وجل ـ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ الولاة من قريش ﴿ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ ﴾ عن الحق ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ وهم أهل اليمن . قال عمر : يا ليتني وإياك منهم ! قال : آمين » .

وروى ابن أبي الدنيا بإسناده عن سعيد بن صدقة أبي مهلهل قال : « أتاني آت في منامي فقال : أتحب الله ؟ قلت : أي والله الذي لا إله غيره ، إني لأحبه وأحب طاعته . قال : أفلا تناديه نداء أوليائه ؟ قلت : وما هو ؟ قال : قل : نبهني إلهي للخطر العظيم من محبتك يا باري النسم » .

قال أحمد بن أبي الحواري : حدثنا أبو قرة ، حدثنا حميد بن قائد قال : كان بعض التابعين يقول : « إلهي أعطيتني من غير أن أسألك ؛ فكيف تحرمني وأنا أسألك ، اللهم إني أسألك أن تسكن عظمتك في قلبي وأن تسقيني شربة من كأس حبك » .

قال أحمد : وحدثنا جعفر بن محمد ، عن أبيه قال : « كان من دعاء مريم أم عيسى ـ عليهما السلام ـ اللهم املأ قلبي بك فرحًا وغش وجهي منك الحياء ».

وكان من دعاء بعض التابعين « اللهم أمت قلبي بخوفك وخشيتك ، وأحيه بحبك وذكرك » .



الباب الثالث
في بيان الأسباب
التي تستجلب بها محبة رب الأرباب

فمن ذلك معرفة نعمة الله علي عباده ، وقد جبلت القلوب علي حب من أحسن إليها .

وهذا الكلام مروي عن ابن مسعود . وروي عنه مرفوعا ولا يصح[1] .

قال بعضهم : « إذا كانت القلوب جبلت على حب من أحسن إليها فوا عجبًا لمن لا يري محسنًا غير الله ـ عز وجل ـ كيف لا يميل بكُلّيته إليه » .

وقال بعض السلف : «ذكر النعيم يورث الحب لله ـ عز وجل » .

قال الفضيل : « أوحى الله إلى داود ـ عليه السلام ـ : أحبني وأحب من يحبني وحببني إلى عبادي . قال : يا رب ، هذا أحبك وأحب من يحبك ، فكيف أحببك إلى عبادك ؟! قال : تذكرني ولا تذكر مني إلا حسنًا » .

---

(١) أخرجه ابن عدي في الكامل (٢ / ٢٨٦ - ٢٨٧) ، والبيهقي في « الشعب » (٨٩٨٤) وأبو نعيم في الحلية (٤/ ١٢١) ، والخطيب في تاريخه (٧ / ٣٤٦ - ٣٤٧) وغيرهم

قال ابن عدي : وهذا لم أكتبه مرفوعًا إلا من هذا الوجه ، وهو معروف عن الأعمش موقوفًا ... ثم ذكره موقوفًا .

ونقل هذه العبارة البيهقي في الشعب عن ابن عدي .

وقال أبو نعيم : غريب من حديث الأعمش عن خيثمة ، لم نكتبه إلا من هذا الوجه .

وأخرجه البيهقي في « الشعب » (٤٩٨٣) موقوفًا على ابن مسعود وقال : هذا هو المحفوظ موقوف .

وحكم عليه الشيخ الألباني بالوضع مرفوعًا وموقوفًا في الضعيفة (٦٠٠) .

ويروى عن كعب قال : « أوحى الله - عز وجل - إلى موسى - عليه السلام -: أتحب أن تحبك أحبتي وملائكتي وما ذرأت من الجن والإنس ؟ قال : نعم يا رب. قال : ذكرهم آلائي ونعمائي ؛ فإنهم لا يذكرون مني إلا كل حسنة».

وعن أبي عبد الله الجدلي قال : « أوحى الله - عز وجل - إلى داود - عليه السلام - يا داود ، أحبني وأحب من يحبني وحببني إلى الناس ؟ قال : يا رب، أحبك وأحب من يحبك ؛ فكيف أحببك إلى الناس ؟ قال : تذكرهم آلائي ونعمائي فلا يذكرون مني إلا حسنًا » .

ويروى عن ابن عباس . عن النبي ﷺ قال : « **أحبوا الله لما يغذوكم من نعمة، وأحبوني لحب الله وأحبوا أهل بيتي لحبي** » .

وهذا الحديث موجود في بعض نسخ كتاب الترمذي [1] .

والحب على النعم من جملة شكر المنعم وهو واجب على من أنعم عليه ، ولهذا يقال : إن الشكر يكون بالقلب واللسان والجوارح .

ومن الأسباب أيضًا : معرفة الله - تعالى - :

قال الحسن بن أبي جعفر : سمعت عتبة الغلام يقول : « من عرف الله - تعالى - أحبه ، ومن أحب الله أطاعه ، ومن أسكنه في جواره فطوباه وطوباه وطوباه » .

قال فلم يزل يقول : « وطوباه ، وطوباه » حتى خر ساقطًا مغشيًا عليه .

خرجه إبراهيم بن الجنيد .

وقال بديل بن ميسرة : « من عرف ربه أحبه ، ومن عرف الدنيا زهد فيها ».

خرجه الإمام أحمد وغيره .

---

(1) برقم (٣٧٨٩) وقال : هذا حديث حسن غريب ، إنما نعرفه من هذا الوجه .

ومن أعظم أسباب المعرفة الخاصة : التفكر في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء .

قال الجوزجاني :حدثني صاحب لي عن جعفر بن سليمان قال: « كنا نكون عند مالك بن دينار عشية جمعة ، فكان يجيء خليفة العبدي بعد العصر فيأخذ بعضادتي الباب فيقول : يا أبا يحيى ، عليك السلام ، يا أبا يحيى ، لو أن الله - تعالى - لم يعبد إلا عن رؤية ما عبده أحد ، لأنه عز وجل لا تدركه الأبصار ولكن المؤمنون تفكروا في مجيء هذا الليل إذا جاء فطبق كل شيء وملأ كل شيء ، ومجيء سلطان النهار وتفكروا في مجيء النهار إذا جاء فملأ كل شيء وطبق كل شيء، ومجيء سلطان الليل ، وتفكروا في السحاب المسخر بين السماء والأرض ، وتفكروا في الفلك التى تجري في البحر بما ينفع الناس ، وتفكروا في مجيء الشتاء والصيف ، فوالله ما زال المؤمنون يتفكرون فيما خلق لهم ربهم حتى أيقنت قلوبهم ، وحتى كأنما عبدوا الله عن رؤية » .

وكان شميط بن عجلان يقول : « دلنا ربنا على نفسه في هذه الآية : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ...﴾ الآية [الأعراف: ٥٤، ويونس: ٣]

وفي القرآن شيء كثير من التذكير بآيات الله الدالة على عظمته وقدرته وجلاله وكماله وكبريائه ورأفته ورحمته وبطشه وقهره وقدرته وانتقامه ، غير ذلك من صفاته العلى وأسمائه الحسنى والندب إلى التفكر في مصنوعاته الدالة علي كماله، فإن القلوب مفطورة على محبة الكمال ، ولا كمال على الحقيقة إلا له سبحانه وتعالى ، ولهذا كان السلف يفضلون التفكر على نوافل البدن . وروي ذلك عن الحسن وابن المسيب .

قال عمر بن عبد العزيز : « الفكر في نعم الله أفضل العبادة » .

وقال عبد الله بن محمد التيمي : « أفضل النوافل طول الفكرة » .

وكان أكثر عمل أبي الدرداء الاعتبار والتفكر .

وكلام الإمام أحمد يدل على مثل هذا أيضًا .

وقال ذو النون : تناول المعرفة بثلاث : « بالنظر في الأمور كيف دبرها ، وفي المقادير كيف قدرها ، وفي الخلائق كيف خلقها » .

« وسئل أبو سليمان الداراني : بأي شيء تنال معرفة الله ؟ قال : بطاعته . قيل: فبأي شيء تنال طاعته ؟ قال : به » .

فكلما قويت معرفة العبد بالله قويت محبته له ومحبته لطاعته ، وحصلت له لذة العبادة من الذكر وغيره على قدر ذلك .

وقد روى ابن أبي الدنيا بإسناده عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال : «أخبرني أهل الكتاب أن هذه الأمة تحب الذكر كما تحب الحمامة وكرها ، ولهم أسرع إلى ذكر الله من الإبل إلى وردها يوم ظمئها » .

وعن مالك بن دينار قال : « ما تلذذ المتلذذون بمثل ذكر الله ـ عز وجل » .

وعنه قال : « قرأت في التوراة : أيها الصديقون تنعموا بذكري في الدنيا ؛ فإنه لكم في الدنيا نعيم وفي الآخرة جزاء »

وقال محمد بن كعب القرظي: «وجدت في بعض الحكمة : أيها الصديقون، افرحوا بي وتنعموا بذكري » .

وقال مسلم أبو عبد الله : : « ما تلذذ المتقون بشيء في صدورهم ألذ من حب الله ـ عز وجل ـ ومحبة أهل ذكره » .

وقال أحمد بن غسان : « قرأت في زبور داود ـ عليه السلام ـ : أحبوا الله يا صدِّيقيه ، افرحو أيها الصديقون بالله وتنعموا بذكره » .

وقال أحمد بن أبي الحواري عن أبي جعفر الرقي قال : « ما فرح أحد بغير الله إلا بالغفلة عن الله ـ عز وجل » .

قال وحدثنا محمود عمن أخبره قال : « رأيت بالبصرة رجلا كثير الدواب قليل الطعم جيد البدن ؛ فقلت له : أراك كثير الدوب قليل الطعم جيد البدن ؟

قال : ذلك من فرحي بحب الله - عز وجل - ، إذا ذكرت أنه ربي وأنا عبده لم يمنع أن يصلح » .

وقال الفضل الرقاشي : « والله لو جمع للعباد جميع لذات الدنيا بحذافيرها لكان امتهانهم أنفسهم لله بطاعته ألذ وأحلى عندهم من ذلك كله »

وقال إبراهيم بن أدهم : « أعلى الدرجات : أن يكون ذكر الله عندك أحلى من العسل ، وأشهى من الماء العذب الصافي عند العطشان في اليوم الصائف » .

وقال زبيد اليامي : « إن لله عبادًا ذكروه فخرجت نفوسهم به إعظامًا واشتياقًا، وقومًا ذكروه فوجلت قلوبهم فرقًا وهيبة له ، فلو أحرقوا بالنار لم يجدوا مس النار ، وآخرون ذكروه في الشتاء وبرده فارفضوا عرقًا من خوفه ، وقومًا ذكروه فحالت ألوانهم غبرًا ، وقومًا ذكروه فجفت أعينهم سهرًا » .

« وكان أبو حفص النيسابوري إذا ذكر الله تغيرت عليه حاله حتى كان يرى ذلك منه جميع من حضره ، ففعل ذلك مرة فلما رجع قال : ما أبعد ذكرنا من ذكر المحققين ، فما أظن محققًا يذكر الله من غير غفلة ثم يبقى بعد ذلك حيًّا إلا الأنبياء ؛ فإنهم أيدوا بقوة النبوة ، وخواص الأولياء بقوة ولايتهم ، ومع ذلك كله فلو كشف الغطاء لتبين أن الأمر أعظم وأعظم . ولهذا يقول أهل الجنة إذا كشفت لهم الحجب ورأوه معاينة قالوا : سبحانك ، ما عبدناك حق عبادتك »[1].

وفي حديث آخر : « **إن لله ملائكة في السماء قيامًا إلى يوم القيامة ترعد فرائصهم من مخافته ، ما منهم ملك تقطر من عينيه دمعة إلا وقعت على ملك يسبح ، ولله ملائكة سجودًا منذ خلق الله السموات والأرض لم يرفعوا رءوسهم ولا يرفعونها إلى يوم القيامة، وصفوفًا لم يتفرقوا عن مقامهم إلى يوم القيامة فإذا**

---

(١) أخرج نحوه محمد بن نصر المروزي في « تعظيم « قدر الصلاة » (٢٥٦) مطولا من حديث عمر مرفوعًا من قول الملائكة .
قال ابن كثير في تفسيره (١٤ / ١٨٨ ط - أولاد شيخ) : هذا حديث غريب جدًّا ؛ بل منكر نكارة شديدة .... والعجب من الإمام محمد بن نصر ، كيف رواه ولم يتكلم عليه ، ولا عَرَّف بحاله ، ولا تعرض لضعف بعض رجاله ؟ غير أنه رواه من وجه آخر عن سعيد بن جبير مرسلا بنحوه . ومن طريق أخرى عن الحسن البصري مرسلا قريبًا منه .

كان يوم القيامة تجلى لهم ربهم - عز وجل - فينظرون إليه تبارك وتعالى ، فقالوا : سبحانك ما عبدناك كما ينبغي لك » .

خرجه ابن أبي الدنيا [1] والآجري [2] مرفوعًا.

وروي نحوه من وجه آخر مرسلا [3] ؛ وروي عن عبد الله بن عمرو مرفوعا[4] نحوه أيضًا .

وفي الصحيحين [5] عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال : « **إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر ؛ فإذا وجدوا قومًا يذكرون الله - عز وجل - تنادوا : هلموا إلى حاجتكم . قال : فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء ، قال : فيسألهم ربهم - وهو أعلم بهم - : ما يقول عبادي ؟ قال يقولون : يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك ، فيقول : هل رأوني ؟ فيقولون : لا والله ما رأوك ، فيقول : كيف لو رأوني ؟ قال يقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة وأشد لك تمجيداً وتحميداً ، وأكثر لك تسبيحًا ...** » وذكر بقية الحديث ، وإذا كان مخلوق يقول في مخلوق :

وكنت أرى أن قد تناها بي الهوى   إلى غاية ما فرقها لي مطلـب

فلما تلاقينا وعاينت حسنـهـا   تيقنت أني إنما كنت ألعـب

فكيف بالخالق الملك الحق العظيم الذي لا يُقَدَّرُ حق قدره ، ولا يحيط خلقه به علمًا ، ولا يحصون ثناء عليه ، وهو كما أثنى على نفسه ؟! .

---

(١) في الرقة والبكاء (١٠٥)

(٢) وأخرجه أبو الشيخ في العظمة (٥١٥) ، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة (٢٦٠) . قال ابن كثير (١٤ / ١٨٩) : إسناده لا بأس به .

(٣) أخرجه المروزي في تعظيم قدر الصلاة (٢٥٨)من طريق الحسن عن عمرمرفوعا ، وهو مرسل فالحسن لم يدرك عمر .

(٤) أخرجه البيهقي في « الرؤية » كما في « الحاوي » (ص ١٩٩ - ٢٠٠) موقوفًا على عبد الله بن عمرو .

(٥) أخرجه البخاري (٦٤٠٨) ، ومسلم (٢٦٨٩) .

فصل
« الأسباب الجالبة لمحبة الله »

ومن الأسباب الجالبة لمحبة الله ـ عز وجل ـ معاملة الله بالصدق والإخلاص ومخالفة الهوى ، فإن ذلك سبب لفضل الله على عبده وأن يمنحه محبته .

قال بشر الحافي : قال فتح الموصلي : « من أدام النظر بقلبه ورثه ذلك الفرح بالمحبوب ، ومن آثره على هواه ، ورثه ذلك حبه إياه ، ومن اشتاق إليه وزهد فيما سواه ورعى حقه وخافه بالغيب ، ورثه ذلك النظر إلى وجهه الكريم » .

خرجه أبو نعيم وغيره .

ويقال : إن سرى السقطي ـ رحمه الله تعالى ـ كان له دكان فاحترق السوق الذي فيه دكانه ولم يحترق دكانه ، فأخبر بذلك فقال : « الحمد لله . ثم تفكر في ذلك فرأى أنه قد سر بعطب الناس وسلامته ، فتصدق بما في دكانه ، فشكر الله له ذلك ورقاه إلى درجة المحبة ، وسئل مرة عن حاله فأنشد :

من لم يبت والحب حشو فؤاده ... لم يدر كيف تفتت الأكباد

وبلغ من أمره « أنه لما مرض رفع ماؤه إلى الطبيب ، فلما رآه الطبيب قال : هذا عاشق ! فصعق حامل الماء وغشي عليه . ونظروا إلى جسده مرة وكان سقيمًا مضنيًا ، فقال : لو شئت أن أقول هذا كله من محبته لقلت ».

« وسئل المرتعش : بم تنال المحبة ؟ قال : بموالاة أولياء الله ـ عز وجل ـ ومعاداة أعدائه وأصله الموافقة » .

ومن أعظم ما تستجلب به المحبة : كثرة الذكر مع الحضور .

وقال ذو النون : « من شغل قلبه ولسانه بالذكر قذف الله في قلبه الاشتياق إليه» .

وقال إبراهيم بن الجنيد : « كان يقال : من علامة المحبة لله : دوام الذكر

بالقلب واللسان ، وقل ما ولع المرء بذكر الله - عز وجل - إلا أفاد منه حب الله - جل جلاله ».

ومما يستجلب به المحبة تلاوة القرآن بالتدبر والتفكر ، ولا سيما الآيات المتضمنة للأسماء والصفات والأفعال الباهرات ، ومحبة ذلك يستوجب به العبد محبة الله ومحبة الله له .

وفي الصحيحين [1] عن أنس « أن رجلا كان يصلي بهم ويختم قراءته ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ فأمر النبي ﷺ أن يسأل عن ذلك ، فقال إنها صفة الرحمن وأنا أحب أن أقرأها ؟ فقال ﷺ : **أخبروه أن الله يحبه** » .

ومن أسباب المحبة تذكر ما ورد في الكتاب والسنة من رؤية أهل الجنة لربهم وزيارتهم له واجتماعهم يوم المزيد ، فإن ذلك تستجلب به المحبة الخالصة .

وقد أشار إلى ذلك الحسن قال دلهم عن الحسن : « أوصيكم بتقوى الله - عز وجل - وإدمان التفكر ، فإنه مفتاح خلال الخير كله ، وبه يخص الله كل موفق ، واعلموا أن خير ما ظفرتم به مدرك من تفكر بخالصة الله وشرب بكأس حبه ، وأن أحباء الله هم الذين ظفروا بطيب الحياة ، وذاقو لذة نعيمها بما وصلوا إليه من مناجاة حبيبهم ، وما وجدوا من حلاوة حبه في قلوبهم ، ولا سيما إذا خطر على بال أحدهم ، وذكر مشافهته وكشف ستور الحجب عنه في المقام الأمين والسرور الدائم وأراهم جلاله ، وأسمعهم لذيذ منطقه ، ورد عليهم جواب ما ناجوه به أيام حياتهم ؛ إذ قلوبهم به مشغوفة ، وإذ مودتهم إليه معطوفة وإذ هم له مأثورون وإليه منقطعون ، فليبشر المصفون له ودهم بالمنظر العجيب بالحبيب ، فوالله ما أراه يحل لعاقل ، ولا يجمل به أن يستوعبه حب أحد سوى حب الله - عز وجل » .

خرجه ابن أبي الدنيا وغيره .

---

(1) أورده البخاري (٧٧٤) تعليقًا من حديث أنس .
والذي في الصحيحين : رواية عائشة عند البخاري (٧٣٧٥) ، ومسلم (٨١٣) .

الباب الرابع
في علامات المحبة الصادقة

من التزام طاعة الله - تعالى - والجهاد في سبيله واستحلاء الملامة في ذلك واتباع رسوله . قال الله - جل وعلا - : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [المائدة: ٥٤] .

قال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٣١] .

فوصف الله - سبحانه - المحبين له بخمسة أوصاف :

أحدها :

الذلة على المؤمنين ، والمراد لين الجانب وخفض الجناح والرأفة والرحمة للمؤمنين ، كما قال تعالى لرسوله : ﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء : ٢١٥] ووصف أصحابه بمثل ذلك في قوله : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح: ٢٩] وهذا يرجع إلى أن المحبين لله يحبون أحباءه ويعودون عليهم بالعطف والرأفة والرحمة ، وقد سبق في الباب الأول بيان ذلك .

الثاني :

العزة على الكافرين ، والمراد الشدة والغلظة عليهم ، كما قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ﴾ [التوبة: ٧٣ ، التحريم: ٩] .

وهذا يرجع إلى أن المحبين له يبغضون أعداءه ، وذلك من لوازم المحبة

الصادقة كما سبق تقريره أيضًا .

الثالث :

الجهاد في سبيل الله وهو مجاهدة أعدائه باليد واللسان ، وذلك أيضًا من تمام معاداة أعداء الله الذي تستلزمه المحبة ، وأيضا فالجهاد في سبيل الله فيه دعاء الخلق إلى الله وردهم إلى بابه بالقهر لهم والغلبة ، كما قال تعالى : ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

قال مجاهد وغيره : يعني : كنتم خير الناس للناس ، فخير الناس للناس أنفعهم لهم ، ولا نفع أعظم من الدعاء إلى التوحيد والطاعة والنهي عن الشرك والمعصية .

«وسئل الحسن البصري عن رجل له أم فاجرة فقال : يقيدها ؛ فما وصلها بشيء أعظم من أن يكفها عن معاصي الله ـ تعالى » .

قال إبراهيم بن أدهم : « سمعت رجلين من الزهاد يقول أحدهما للآخر يا أخي ، ما ورث أهل المحبة محبتهم ؟ قال : فأجابه الآخر : ورثوا النظر بنور الله والعطف على أهل معاصي الله. قال : فقلت له : كيف يعطف على قوم قد خالفوا أمر محبوبهم ؟ فقال : مقت أعمالهم وعطف عليهم ليزيلهم بالمواعظ عن فعالهم وأشفق على أبدانهم من النار . لا يكون المؤمن مؤمنًا حقًّا حتى يرضى للناس ما يرضاه لنفسه » .

الرابع :

أنهم لا يخافون لومة لائم ، والمراد أنهم يجتهدون فيما يرضى به من الأعمال ولا يبالون بلومة من لامهم في شيء منه إذا كان فيه رضا ربهم .

وهذا من علامات المحبة الصادقة ، أن المحب يشتغل بما يرضي به حبيبه ومولاه ، ويستوي عنده من حمده في ذلك أو لامه ، وفي هذا المعنى يقول بعضهم :

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي   متأخر عنه ولا متقـــــــــدم

أجد الملامة في هواك لذيـــــذة   حبًّا لذكرك فليلمني اللــــــوم

الخامس :

متابعة الرسول ﷺ وهو طاعته واتباعه في أمره ونهيه .

قال مبارك بن فضالة عن الحسن : « كان ناس على عهد النبي ﷺ يقولون : يا رسول الله ، إنا نحب ربنا حبًّا شديدًا . فأحب الله أن يجعل لحبه علمًا ، فأنزل الله ـ تبارك وتعالى ـ : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٣١] » .

وقد قرن الله بين محبة رسوله في قوله تعالى: ﴿ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ﴾ [التوبة: ٢٤] وكذلك ورد في السنة في أحاديث كثيرة جدًّا سبق ذكر بعضها ، والمراد أن الله تعالى لا توصل إليه إلا من طريق رسوله ﷺ باتباعه وطاعته .

كما قال الجنيد وغيره من العارفين : « الطرق إلى الله مسدودة إلا من اقتفى أثر الرسول ﷺ »

وكلام أئمة العارفين في هذا الباب كثير جدًّا .

قال إبراهيم بن الجنيد : « يقال علامة المحب على صدق الحب ست خصال:

أحدها : دوام الذكر بقلبه بالسرور بمولاه .

والثانية : إيثاره محبة سيده على محبة نفسه ومحبة الخلائق ، يبدأ بمحبة مولاه قبل محبة نفسه ومحبة الخلائق .

والثالثة : الأنس به ، والاستثقال لكل قاطع يقطع عنه أو شاغل يشغله عنه .

والرابعة : الشوق إلى لقائه والنظر إلى وجهه .

الخامسة : الرضا عنه في كل شديدة وضر ينزل به .

والسادسة : اتباع رسوله ﷺ .

ومحبة الرسول ﷺ على درجتين :

إحداهما فرض :

وهي المحبة التي تقتضي قبول ما جاء به الرسول ﷺ من عند الله وتلقيه بالمحبة والرضا والتعظيم والتسليم ، وعدم طلب الهدى من غير طريقه بالكلية، ثم حسن الاتباع له فيما بلغه عن ربه من تصديقه في كل ما أخبر به ، وطاعته فيما أمر به من الواجبات ، والانتهاء عما نهي عنه من المحرمات ، ونصرة دينه والجهاد لمن خالفه بحسب القدرة .

فهذا القدر لا بد منه ولا يتم الإيمان بدونه .

والدرجة الثانية فضل ، وهي المحبة التي تقتضي حسن التأسي به ، وتحقيق الاقتداء بسنته في أخلاقه وآدابه ونوافله وتطوعاته وأكله وشربه ولباسه وحسن معاشرته لأزواجه ، وغير ذلك من آدابه الكاملة وأخلاقه الطاهرة ، والاعتناء بمعرفة سيرته وأيامه واهتزاز القلب عند ذكره ، وكثرة الصلاة عليه لما سكن في القلب من محبته وتوقيره ومحبة استماع كلامه ،وإيثاره على كلام غيره من المخلوقين .

ومن أعظم ذلك الإقتداء به في زهده في الدنيا والاجتزاء باليسير منها ورغبته في الآخرة .

قال سهل التستري : من علامات حب الله : حب القرآن وعلامة حب الله وحب القرآن وحب النبي ﷺ وعلامة حب النبي ﷺ : حب السنة ، وعلامة حب السنة :حب الآخرة ، ومن علامة حب الآخرة : بغض الدنيا ، وعلامة بغض الدنيا أن لا يأخذ منها إلا زاداً يبلغه إلى الآخرة .

❋ ❋ ❋

فصل
«بعض الآثار عن الحب »

وقد ذكرنا في الباب الأول أن محبة الله ـ عز وجل ـ الواجبة تقتضي محبة ما أوجب من الطاعات وامتثالها ، وكراهة ما كرهه من المحرمات واجتنابها ، وأن محبته المستحبة تقتضي محبة التقرب إليه بالنوافل والورع عن دقائق المكروهات ، والمحبة الواجبة تقتضي أيضًا مخالفة الهوى ، وإيثار ما يحبه ويرضاه على ما تشتهيه الأنفس وتهواه ، فإذا تمكنت المحبة في القلب ، وامتلأ القلب منها أخرجت من القلب محبة كل ما يكرهه الله فلم يبق في القلب سوى محبة الله ومحبة ما يحبه ، فلم تنبعث الجوارح إلا إلى الطاعات التي تقتضي التقرب إلى الله، وصارت النفس حينئذ مطمئنة .

وإلى هذا الإشارة في الحديث الإلهي : « **فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ...**»، وقد سبق ذكره .

وروى إبراهيم بن الجنيد بإسناده عن فرقد السبخي قال : « قرأت في بعض الكتب : من أحب الله ـ تعالى ـ لم يكن شيء عنده آثر من هواه ، ومن أحب الدنيا لم يكن شيء عنده آثر من هوى نفسه » .

والمحبة منتهى القربة والاجتهاد ، ولم يسأم المحبون من طول اجتهادهم لله ـ عز وجل ـ يحبونه ويحبون ذكره ويحببونه إلى خلقه ، ويمشون بين عباده بالنصائح ويخافون عليهم من أعمالهم يوم تبدو الفضائح ، وأولئك أولياء الله وأحباؤه وأهل صفوته ، أولئك الذين لا راحة لهم دون لقائه .

وعن ثور بن زيد قال : « نظر الله ـ عز وجل ـ إلى داود ـ عليه السلام ـ وهو وحداني منتبذ ، فقال : مالك وحداني ؟ قال : « عاديت الخلق فيك .

قال: أو ما علمت أن من محبتي أن تعطف على عبادي وتأخذ عليهم بالفضل ؟ هنالك أكتبك من أوليائي ومن أحبائي ؛ فإذا كنت كذلك كتبتك في ديوان أهل المحبة» .

وعن عبيد الله بن محمد التيمي قال : سمعتهم يذكرون عن بعض أولئك الفخام أنه قال : « إن العمل على المخالفة قد يغيره الرجاء ، والعمل على المحبة لا يدخله الفتور » .

وعن عبد الله بن أبي نوح قال : « سمعت رجلا من العباد يقول في كلامه : إذا سئم الباطلون من بطالتهم فلن يسأم محبوبك من مناجاتك وذكرك » .

وعن أبي جعفر المحبوبي قال : « ولي الله : المحب لله ، لا يخلو قلبه من ذكر ربه ، ولا يسأم من خدمته ، فإذا أعرض أعرض عنه ، وإذا أقبل إلى الله أقبل عليه برأفته ورحمته » .

وعن مسلم أبي عبد الله قال : « من أحب الله ـ عز وجل ـ آثر هوى الله ـ عز وجل ـ على هوى محبة نفسه ، ومن خشي الله ـ تعالى ـ خرج من الدنيا بحسرات ، والمؤمن من الله ـ عز وجل ـ بمنزلة كل خير بين خوف وشفقة وطاعة ومحبة » .

وعن الفضيل بن عياض قال : « الحب أفضل من الخوف ، ألا ترى إذا كان لك عبدان أحدهما يحبك والآخر يخافك ، فالذي يحبك منهما ينصحك شاهداً كنت أو غائبًا لحبه إياك ، والذي يخافك عسى أن ينصحك إذا شهدت لما يخاف ، ويغشك إذا غبت ولم ينصحك » .

وعن سعيد بن عمر أن ابن زرارة قال : « سمعت كَلابَ بن جُرَي يقول لرجل من الطفاوة وهو يوصيه بطرائق البر ، فقال له :

وكن لربك ذا بر لتخدمه — إن المحبين للأحباب خدام

قال : فصاح الطفاوي صيحة ، فخر مغشيًا عليه » .

وعن أبي عبد الرحمن المغازلي قال: « لا يعطى طريق المحبة غافل ولا ساه .

المحب لله ـ تعالى ـ طائر القلب ، كثير الذكر ، متسبب إلى رضوانه بكل سبيل يقدر عليه من الوسائل والنوافل دوبًا دوبًا ، وشوقًا شوقًا » .

وعن محمد بن النضر الحارثي قال : « ما يكاد يمل القربة إلى الله ـ عز وجل ـ محب لله ـ عز وجل ـ ولا يكاد يسأم من ذلك » .

وقال محمد بن نعيم الموصلي : « إن القلب الذي يحب الله يحب التعب والنصب لله ، إنه لن ينال حب الله بالراحة » .

وذكر ابن أبي الدنيا بإسناده « أن رجل قال لبعض العارفين : أوصني . قال: افش فعل الخيرات ، وتوصل إلى الله بالحسنات، فإني لم أر شيئًا قط أرضى للسيد مما يحب ؛ فبادر في محبته يسرع في محبتك . ثم بكى فقال له : زدني رحمك الله . قال : الصبر على محبة الله وإرادته رأس كل بر ـ أو قال : كل خير » .

واجتمع أحمد بن أبي الحواري وقاسم الجوعي وجماعة من الصالحين بعد صلاة العتمة ، وقد خرجوا من المسجد إلى بيت رجل قد دعاهم إلى طعام صنعه لهم ، فأنشدهم رجل قبل دخول الباب :

علامة صدق المستخصين بالحب ... بلغوهم المجهود في طاعة الرب

وتحصيل طيب القوت من مجتنائه ... وإن كان ذاك القوت في مرتقى صعب

فلم يزل يردده وهم قيام حتى أذن مؤذن الفجر ورجعوا إلى المسجد .

وقد رُويت بيتان آخران مع هذين البيتين وهما :

وإمساك سوء اللفظ عن ولَه جنسهم ... وإن ظلموا فالعفو من ذاك بالخطب

أولئك بالرحمن قرت عيونهم ... وحلوا من الإخلاص بالمنزل الرحب

وقال نصر : « اجتمعنا ليلة على الساحل ومعنا مسلم أبو عبد الله ، فقال رجل من الأزد :

ما للمحب سوى إرادة حبه ... إن المحب بكل بر يضرع

قال : فبكى مسلم حتى خشيت والله أن يموت » .

خرجه ابن أبي الدنيا .

الباب الخامس
في استلذاذ المحبين بكلام محبوبهم وأنـه غـذاء قلـوبهـم وغايـة مطـلوبهـم

خرج ابن ماجه [1] والترمذي من رواية موسى بن عبيدة عن المقبري عن الأدرع السلمي قال : « كان رجل يقرأ قراءة عالية ، فمات بالمدينة فحملوا نعشه ، فقال النبي ﷺ : **ارفقوا به رفق الله به ، إنه كان يحب الله ورسوله** . قال : وحضر حضرته فقال : **أوسعوا له وسع الله عليه** فقال بعض الصحابة : يا رسول الله، لقد حزنت عليه ؟ قال : **أجل ، إنه كان يحب الله ورسوله** » .

وروى أبو إسحاق ، عن عبد الرحمن بن يزيد ، عن ابن مسعود قال : « لا يسأل عبد عن نفسه إلا القرآن ، فإن كان يحب القرآن فإنه يحب الله ورسوله » .

ورواه الحر بن مالك ، عن شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله مرفوعًا [2] : « **من سره أن يحب الله ورسوله فليقرأ في المصحف** » والموقوف أصح [3] .

---

(1) برقم (١٥٥٩) قال البوصيري في مصباح الزجاجة (١/٥٠٨) ليس لأدرع السلمي هذا عند ابن ماجه سوى هذا الحديث ، وليس له شيء في الخمسة الأصول ، وإسناد حديثه ضعيف ؛ لضعف موسى بن عبيدة الربذي .

(2) أخرجه ابن عدي في الكامل (٢/٤٤٩) ، وأبو نعيم في الحلية (٧/٢٠٩) ، والبيهقي في الشعب (٢٠٢٧) .
قال ابن عدي : وهذا لا يرويه عن شعبة غير الحر بهذا الإسناد ، وللحر عن شعبة وعن غيره أحاديث ليست بالكثيرة ، وأما هذا الحديث عن شعبة بهذا الإسناد فمنكر.
وقال أبو نعيم في الحلية : غريب ، تفرد به الحر بن مالك .
وقال البيهقي : هكذا روي بهذا الإسناد مرفوعًا ، وهو منكر ، تفرد به أبو سهل الحر بن مالك عن شعبة .

(3) أخرجه عبد الرزاق في « مصنفه » (٥٩٧٩) ، وابن أبي شيبة في « مصنفه » =

ورويناه من طريق سلمة بن كهيل ، عن عبد الرحمن بن يزيد ، عن ابن مسعود قال : « من كان يحب أن يعلم أنه يحب الله - عز وجل - فليعرض نفسه على القرآن ، فمن أحب القرآن فهو يحب الله - عز وجل - فإنما القرآن كلام الله - عز وجل » .

وقال أحمد بن أبي الحواري : سمعت ابن عيينة يقول : « لا تبلغون ذروة هذا الأمر حتى لا يكون شيء أحب إليكم من الله - عز وجل - ، فمن أحب القرآن فقد أحب الله - عز وجل » .

قال أحمد بن أبي الحواري : سمعت محمد بن حفص يذكر عن عروة الرقي قال : « حب الله - عز وجل - : حب القرآن ، وحب رسول الله ﷺ : العمل بسنته»

وقال أبو سعيد الخراز : « من أحب الله - عز وجل - أحب كلامه ولم يشبع من تلاوته » .

وقال أبو طالب المكي : قال سهل بن عبد الله : « علامة حب الله : حب القرآن » .

قال : وروينا عن أبي تراب النخشبي هذه الأبيات :

لا تخدعن فللمحب دلائـــل	ولديه من تحف الحبيب وسائل
منها تنعمه بمر بلائــــه	وسروره في كل ما هو فاعـــل
فالمنع منه عطية مقبولـــة	والفقر إكرام وبر عاجـــل
ومن الدلائل أن يرى من عزمــه	طوع الحبيب وإن ألح العـــاذل
ومن الدلائل أن يـــرى متبسمًا	والقلب فيه من الحبيب بلابـل
ومن الدلائل أن يرى متفهمـــا	لكلام من يحظى لديه الســـائل

= (١٠/ ٥٣١) ، والطبراني في الكبير (٩/ ٨٦٨٧) ، والبيهقي في « الشعب » (٢٠٢٨، ٢٠٢٩) .

ومن الدلائل أن يرى متقشفــا متحفظا في كل ما هو قائــل

وقال أبو طالب : حدثونا عن بعض المريدين قال : « وجدت حلاوة المناجاة في مر الإرادات ، فأدمت على قراءة القرآن ليلا ونهاراً ، ثم لحقني فترة فانقطعت عن التلاوة ، فسمعت قائلا يقول في المنام : إن كنت تزعم حبي فلم جفوت كتابي ؟ أما ترى إلى ما فيه من لطيف عتابي .

قال: فانتبهت وقد أُشْرب قلبي محبة القرآن ، فعاودت إلى حالي الأولى » .

* * *

الباب السادس
في أنس المحبين بالله
وأنه ليس لهم مقصود من الدنيا والآخرة سواه

ثبت في الصحيحين [1] والسنن [2] والمسانيد [3] من غير وجه أن «جبريل - عليه السلام - سأل النبي ﷺ عن الإحسان ، فقال النبي ﷺ : « **الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك** » .

وقال بعض العارفين من السلف : « من عمل لله على المشاهدة فهو عارف ، ومن عمل على مشاهدة الله إياه فهو مخلص »

فهذان مقامان :

أحدهما : الإخلاص ، وهو أن يعمل العبد على استحضار مشاهدة الله إياه واطلاعه عليه وقربه منه ، فإذا استحضر العبد ذلك في عمله وعمل على هذا المقام فهو مخلص لله ؛ لأن استحضاره ذلك يمنعه من الالتفات إلى غير الله وإرادته بالعمل .

والثاني : المعرفة التي تستلزم المحبة الخالصة ، وهو أن يعمل العبد على مشاهدة الله بقلبه ، وهو أن يتنور قلبه بنور الإيمان وتنفذ بصيرته في العرفان حتى يصير الغيب عنده كالعيان ، وهذا هو مقام الإحسان المشار إليه في حديث جبريل - عليه السلام - ويتفاوت أهل هذا المقام فيه بحسب قوة نفوذ البصائر .

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠، ٤٧٧٧) ،ومسلم (١) .
(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٧٠) ، والترمذي (٢٦١٠) والنسائي (٨ / ٩٧) ابن ماجه (٦٣) .
(٣) أخرجه أحمد (١/ ٢٧ ، ٥١ ، ٣١٩) ، (٢/ ١٠٧) ، (٢/ ٤٢٦) ، (٤ / ١٢٩).

وقد فسر طائفة من العلماء المثل العلي المذكور في قوله تعالى : ﴿ وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ [الروم:٢٧] بهذا ، ومثله قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ﴾ [النور:٣٥] .

وقد فسرها أُبي بن كعب وغيره من السلف بأن المراد مثل نور الله في قلب المؤمنين .

ومن هذا حديث حارثة المشهور لما قال النبي ﷺ « وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزًا ؛ وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها ، وإلى أهل النار يتعاوون فيها . فقال النبي ﷺ : **عرفت فالزم ، عبد نَوَّرَ اللهُ الإيمان في قلبه** » .

وهذا الحديث مروي مرسلا ، وروي مسندًا متصلا ، لكن من وجوه ضعيفة[١] .

« وخطب عروة إلى ابن عمر ابنته وهما في الطواف فلم يجبه بشئ ، ثم رآه بعد ذلك فاعتذر إليه . وقال : كنا في الطواف نتخايل الله بين أعيننا » .

خرجه أبو نعيم [٢] وغيره [٣] .

ويتولد من هذين المقامين للعارفين مقام الحياء من الله ـ عز جل ـ ، وقد أشار النبي ﷺ إلى ذلك في حديث بهز بن حكيم ، عن أبيه ، عن جده [٤] « أنه سئل عن كشف العورة خاليًا ، فقال : الله أحق أن يستحيا منه »

وقد ندب النبي ﷺ إلى دوام استحضار معية الله وقربه وإلى الحياء منه بذلك

---

(١) تم تخريجه في موضع آخر من مجموع الرسائل .
(٢) في الحلية (١ / ٣٠٩) .
(٣) وأخرجه الفاكهي في « أخبار مكة » (٣٣٩) .
(٤) علقه البخاري (٤٥٨/١) .
وأخرجه أبو داود (٣٩٩٨ ـ عون) ، والترمذي (٢٩١٩ ، ٢٩٤٦ ـ تحفة) وقال : حسن ، إلا أن المزي نقل عنه في أحد الموضعين أنه قال : غريب كما في تحفة الأشراف (٤٢٨/٨) .

في غير حديث ، كما دل عليه قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ [الحديد: ٤] وقوله تعالى : ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ... ﴾ الآية [يونس: ٦١] .

وخرج البزار من حديث عبد الله بن معاوية الغاضريّ « أن رجلا قال : يا رسول الله ، ما تزكية المرء نفسه ؟ قال : **أن يعلم أن الله حيث كان معه** » .

وخرج الطبراني [١] من حديث عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال : « **أفضل الإيمان أن تعلم أن الله معك حيث كنت** » وبإسناد فيه نظر من حديث أبي أمامة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ : « **ثلاثة في ظل الله - تعالى - يوم لا ظل إلا ظله : رجل حيث توجه علم أن الله معه** ... » [٢] إلخ .

ومن حديث سعيد بن يزيد الأزدي « أنه قال للنبي ﷺ : أوصني .

قال : **أوصيك أن تستحي من الله كما تستحي رجلا صالحًا من صالحي قومك**» [٣] . ورويناه بإسناد فيه ضعف من حديث أبي أمامة أن النبي ﷺ قال : «**استح من الله استحياؤك من رجلين من صالحي عشيرتك هما معك لا يفارقانك**»[٤] .

---

(١) في الكبير ، والأوسط (٨٧٩٦) . وقال الطبراني : لم يرو هذا الحديث عن عروة بن رويم إلا محمد بن مهاجر ، تفرد به عثمان بن كثير .
قال الهيثمي في المجمع (١ / ٦٠): رواه الطبراني في الأوسط وفي الكبير ، وقال : تفرد به عثمان بن كثير .
قلت : ولم أر من ذكره بثقة ولا جرح ا.هـ .
وأخرجه أبو نعيم في الحلية (٦/ ١٢٤) وقال : غريب من حديث عروة ، لم نكتبه إلا من حديث محمد بن مهاجر .

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٨/ ٧٩٣٥) . وقال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٢٧٩) : وفيه بشر بن نمير، وهو متروك .

(٣) أخرجه أحمد في الزهد (٢٤٨) والطبراني في « الكبير » (٦/ ٥٧٦) .
وقال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٢٨٤) : ورجاله وثقوا علي ضعف في بعضهم .

(٤) أخرجه ابن عدي في الكامل (٢/ ١٣٦) وقال : وهذا الحديث بهذا الإسناد ليس =

في هذا المعنى يقول بعضهم :

كأن رقيب منك يرعى خواطـــري   وآخر يرعى ناظري ولساني
فما أبصرت عيناي بعدك منظـــراً   لغيرك إلا قلت قد رمقاني
ولابدرت من في بعدك لفظـــــة   لغيرك إلا قلت قد سمعاني
ولاخطرت من ذكر غيرك خطـــرة   على القلب إلا عرجا بعناني
إذا ما تسلى القاعدون عن الهـوى   بذكر فلان أو كلام فلان
وجدت الذي يسلي سواي يشوقني   إلى قربكم حتى أمل مكاني
وإخوان صدق قد سئمت لقاءهـــم   وغضضت طرفي عنهمو ولساني
وما البغض أسلى عنهمو غير أنـني   أراك على كل الجهات تراني

ويتولد من ذلك أيضًا الأنس بالله والخلوة لمناجاته وذكره واستثقال ما يشغل عنه من مخالطة الناس والاشتغال بهم ، وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال : « إن أحدكم إذا كان يصلي فإنما يناجي ربَّهُ أو ربُّهُ بينه وبين القبلة » [(١)] .

وأنه قال : « إن الله قبل وجهه إذا صلى » [(٢)] .

وفي حديث الحارث الأشعري عن النبي ﷺ : « أن الله تعالى ينصب وجهه لوجه عبده في صلاته ما لم يلتفت » [(٣)] وفي حديث أبي هريرة [(٤)] وأبي

= يرويه غير صغدي ، وإنما يروي هذا الحديث الليث بن سعد » .
وقال الألباني في الضعيفة (١٥٠٠) : وهذا إسناد واه جدًا » .

(١) أخرجه البخاري (٤٠٥) وفي مواضع أخري ، ومسلم (٥٥١) من حديث أنس .
وأخرجه البخاري (٤١٦) من حديث أبي هريرة .

(٢) أخرجه البخاري (٤٠٦) وفي مواضع أخري ، ومسلم (٥٤٧) من حديث ابن عمر .

(٣) أخرجه أحمد (٤/ ١٣٠ ، ٢٠٢) ، والترمذي (٣٠٢٣، ٣٠٢٤ تحفة) .
قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح غريب .
وقال في رقم (٣٠٢٤ تحفة). : هذا حديث حسن غريب . بينما في السنن المطبوعة بتحقيق إبراهيم عطوة برقم (٢٨٦٤) قال : هذا حديث حسن صحيح غريب .

(٤) ذكره البخاري « معلقًا » (١٣/ ٥٠٨) وأخرجه في خلق أفعال العباد (٣٤٤)

الدرداء [1] عن النبي ﷺ قال : « يقول الله - عز وجل - : **أنا مع عبدي إذا ذكرني وتحركت بي شفتاه** » .

وصح من حيث أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ : « يقول - الله تعالى - : **أنا عند ظن عبدي بي أنا معه حيث يذكرني ؛ فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملإ ذكرته في ملإ خير منهم، وإن اقترب إلي شبراً اقتربت إليه ذراعًا ، وإن اقترب إلى ذراعًا اقتربت إليه باعًا ، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة** » [2] .

وروينا بإسناد فيه نظر عن أنس مرفوعًا : « **إذا أحب أحدكم أن يحدث ربه فليقرأ** » [3] .

وقال ثور بن يزيد : « قرأت في التوراة أن عيسى - عليه السلام - قال : **يا معشر الحواريين ، كلموا الله كثيراً وكلموا الناس قليلا** . قالوا : كيف نكلم الله كثيراً ؟! قال: **اخلوا بمناجاته ، اخلوا بدعائه** » .

خرجه أبو نعيم .

والتوراة اسم جنس للكتب المتقدمة كلها وتسمى أيضًا إنجيلا وقرآنًا .

وخرج أيضًا بإسناد فيه ضعف عن رباح قال : « كان عندنا رجل يصلي كل يوم وليلة ألف ركعة حتى أقعد من رجليه ، فكان يصلي جالسًا ألف ركعة ، فإذا صلى العصر احتبى فاستقبل القبلة ويقول : عجبت للخليقة كيف أنست بسواك ؟ بل عجبت للخليقة كيف استنارت قلوبها بذكر سواك ؟!» .

---

(١) أخرجه الحاكم (١/ ٤٩٦) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

(٢) أخرجه البخاري (٧٥٠٥) ، ومسلم (٢٦٧٥) .

(٣) أخرجه الخطيب في «تاريخه» (٧ / ٢٣٩) ونقل العلامة الألباني في الضعيفة (١٨٤٢) قول ابن عبد الهادي الحنبلي في « هداية الإنسان » (٢/ ٣٢/ ١) : إسناده مظلم ، ولا يثبت مرفوعًا .

قال الألباني - رحمه الله - : ولا موقوفًا ، فإنه لم يرد إلا من هذا الوجه الواهي . وحكم على الحديث بأنه ضعيف جدًا .

ورويناه من حديث أبي أسامة قال : « دخلت على محمد بن النضر الحارثي فرأيته كأنه ينقبض ، فقلت : كأنك ترى تكره أن تؤتى ؟

قال : أجل . قلت : أو ما تستوحش ؟ قال : كيف أستوحش وهو يقول : أنا جليس من ذكرني ؟! .

وقال بكر المزني : « من مثلك يا ابن آدم ، خلى بينك وبين المحراب والماء ، كلما شئت دخلت على الله ـ عز وجل ـ ليس بينك وبينه ترجمان » . خرجه عبد الله بن الإمام أحمد .

وروى ابن أبي الدنيا بإسناده عن شميط بن عجلان قال : « إن الله وسم الدنيا بالوحشة ليكون أنس المنقطعين به » .

وعن حبيب أبي محمد « أنه كان يخلو في بيته ثم يقول : من لم تقر عينه بك فلا قرت ، ومن لم يأنس بك فلا أنس » .

وعن زكريا بن عدي قال : « سمعت عابداً باليمن يقول :سرور المؤمن ولذته في الخلوة بمناجاة سيده ـ عز وجل » .

وعن أحمد بن أبي الحواري قال : حدثني أبو عبد الرحمن الأزدي قال : «مررت برجل ببيروت مدلى الرجلين في البحر يكبر . فقلت : يا شاب ، ما لك جالس وحدك ؟ قال : اتق الله ولا تقل إلا حقا ، ما كنت قط وحدي منذ ولدتني أمي ، إن معي ربي ـ عز وجل ـ حيثما كنت ، ومعي ملكان يحفظان علي ، وشيطان ما يفارقني ، فإذا عرضت لي حاجة إلى ربي سألته إياها بقلبي فجاءني بها» .

وعن إبرهيم بن أدهم قال : « اتَّخِذِ الله صاحبًا ودع الناس جانبًا » .

وعن عبد الواحد بن زيد قال : « كان أصحاب غزوان يقولون له : ما يمنعك عن مجالسة إخوانك ؟ فيبكي ويقول : إني أصبت راحة قلبي في مجالسة من لديه حاجتي » .

وعن مسلم بن يسار قال : « ما تلذذ المتلذذون بمثل الخلوة بمناجاة الله عز وجل » .

وعن عبد العزيز بن سليمان الراسبي ، وكانت رابعة تسميه : سيد العابدين «أنه قيل له : ما بقي مما يتلذذ به ؟ قال : سرداب أخلو بربيَ فيه » .

وعن مسلم العابد قال : « لولا الجماعة ـ يعني : الصلاة في الجماعة ـ ما خرجت من باب أبداً حتى أموت .

وقال : ما يجد المطيعون الله لذة في الدنيا أحلى من الخلوة بمناجاة سيدهم ، ولا أحب لهم في الآخرة من عظيم الثواب أكبر في صدورهم وألذ في قلوبهم من النظر إلى الله ـ عز وجل ـ ثم غشي عليه » .

وعن شعيب بن حرب قال : « دخلت على مالك بن مغول وهو جالس في بيته وحده ، فقلت : ألا تستوحش ؟ قال : أو يستوحش مع الله أحد ؟! » .

وعن يحيى بن سعيد قال : قال نصر بن يحيى بن أبي كثير ـ وكان من الحكماء : ـ « لم نجد شيئًا أبلغ من الزهد في الدنيا من ثبات حرث الآخرة في قلب العبد ، ومن ثبت ذلك في قلبه آنسه بالوحدة فأنس بها واستوحش من المخلوقين ، فأول ما يهيج من حب الخلوة طلب العبد الإخلاص والصدق في جميع قوله وفعله فيما بينه وبين ربه ، ويهيج منها الزهد في معرفة الناس والأنس بالله ـ تبارك وتعالى ـ ويهيج منها الوحشة من الناس والاستثقال لكلامهم والأنس بكلام رب العالمين » .

ويروى عن إبراهيم بن أدهم قال : « أعلى الدرجات أن تنقطع إلى ربك وتستأنس إليه بقلبك وعقلك وجميع جوارحك حتى لا ترجو إلا ربك ولا تخاف إلا ذنبك وترسخ محبته في قلبك حتى لا تؤثر شيئًا عليه ؛ فإذا كنت كذلك لم تبال في بر كنت أو في بحر أو في سهل أو في جبل ؛ وكان شوقك بلقاء الحبيب شوق الظمآن إلى الماء البارد ، وشوق الجائع إلى الطعام الطيب ، ويكن ذكر الله ـ عز وجل ـ عنك أحلى من العسل وأشهى من الماء العذب الصافي عن العطشان في

اليوم الصائف » .

وقال الفضيل : « طوبى لمن استوحش من الناس وكان الله أنيسه » .

وقال أبو سليمان : « لا آنسني الله ـ عز وجل ـ إلا به أبداً » .

وقال رجل لمعروف الكرخي : « أوصني . قال : توكل على الله حتى يكون جليسك وأنيسك وموضع شكواك ، وأكثر ذكر الموت حتى لا يكون لك جليس غيره ، واعلم أن الشفاء لما نزل بك كتمانه ، وأن الناس لا ينفعونك ولا يضرونك ولا يعطونك ولا يمنعونك » .

وقال سعيد بن عثمان : سمعت ذا النون يقول : « من علامات المحب لله : ترك كل ما يشغله عن الله حتى يكون الشغل بالله وحده . ثم قال : إن من علامات المحبين لله أن لا يأنسوا بسواه ولا يستوحشوا معه ثم قال : إذا سكن حب الله القلب أنس بالله ؛ لأن الله أجل في صدور العارفين من أن يحبوا سواه».

وكانت رابعة العدوية تنشد هذين البيتين :

ولقد جعلتك في الفؤاد محـدثي وأبحت جسمي من أراد جلوسي

فالجسم مني للجليس مؤانـــس وحبيب قلبي في الفؤاد أنيسـي

ورؤي بعض العارفين يصلي في مكان وحده ، فلما سلم قيل له :

« ما معك مؤنس ؟ قال : بلى . قيل له : أين هو ؟ قال : أمامي وخلفي ومعي وعن يميني وعن شمالي وفوقي . قيل له : معك زاد ؟ قال : نعم : الإخلاص . قيل له : أما تستوحش في وحدتك ؟ قال : إن الأنس بالله قطع عني كل وحشة حتى لو كنت بين السباع ما خفتها » .

وقال بعض العارفين : « عجبت لمن عرف الطريق إلى الله كيف يعيش مع غيره ، والله ـ تعالى ـ يقول : ﴿ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ ...﴾ الآية [الزمر:٥٤] » .

ولو استقصينا ما في هذا الباب من الأخبار والآثار لطال الكتاب جداً .

ومن الأنس ـ بالله عز وجل ـ الأنس بكلامه وذكره والأنس بالعلم النافع الذي بلغه رسوله ﷺ عنه .

وروى أبو نعيم بإسناده عن ذي النون قال : « الأنس بالله نور ساطع ، والأنس بالناس غم واقع » .

« قيل لذي النون : ما الأنس بالله ؟ قال : العلم والقرآن » .

ومن كلام الفضيل بن عياض : « كفى بالله محبًا وبالقرآن مؤنسًا وبالموت واعظًا ، اتخذ الله صاحبًا ودع الناس جانبًا .

وقال : « من لم يستأنس بالقرآن فلا أنس الله وحشته » .

وقد روي من حديث أنس مرفوعا : « علامة حب الله : حُبُّ ذكره ، وعلامة بغض الله بغضُ ذكره » [1] من طريقين غير صحيحين .

وكان فتح الموصلي يقول : « المحب لله لا يجد مع حب لله ـ عز وجل ـ للدنيا لذة ، ولا يغفل عن ذكر الله ـ عز وجل ـ طرفة عين » .

خرجه إبراهيم بن الجنيد .

وخرج أيضًا بإسناده عن الربيع بن أنس عن بعض أصحابه قال : « علامة حب الله : كثرة ذكره ، فإنك لن تحب شيئًا إلا أكثرت ذكره ، وعلامة الدين: الإخلاص لله ـ عز وجل ـ وعلامة العلم خشية الله ـ عز وجل ـ ، وعلامة الشكر : الرضا بقضاء الله ـ عز وجل ـ والتسليم للقدر » .

ومما ينشأ من معرفة الله ـ تعالى ـ ومحبته الاكتفاء به والاستغناء به عن خلقه.

ومنه قول أحمد بن عاصم الأنطاكي : « من عرف الله ـ عز وجل ـ اكتفى

---

(١) أخرجه البيهقي في « الشعب » (٤٠٦) من حديث أنس ، قال البيهقي ـ رحمه الله ـ :
وروي من وجه آخر عن زياد بن ميمون ، وزياد منكر الحديث .
وروي من وجه آخر ضعيف عن أنس بن مالك ، والله أعلم .

به ، ومن لم يعرفه اكتفى بخلقه دونه ، ، فطال غمه وكثرت شكايته ، ومن أحب ـ الله تعالى ـ لم يكن في قلبه فضلة لحب أحد ؛ ولو أراد لم يترك »

ومنه قول على بن الكاتب : « إذا انقطع العبد إلى الله بالكلية فأول ما يفيده: الاستغناء به عمن سواه »

ومنه قول بعض العارفين : « من لزم الباب أثبت في الخدم ، ومن استغنى بالله أمن من العدم » .

وفي بعض الإسرائيليات يقول الله ـ عز وجل ـ :

« ابن آدم ، اطلبني تجدني ، فإن وجدتني وجدت كل شيء ، وإن فُتُّكَ فاتك كل شيء ، وأنا أحب إليك من كل شيء »

وأنشد أبو الحسن بن سيار الزاهد :

تنقضي الدنيا وتفنـــى   والفتى فيها مُعَنَّـــى

ليس في الدنيا نعيـــم   لا ولا عيش مهنـــا

يا غنيا بالدنانيـــــــر   محـــب الله أغنـى

ولبعضهم :

وكم كنت أخشى الفقر حتى وجدتكم   فصرت أذل المفلسين عليكمـــــوا

❋ ❋ ❋

فصل
« هم العارفين رؤية ربهم »

وهمم العارفين المحبين متعلقة من الآخرة برؤية الله ، والنظر إلى وجهه في دار كرامته والقرب منه ، وقد سبق قول مسلم العابد في ذلك .

وقال عبد الواحد بن زيد عن الحسن : « لو علم العابدون أنهم لا يرون ربهم يوم القيامة لماتوا » . وفي رواية عنه قال : « لذابت أنفسهم » .

وقال إبراهيم الصائغ : « ما سرني أن لي نصف الجنة بالرؤية . ثم تلا : ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥] » وخرجه ابن أبي حاتم .

وروى ابن منده بإسناده عن عبد الله بن وهب قال : « لو خيرت بين دخول الجنة والنظر إلى ربي - عز وجل - لاخترت النظر إليه سبحانه وتعالى » .

وقال غزوان الرقاشي في قوله تعالى : ﴿ وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ [ق: ٣٥]

قال : « ما يسرني بحظي من المزيد الدنيا جميعها ». خرجه الإمام - أحمد رحمه الله تعالى .

وخرج أيضًا بإسناده عن حبيب أبي محمد قال : « لأن أكون في صحراء ليس عليَّ إلا ظلمة وأنا جار لربي - عز وجل - أحب إلي من جنتكم هذه » وقوله : من « جنتكم هذه » توبيخ لمن تعلق همته من العباد بأنواع نعيم الجنة المتعلق بالمخلوقات فيها مقتصراً على ذلك .

ولهذا كان أبو سليمان يقول : « الدنيا عند الله أقل من جناح بعوضة ، فما قيمة جناح البعوضة حتى يزهد فيها ؟ إنما الزهد في الجنة والحور العين ، وكل نعيم خلقه الله ويخلقه حتى لا يرى الله في قلبك غيره » .

وكان يقول : « أهل المعرفة دعاؤهم غير دعاء الناس ، وهممهم من الآخرة

غير همم الناس » .

وسئل عن أقرب ما يتقرب به العبد إلى الله ـ عز وجل ـ ؟ فبكى وقال : «مثلي يُسْأَلُ عن هذا ؟! أفضل ما يتقرب به العبد إلى الله ـ عز وجل ـ أن يطلع على قلبك وأنت لا تريد من الدنيا والآخرة غيره » .

وقال : « لو لم يكن لأهل المعرفة إلا هذه الآية الواحدة لاكتفوا بها ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة : ٢٢] » .

وقال : « أي شيء أراد أهل المعرفة ؟ ما أرادوا كلهم إلا ما سأل موسى ـ عليه السلام » .

وذكر ابن أبي الدنيا بإسناده عن مسمع بن عاصم قال : اختلف العابدون عندنا في الولاية ؛ فتكلموا في ذلك كلامًا كثيراً ، واجتمعوا على أن يأتوا امرأة من بني عدي يقال لها : أمة الجليل بنت عمرو ، وكانت منقطعة جدًّا من طول الاجتهاد ، فأتوا فعرضوا عليها اختلافهم وما قالوا ، فقالت : ساعات الولي ساعات شغل عن الدنيا ، ليس للولي المستحق في الدنيا من حاجة » . ثم أقبلت على كلاب بن جري فقالت : من حدثك أو أخبرك أن وليه له هم غيره فلا تصدقه . قال مسمع : فما كنت أسمع إلا التصارخ من نواحي البيت » .

وروى إبراهيم ببن الجنيد ، عن محمد بن الحسين قال : حدثني حكيم بن جعفر قال : قال ضيغم لكلاب : « إن حبه شغل قلوب مريديه عن التلذذ بمحبة غيره ، فليس لهم مع حبه لذة تداني محبته ولا يكون في الآخرة من كرامة الثواب أكبر عندهم من النظر إلى وجهه) . قال : فسقط كلاب عند ذلك مغشيا عليه» .

وروى بإسناده عن عبد العزيز بن سليمان العابد أنه كان يقول في كلامه : أنت أيها المحب ، تزعم أن محبتك لله تحقيق ، أما والله لو كنت كذلك لضاقت عليك الأرض برحبها حتى تصل إلى رضا حبيبك وإلى النظر إلى وجهه في دار كبريائه وعزه . قال : ولقد كان إذا أخذ في هذا النعت سمعت التصارخ من نواحي المسجد » .

« وقال حبيب الفارسي ليزيد الرقاشي : بأي شيء تقر عيون العابدين في الدنيا ؟ وبأي شيء تقر عيونهم في الآخرة ؟ فقال : أما الذي تقر عيونهم به في الدنيا ، فما أعلم [شيئًا] [1] أقر لعيون العابدين من التهجد في ظلمة الليل . وأما الذي تقر أعينهم به في الآخرة ، فما أعلم شيئًا من نعيم الجنان وسرورها ألذ عند العابدين ولا أقر لعيونهم من النظر إلي ذي الكبرياء العظيم إذا رفعت تلك الحجب وتجلى لهم الكريم فصاح حبيب عند ذلك صيحة وخر مغشيا عليه ».

وكان علي بن الموفق كثيرًا ما يقول : « اللهم إن كنت تعلم أني أعبدك خوفًا من نارك فعذبني بها ،وإن كنت تعلم أني أعبدك شوقًا إلى جنتك فاحرمنيها ، وإن كنت تعلم أني إنما أعبدك حبا مني لك وشوقًا إلى وجهك الكريم فأبحنيه واصنع بي ما شئت » .

وكانت رقية الموصلية تقول : « إني لأحب ربي حبا شديدًا ، فلو أمر بي إلى النار لما وجدت للنار حرا مع حبه ، ولو أمر بي إلى الجنة لما وجدت للجنة لذة مع حبه هو الغالب علي » .

وكانت تقول : « إلهي وسيدي ومولاي ، لو أنك عذبتني بعذابك كله لكان ما فاتني من قربك أعظم عندي من العذاب ، ولو نعمتني بنعيم الجنة كله ، لكانت لذة حبك في قلبي أكبر » .

ومن كلام ذي النون : « ما طابت الدنيا إلا بذكره ، ولا طابت الآخرة إلا بعفوه ، ولا طابت الجنان إلا برؤيته » .

وقال أحمد بن أبي الحواري : حدثنا محمد بن يحيى الموصلي قال : سمعت نافعًا ـ وكان من عباد الجزيرة ـ يقول : « ليت ربي جعل ثوابي من عملي نظرة مني إليه ، ثم يقول لي : يا نافع : كن ترابا » .

وفي هذا المعنى يقول القائل :

حرمة الود مالي عنكمو عـوض   وليس لي في سواكم سـادتي غرض

---

(١) في « الأصل » : شيء ، والمثبت هو الصواب .

وقد شرطت على قوم صحبتهمو   بأن قلبي بكم من دونهم فرضـــوا

ومن حديثي بكم قالوا به مـرض   فقلت لا زال عني ذلك المـــرض

وأنشد بعض العارفين :

يا حبيب القلوب من لي سـواكـا   ارحم اليوم مذنبا قد أتـاكـــا

أنت سؤلي ومنيتي وســـروري   قد أبى القلب أن يحب سواكـا

يا مرادي وسيدي واعتمـــادي   طال شوقي متى يكون لقاكـــا

ليس سؤلي من الجنان نعيـــم   غيـر أني أريدها لأراكـــــا

***

الباب السابع
في سهر المحبين وخلوتهم
بمناجاة مولاهم الملك الحق المبين

قال الله ـ تعالى ـ : ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ...﴾ الآية [السجدة:١٦] . وأشرف الطمع طمع أهل الجنة في رؤية مولاهم وقربه وجواره .

وروى أبو نعيم بإسناده عن حسين بن زياد قال : « أخذ فضيل بن عياض بيدي فقال : يا حسين ، ينزل الله ـ تعالى ـ كل ليلة إلى سماء الدنيا فيقول : **كذب من ادعى محبتي ؛ فإذا جنه الليل نام عني ، أليس كل حبيب يحب خلوة حبيبه ، ها أنا ذا مطلع على أحبائي إذا جنَّهم الليل مَثُلَتْ نفسي بين أعينهم، فخاطبوني على المشاهدة وكلموني على حضوري ، غداً أقر أعين أحبائي في جناني**».

وروي من وجه آخر ، وفيه : « **جعلت أبصارهم في قلوبهم ، ومثلت نفسي بين أعينهم** » .

وروى أبو نعيم بإسناده عن أحمد بن أبي الحواري قال : « دخلت على أبي سليمان فرأيته يبكي ، فقلت : ما يبكيك ؟ قال : ويحك يا أحمد ؟ إذا جن الليل وخلا كل حبيب بحبيبه افترش أهل المحبة أقدامهم وجرت دموعهم على خدودهم وأشرف الجليل ـ جل جلاله ـ عليهم وقال : **بعيني من تلذذ بكلامي واستروح إلى مناجاتي ، وإني مطلع عليهم في خلواتهم ، أسمع أنينهم وأرى بكاءهم وحنينهم ، يا جبريل ، ناد فيهم ما هذا الذي أراه منكم ؟ وهل خبركم مخبر أن حبيبًا يعذب أحبابه بالنار ، بل كيف يجمل أن أعذب قومًا إذا جنهم الليل**

تملقوني ، فبي حلفت إذا وردوا القيامة عَلَيَّ أن أسفر لهم عن وجهي] (*) وأمنحهم رياض قدسي » .

ورويت هذه القصة من وجه آخر عن أحمد [بن أبي الحواري] (١) عن أبي سليمان ، وفي أولها زيادة وهي : أن الله ـ تعالى ـ ينزل في كل ليلة إلى سماء الدنيا فيقول : كذب من ادعى محبتي ، فإذا جنه الليل نام عني ، كيف ينام (محب)(٢) عن حبيبه ؟ وأنا المطلع عليه ، إذا قاموا جعلت أبصارهم في قلوبهم فكلموني على المخاطبة . . . » وذكر الباقي بمعنى ما تقدم مختصراً .

وروى « أبو نعيم » أيضًا بإسناده عن ذي النون أنه قال :

« لو رأيت أحدهم وقد قام إلى صلاته وقراءته ، فلما وقف في محرابه واستفتح كلام سيده خطر على قلبه أن ذلك المقام هو المقام الذي يقوم الناس فيه لرب العالمين ، فانخلع قلبه وذهل عقله ، فقلوبهم في ملكوت السموات معلقة ، وأبدانهم بين يدي الخالق عارية ، وهمومهم بالفكر دائمة .

وبإسناده عن ذي النون أيضًا « أنه قال في وصفهم :يتلذذون بكلام الرحمن، ينوحون ، به على أنفسهم نوح الحمام ، فرحين في خلواتهم لا تفتر لهم جارحة في الخلوات ، ولا تستريح لهم قدم تحت ستور الظلمات » .

ومن طريق إسحاق السلولي [قال] (٢) : حدثتني أم سعيد بن علقمة ـ وكانت طائية ـ قالت : « كان بيننا وبين داود الطائي جدار قصير ، فكنت أسمع حنينه عامة الليل لا يهدأ (وكثيرا ما) (٣) سمعته يقول في جوف الليل : اللهم همك عطل عَلَيَّ الهموم ، وخالف بيني وبين السهاد ، وشوقي إلى النظر إليك أوثق مني اللذات وحال بيني وبين الشهوات ، فأنا في سجنك أيها الكريم

(*) إلى هنا انتهى السقط المشار إليه آنفًا من النسخة المخطوطة التي اعتمدت عليها في تحقيقي.
(١) من المطبوع .
(٢) في المطبوع : حبيب .
(٣) في المطبوع : ولربما .

مطلوب».

قالت: «وربما ترنم في السحر بشيء من القرآن، فأرى أن جميع نعيم الدنيا جمع في ترنمه تلك الساعة. قالت: وكان يكون في الدار وحده، وكان لا يصبح - أي: لا يسرج».

وروى الحافظ أبو الفرج بإسناده عن الربيع قال: «بت أنا ومحمد بن المنكدر وثابت البناني عند ريحانة المجنونة (بالأُبُلَّةِ) [1] فقامت بالليل وهي تقول:

[ق/١٣] قام المحب إلى المؤمل قومةً كاد الفؤاد من السرور يطير

فلما كان جوف الليل سمعتها تقول أيضًا:

لا تأنسن بمن توحشك نظرته فتمنعن من التذكار في الظلم

واجهد وكد وكن في الليل ذا شجن يسقيك كأس وداد العز والكرم

قال: ثم نادت: واحزناه! واسلباه!. فقلت: مم ذا ؟! فقالت:

ذهب الظلام بأنسه وبإلفه ليت الظلام بأنسه يتجدد».

وروى ابن أبي الدنيا بإسناده عن مطرف بن أبي بكر الهذلي قال:

«كانت عجوز في عبد القيس متعبدة (فإذا) [2] جاء الليل تحزمت ثم قامت إلى المحراب، وكانت تقول: المحب لا يسأم من خدمة حبيبه».

وسئل بعض العارفين عن حاله، فأنشد:

من لم يبت والحب حشو فؤاده لم يدر كيف تفتت الأكباد

وروينا من طريق الحسن بن علي بن يحيى بن سلام قال: «قيل ليحيي بن معاذ - يروي عن رجل من أهل الخير - وكان قد أدرك الأوزاعي وسفيان أنه سئل: متى تقع الفراسة على الغائب ؟ قال: إذا كان محبًا لما أحب الله، مبغضًا لما أبغض الله وقعت فراسته على الغائب. فقال يحيى:

---

(١) في المطبوع: بالأيلة.

(٢) في المطبوع: فكانت إذا.

كل محبوب سوى الله ســـــرف وهموم وغموم وأســـــــف

كل محبوب فمنه لي خلـــف ما خلا الرحمن ما منه خلـــف

إن للحـــــــب دلالات إذا ظهرت من صاحب الحب عُـــرِف

صاحب الحب حزين قلبــــــه دائم الغصة (مهموم) (١) دَنِــف

همه في الله لا في غيــــره ذاهب العقل وبالله كلـــــف

أشعث الرأس خميص بطنــــه أصفر (الوجنة و) (٢) الطرف ذرف

دائم (التذكير) (٣) من حب الـــذي حبه غاية غايات الشــــرف

فإذا أمعن في الحب لــــــه وعلاه الشوق (من داء) (٤) كشـف

باشر المحراب يشكو بثــــه وأمام الله مولاه وقـــــف

قائما قدامه منتصبـــــــاً لهجا يتلو بآيات الصحـــــف

راكعًا طوراً وطوراً ساجـــــد باكيًا والدمع في الأرض يكـــف

أورد القلب على (الحب) (٥) الذي فيه حب الله حقا فعـــــرف

ثم جالت كفه في شجـــــر ينبت الحب (فسمى) (٦) واقتطـف

إن ذا الحب لمن يعنى بـــــه لا بدار ذات - لهو وطـــــرف

لا ولا الفردوس لا يألفهـــــا لا ولا الحوراء من فوق غـــرف

وروى أبو موسى المديني بإسناده عن أبي محمد عبد الله بن عروة قال : أنشدني بعض الناس :

---

(١) في المطبوع : « مغموم » .

(٢) في المطبوع : « أصفر الوجه وفي » .

(٣) في المطبوع : « التذكار » .

(٤) في المطبوع : « مما قد » .

(٥) في المطبوع : « حب » .

(٦) في الأصل : « فيسمي » ، وما أثبته من المطبوع .

تشاغل قوم بدنياهـــم وقوم تخلوا (بمولاهـم) (١)

فألزمهم باب مرضاتـــه وعن سائر الخلق أغناهـم

فما يعرفون سوى حبـــه وطاعته طول محياهـم

يصفون بالليل أقدامهـم وعين المهيمن تَرعاهـم

فطوراً يناجونه سجـــداً ويبكون طوراً خطاياهـم

إذا فكروا في الذي أسلفـوا أذاب القلوب وأبكاهـم

وإن يسكن الخوف لاذوا بـه وباحوا إليه بشكواهـم

وأصبحوا صياماً على جهدهم تبارك من هو قواهـم

[ق/١٤] هم القوم أعطوا مليك الملـو ك صدق القلوب فوالاهـم

هم المحبون بنياتهـم أرادوا رضاه فأعطاهـم

وأسكنهم في فراديسـه وأعلى المنازل بواهـم

فنالوا المراد (ومازوا) [٢] بـه فطوبى لهم ثم طوباهـم

قرأت بخط عبد الله بن أحمد بن صابر السلمي : أنشدنا أبو إسحاق إبراهيم ابن محمد بن عقيل الشهرزوري لبعضهم :

قليل العزاء كثير النـــدم طويل النحيب على ما اجتـرم .

جرى دمعه فبكى جفنـه فصار البكاء بدمـع ودم

يخاف البيات بهجم الممـات وفقد الحياة بضر السقـم

ويخفي محبة رب العلـى فتظهر أنفاسه ما (كتـم) [٣]

وأسبل من طرفه عبـرة على الصحن من خده فانسجم

(١) في المطبوع : « لمولاهم » .

(٢) في المطبوع : « وفازوا » .

(٣) في المطبوع : « ما اكتتم » .

وبات (يحارب محرابه) [١] ولما تزل قدم عن قـــــدم

فلما (تـبت) [٢] أحشـــاؤه من الشوق (رق) [٣] عليه الألم

وكم ليلة رام فيها المنـــــام فصاح به حبه لا تنـــــم

وناح على جسد ناحــــل أطال النحول به فانهـــــدم

أناب إلى الله مستغفـــــراً فصار له من أعز الخـــــدم

❋ ❋ ❋

---

(٤) في المطبوع : محارب محاربه » .
(٤) في المطبوع : « تفتتت » .
(٥) في المطبوع : « رقا » .

الباب الثامن
في شوق المحبين إلى لقاء رب العالمين

الشوق إلى لقاء الله درجة عالية رفيعة تنشأ من قوة المحبة لله - عز وجل - وقد كان النبي ﷺ يسأل الله هذه الدرجة .

خرج الإمام أحمد [1] وابن حبان في «صحيحه» [2] ، والحاكم [3] من حديث عمار بن ياسر « أن النبي ﷺ كان يدعو [ق/٤ب] بهذا الدعاء : **اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة خيراً لي ، وتوفني إذا علمت الوفاة خيراً لي ، اللهم إني أسألك خشيتك في الغيب والشهادة ، وكلمة الحق في الغضب والرضا ، والقصد في الفقر والغنى ، وأسألك نعيما لا ينفد ، وقرة عين لا تنقطع ، وأسألك الرضا بعد القضاء ، وبرد العيش بعد الموت ، وأسألك لذة النظر إلى وجهك ، والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة ، ولا فتنة مضلة ، اللهم زينا بزينة الإيمان ، واجعلنا هداة مهتدين** » .

وخرج الطبراني [4] نحوه من حديث فضالة بن عبيد عن النبي ﷺ ، وخرج الإمام أحمد [5] والحاكم [6] عن زيد بن ثابت « أن النبي ﷺ علمه دعاء وأمره أن يتعاهد به أهله كل يوم ،وفيه :

---

(١) (٤ / ٢٦٤) .
(٢) برقم (١٩٧١ - إحسان) .
(٣) (١ / ٥٢٤) وقال : هذا حديث صحيح ولم يخرجاه . وأخرجه النسائي (٣/ ٥٤ - ٥٥) .
(٤) في المعجم الكبير (١٨ / ٨٢٥) وقال الهيثمي (١٠ / ١٧٧) : رواه الطبراني في الكبير والأوسط ، ورجالهما ثقات.
(٥) (٥ / ١٩١)
(٦) (١ / ٥١٦ - ٥١٧) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .
وتعقبه الذهبي فقال : أبو بكر ضعيف ، فأين الصحة ؟! .

« اللهم إني أسألك الرضا (بالقدر) [1] وبرد العيش بعد الموت ، ولذة النظر (في) [2] وجهك (وشوقًا) [3] إلى لقائك من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة».

وإنما قال : « من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة » والله أعلم ؛ لأن محبة لقاء الله وهو محبة الموت تصدر غالبًا إما من ضراء وهي ضراء الدنيا ، وقد نهى عن تمني الموت حينئذ ، وإما عن فتنة مضلة ، وهي خشية الفتنة في الدين ، وهو غير منهي عنه في هذه الحال .

والمسئول ها هنا الشوق إلى لقاء الله [غير] [4] الناشئ عن هذين الأمرين ؛ بل عن محض المحبة ، وقد دل قوله تعالى في حق اليهود : ﴿ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [البقرة: ٩٤] على أن من كان على حالة حسنة من الاستعداد للقاء الله ؛ فإنه يتمنى لقاء الله ويحبه ، وأنه لا يكره ذلك إلا من هو مريب في أمره ، ولهذا قال : ﴿ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة: ٩٥] ثم قال تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ﴾ [البقرة: ٩٦] فذمهم على حرصهم على الحياة الدنيا.

وفي مسند [ق/١٥] الإمام أحمد [5] عن النبي ﷺ قال : « لا يتمنى الموت إلا من وثق بعمله »

وقد كان كثير من السلف الصالح يتمنون الموت شوقًا إلى [لقاء] [6] الله ـ عز

---

(١) في المطبوع : « بعد القضا » .

(٢) في المطبوع : « إلى » .

(٣) في المطبوع : « والشوق » .

(٤) من المطبوع .

(٥) (٢ / ٣٥٠) .

وقال الهيثمي في المجمع (١٠ / ٢٠٦) : رواه أحمد وفيه ابن لهيعة ، وهو مدلس وفيه ضعف وقد وثق ، وبقية رجاله رجال الصحيح .

(٦) من المطبوع .

وجل ـ فكان أبو الدرداء يقول :

« أحب الموت اشتياقًا إلى ربي ، وأحب الفقر تواضعًا لربي ، وأحب المرض تكفيرًا لخطيئتي » [1] .

وقال محمد بن زياد : « اجتمع رجال من الأحبار ـ أو قال [من] [2] العلماء والعباد ـ وذكروا الموت ، فقال بعضهم : [لو] [3] أتاني آت أو ملك الموت فقال: أيكم سبق إلى هذا العمود فوضع يده عليه لمات ؟ لرجوت أن لا يسبقني إليه أحد منكم شوقًا إلى لقاء الله - عز وجل » .

وقال عبد الله بن زكريا : « لو خيرت بين أن (أعمر) [4] مائة سنة في طاعة [الله] [2] أو أقبض في يومي هذا أو في ساعتي هذه لاخترت أن أقبض في يومي هذا أو في ساعتي هذه شوقًا إلى الله ورسوله وإلى الصالحين من عباده».

وكان أبو عبد ربه الزاهد يقول « لو أنه قيل : من مس هذا العمود لمات ، لسرني أن أقوم إليه شوقًا إلى لقاء الله ورسوله » .

وقال أبو عتبة الخولاني : « كان إخوانكم لقاء الله أحب إليهم من الشهد ».

قال سفيان : « كان بالكوفة رجل متعبد من همدان ، فكان يقول : ما تطيب نفسي بالموت إلا إذا ذكرت لقاء الله - عز وجل - فإني أجد نفسي عند ذلك تطيب بالموت لما ترجو في لقاء الله - عز وجل - من البركة والسرور » .

وذكروا عنه أنه كان يقول : « إذا ذكرت القدوم على الله كنت أشد اشتياقًا إلى الموت من الظمآن الشديد ظمأه في اليوم الحار الشديد حره إلى الشراب البارد الشديد برده » .

وقال رياح القيسي [5] : « أتيت الأبرد بن ضرار فقال لي : يا رياح ، هل

---

(١) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (١ / ٢١٧) .

(٢) من المطبوع .

(٣) في الأصل : « إنه » وما نقلته من المطبوع وهو الأنسب للسياق .

(٤) في المطبوع : أعيش .

(٥) راجع حلية الأولياء (٦ / ١٩٣) .

طالت بك الليالي والأيام ؟ فقلت له : بم ؟ قال : بالشوق إلى لقاء الله . قال : فسكت ، وأتيت رابعة فذكرت ذلك لها . قال : فسمعت تخريق قميصها من وراء ثوبها وهي تقول : لكني نعم »

وقال عبيد الله بن محمد التيمي : « سمعت امرأة من المتعبدات تقول : والله لقد سئمت من الحياة حتى لو وجدت الموت يباع لاشتريته [ق/٥ب] شوقًا إلى لقاء الله وحبًا للقائه : قال فقلت لها : أفعلى ثقة أنت من عملك ؟ قالت : لا ولكن لحبي إياه وحسن ظني به ، أَفَتَرَاهُ يعذبني وأنا أحبه ؟! » .

وقال سلمة العوصي : « إني لمشتاق إلى (الموت) [١] منذ أربعين سنة ؛ منذ فارقت الحسن بن صالح . قيل له : ولم ؟ قال : لو لم يشتق العامل إلا إلى (لقائه) [٢] عز وجل لكان ينبغي له أن يشتاق » .

« وكان أبو عبد الله النباحي يقول في مناجاته : إنك لتعلم أنك لو خيرتني بين أن تكون لي الدنيا منذ خلقت أَتنعَّمُ فيها حلالا ولا أُسْأَلُ عنها يوم القيامة ، وبين أن تخرجَ نفسي الساعة لا خترت أن تخرج نفسي الساعة . ثم قال : (أما)[٣] تحب أنك تلقى من تطيع ؟ » .

« وصحب رجل فتح بن شخرف ثلاثين سنة قال : فلم أره رفع رأسه إلى السماء إلا مرة [واحدة] [٤] رفع رأسه وفتح عينيه ونظر إلى السماء ثم قال : [قد][٤] طال شوقي إليك ؛ فعجل قدومي عليك » .

وقال فتح الموصلي في [يوم] [٤] عيد أضحى : « قد تقرب المتقربون بقربانهم ، وأنا أتقرب إليك بطول حزني يا محبوب ، لم تتركني في أزقة الدنيا محزونا ؟ » . ثم غشي عليه ، وحمل فدفن بعد ثلاث رحمه الله ـ تعالى » .

فهذا حال من غلب عليه الشوق والرجاء ، فأما من غلب عليه الخوف فإنه

---

(١) في المطبوع : « ربي » .
(٢) في المطبوع : « لقاء الله » .
(٣) في المطبوع : « ألا » .
(٤) من المطبوع .

بخلاف ذلك ، ولا يتمنى الموت ؛ بل يستعظمه حتى يكاد يتصدع قلبه من ذكره .

وقد نازع أبو سليمان الداراني : من كان يتمنى الموت شوقًا إلى لقاء الله ، وخالفهم في ذلك وقال : لو أعلم أن الأمر كما تقولون لأحببت أن نفسي تخرج الساعة ، ولكن كيف بانقطاع الطاعة والحبس في البرزخ ؟ وإنما نلقاه بعد البعث».

وقال أحمد بن أبي الحواري : « فهو في الدنيا أحرى أن نلقاه - يعني: بالذكر» .

فأبو سليمان وصاحبه أحمد بن أبي الحواري ـ رحمهما الله تعالى ـ يقولان : ما يجده العارفون المحبون في الدنيا من حلاوة الطاعة ولذة المعاملة واستنارة القلوب وتقربها من علام الغيوب أكمل مما يحصل لهم في البرزخ قبل البعث ، فإنه لا يمكن رؤية الله ـ تعالى ـ بالأبصار إلا في يوم القيامة .

وقد جاء في حديث : « **إن يوم القيامة أول** [ق/١٦] **يوم نظرت فيه عين إلى الله ـ عز وجل** » .

وأما الأولون فإنهم يخالفون في ذلك ويقولون قد يحصل للمحبين في البرزخ اتصال وقرب من الله ـ سبحانه ـ ورؤية للأرواح ، فيكون ذلك أكمل من الحاصل لهم في الدنيا بالعمل ؛ كما أن نعيم البرزخ بالمخلوقات من الجنة أكمل من نعيم الدنيا أيضًا ، وقد قال النبي ﷺ : « **اعلموا أنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا** »[(١)] .

وهذا يدل بمفهومه على أن (رؤيته) [(٢)] سبحانه تحصل بعد الموت .

وقد روى في ذلك من المبشرات الأحلامية قديمًا وحديثًا ما يطول ذكره ؛ و [قد] [(٣)] اتفق العارفون كلهم على أن ما يحصل بعد البعث للعارفين المحبين أكمل

(١) أخرجه مسلم (٢٩٣١) بنحوه من حديث عمر بن ثابت الأنصاري ، عن بعض أصحاب النبي ﷺ .
وأخرجه أحمد (٥/ ٣٢٤) من حديث عبادة بن الصامت
وأخرجه ابن ماجه (٤٠٧٧) من حديث أبي أمامة الباهلي .
وأخرجه ابن أبي عاصم في « السنة » (٤٣١) من حديث معاوية .
(٢) في المطبوع : « رؤية الله » . (٣) من المطبوع .

مما يحصل لقلوبهم في الدنيا ؛ فإن غاية الحاصل [للقلوب] (١) في الدنيا هو تجلي أنوار الإيمان في القلب ، حتى يصير الغيب كأنه شهادة ، ومن قال : إن الأرواح والقلوب تكافح ذات الرب ـ سبحانه ـ في الدنيا عيانًا ، فهو غالط ، فإن هذا لم يثبت لأحد إلا للنبي ﷺ ليلة الإسراء ، كما ذكره الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ وصنف بعضهم مصنفًا سماه « تفضيل العبادات على نعيم الجنات » وأشار إلى أن العبادات حق الرب ، وأن النعيم حظ النفس ، وكأنه ظن أن لا نعيم في الجنة إلا التمتع بالمخلوقات [فيها] (١) وهو غلط عظيم ، فإن أعلى نعيم الجنة ما يحصل فيها من معرفة الله ومشاهدته ، فإن علم اليقين يصير هناك عين اليقين ، وتتجدد معرفة عظيمة لم تكن موجودة قبل ذلك ؛ بل ولم تخطر على قلب بشر وكذلك توحيد أهل الجنة ودوام ذكرهم هو من أكمل لذاتهم ، ولذلك يلهمون التسبيح ، كما يلهمون النفس .

قال ابن عيينة : « لا إله إلا الله لأهل الجنة كالماء البارد لأهل الدنيا » وكذلك ترنمهم بالقرآن و (سماعه) (٢) وأعلاه سماعه من الله (عز وجل) (٣) فأين هذا من تلاوة أهل الدنيا وذكرهم ؟ وأما سائر العبادات فما كان منها فيه مشقة على الأبدان فإن أهل الجنة [ق/٦ب] قد أسقط ذلك عنهم ؛ وكذلك ما فيه نوع ذل وخضوع كالسجود ونحوه .

وأما ما في العبادات من النعيم الحاصل بها لأهل المعرفة في الدنيا ، فإنه يحصل لهم في الجنة أضعافا مع راحة (الجسد) (٤) من مشقة التكاليف التى في الدنيا ، فتجتمع لهم راحة القلب والبدن على أكمل الوجوه .

وهذا مثل الصلاة ، فإن العارفين في الدنيا إنما يتنعمون بما فيها من المناجاة وآثار القرب ، وما يرد عليهم من الواردات في تلاوة الكتاب ، ونحو ذلك من

---

(١) من المطبوع .

(٢) في المطبوع : « وسماعهم له » .

(٣) في المطبوع : « جل جلاله وتقدست أسماؤه » .

(٤) في المطبوع : « البدن » .

نعيم القلوب ، وربما يستغرقون [به] [١] عن الشعور بتعب الأبدان ، فهذا القدر الذي حصل لهم به التنعم في الدنيا يتزايد في الجنة بلا ريب ، لا سيما في أوقات الصلوات ؛ فإن أكملهم من ينظر إلى وجه الله - عز وجل - كل يوم مرتين، بكرة وعشية ، في وقت صلاة (الفجر) [٢] وصلاة العصر ، كما جاء في حديث ابن عمر مرفوعًا [٣] وموقوفًا ، وإلى ذلك أشار النبي ﷺ بالمحافظة على هاتين الصلاتين (عقب) [٤] ذكره رؤية الرب - سبحانه - في حديث جرير البجلي[٥] .

فالنعيم الحاصل لأهل الجنة بالرؤية والمخاطبة في هذين الوقتين أكمل مما كان حاصلا في الدنيا ، وكذلك صلاة الجمعة فإنهم يجتمعون في وقتها في يوم المزيد ويتجلى لهم سبحانه ويحاضرهم محاضرة .

وكذلك في العيدين ، فهذا أكمل مما [كان] [١] يحصل لهم في الدنيا في صلاتهم من آثار القرب وحلاوة المناجاة مع راحة البدن ونعيمه أيضًا .

فتبين بهذا أن نعيم الجنة أكمل من نعيم الدنيا مطلقًا ، وسواء في ذلك نعيم الأبدان بالأكل والشرب والجماع ونعيم [القلوب] [١] والأرواح بالمعارف والعلوم والقرب والاتصال والأنس والمشاهدة ، فظهر بهذا أن قوله تعالى : ﴿ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا ﴾ [النمل:٨٩] هو على ظاهره من غير حاجة إلى تأويل ولا

---

(١) من المطبوع .

(٢) في المطبوع : « الصبح » .

(٣) رواه أحمد (٢ / ١٣ ، ٦٤) والترمذي (٢٦٧٧ ، ٣٣٨٦ - تحفة) وقال : هذا حديث غريب .

وقال الترمذي : وقد روي هذا الحديث من غير وجه عن إسرائيل عن ثوير عن ابن عمر مرفوعًا ، ورواه عبد الملك بن أبجر عن ثوير عن ابن عمر موقوفًا . ورواه عبيد الله الأشجعي عن سفيان عن ثوير عن مجاهد عن ابن عمر قوله ولم يرفعه . وهو برقم (٢٦٧٨ تحفة) عند الترمذي .

(٤) في المطبوع : « عقيب » .

(٥) أخرجه البخاري (٥٥٤) ومسلم (٦٣٣)

تكلف ؛ فإن كثيراً من المفسرين [ق/١٧] فسروا الحسنة بكلمة التوحيد والجزاء عليها بالجنة ، ثم استشكلوا تفضيل الجنة على التوحيد ، وبما ذكرناه يزول الإشكال .

ويتبين أن التوحيد الذي في الجنة أكمل من التوحيد الذي في الدنيا وهو جزاء له ، وكذلك المعرفة والمحبة والشوق أيضًا ، فقد جاء في بعض أحاديث يوم المزيد[١] : « **أنهم ليسوا إلى شيء أشوق منهم إلى يوم الجمعة** » وشبيه بهذا الغلط الذي أشرنا إليه قول من قال : إن العارفين لا يشتاقون إلى الله - عز وجل - في الدنيا ؛ لأنهم يشهدونه بقلوبهم حاضراً ، وتباشر قلوبهم أنواره ويتجلى لها فيستأنسون به ويطمئنون إليه .

وهذا وإن كان نقل عن بعض السلف المتقدمين فهو أيضًا غلط ، ولعله صدر من قائله في حال استغراقه في مشاهدة ما شاهده ، فظن أنه ليس وراء ذلك مطلب ، وهذا كما قال بعضهم : «إنه تمر بي أوقات أقول : إن كان أهل الجنة في مثل ما أنا فيه إنهم لفي عيش طيب» .

ومعلوم أن أهل الجنة في أضعاف أضعاف ما هو فيه من النعيم واللذة ، ولكنه لما استعظم ما حصل له من النعيم ظن أنه ليس وراءه شيء ، وعند التحقيق يتبين أن ما حصل في الدنيا للقلوب من تجلي أنوار الإيمان يدل على عظمة ما يحصل في الجنة ، وليس بينهما نسبة فيتزايد بذلك الشوق إلى ما وراءه ، ولهذا «كان النبي ﷺ يسأل ربه الشوق إلى لقائه » [٢] مع أنه أكمل الخلق مشاهدة ومعرفة ، وكان يقول في الوصال : « **إني لست كهيئتكم ، إني أظل عند ربي**

---

(١) أخرجه البزار (٣٥١٩ - كشف) ولفظه : « ... فليسوا إلى شيء أحوج منهم إلى يوم الجمعة ؛ ليزدادوا فيه كرامة وليزدادوا فيه نظراً إلى وجهه - تبارك وتعالى - ولذلك دعي : يوم المزيد » .

قال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٤٢١ - ٤٢٢) : رواه البزار ، والطبراني في الأوسط بنحوه، وأبو يعلي باختصار ، ورجال أبي يعلى رجال الصحيح ، وأحد إسنادي الطبراني رجاله رجال الصحيح غير عبد الواحد بن ثابت بن ثوبان ، وقد وثقه غير واحد وضعفه غيرهم ، وإسناد البزار فيه خلاف.

(٢) تقدم تخريجه .

يُطعمني ويسقيني »[1] .

ويشير إلى ما يتجلى لقلبه من آثار القُرْبِ والأُنْسِ مما يقويه ويغذيه ويغنيه عن الطعام والشراب .

كما قال القائل :

لها أحاديث من ذكراك تشغلُها عن (الطعام)[2] وتلهيها عن الزاد

ولم يزل أئمة العارفين يثبتون الشوق ويخبرون به عن أنفسهم .

قال عبد الواحد [ق/٧ب] بن زيد : « يا إخوتاه ، ألا تبكون شوقًا إلى الله - عز وجل - ؟ ألا إنه من بكى شوقًا إلى سيده لم يحرمه النظر إليه » .

وقال صالح المري : بلغني عن كعب أنه كان يقول : « من بكى اشتياقًا إلى الله ـ عز وجل ـ أباحه النظر إليه تبارك وتعالى » .

قال حبيب بن عبيد : « كان دليجة إذا مشي طاشت قدماه من العبادة ، فقيل له: ما شأنك ؟! قال : الشوق . فقيل له : أبشر ؛ فإن الأمير قد بعث إلى سرح المسلمين ليأذن لهم . فيقول :ليس شوقي إلى ذلك ، إن شوقي إلى من يحثها».

وقال عثمان بن صخر العتكي : « طوبى لمحبي الرب الذين عبدوه بالفرح والسرور والأنس والطمأنينة ، فصاروا الصفوة من الخلق والخاصة من البرية ، يحنون إليه حنين الولهان ؛ ويشتاقون إليه شوق (من ليس له صبر)[3] عنه قد

---

(١) ورد هذا الحديث من رواية جمع من الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ منهم :
أ ـ أبو هريرة ، رواه عنه البخاري (١٩٦٥، ١٩٦٦) وفي مواضع أخر ، ومسلم (١١٠٣).
ب ـ أنس ، رواه عنه البخاري (١٩٦١) ، ومسلم (١١٠٤) .
جـ ـ ابن عمر ، رواه عنه البخاري (١٩٢٢) وفي موضع آخر ، ومسلم (١١٠٢) .
د ـ عائشة ، رواه عنها البخاري (١٩٦٤) ومسلم (١١٠٥) .
هـ ـ أبو سعيد الخدري ، رواه عنه البخاري (١٩٦٣) وفي موضع آخر .

(٢) في المطبوع :« الشراب » .

(٣) في المطبوع وهامش الأصل : « من لا صبر لهم » .

كُسِروا بالخوف ، ورروحوا بالظفر » .

« وكان أبو عبيدة الخواص يمشي في الأسواق ويضرب على صدره ويقول : واشوقاه إلى من يراني ولا أراه » .

« وكانت امرأة من المتعبدات بمكة لا تزال تصرخ وتقول : « أو ليس عجبًا أن أكون حية بين أظهركم وفي قلبي من الاشتياق إلى ربي مثل شعل النار التي لا تطفأ حتى أصير إلى الطبيب الذي (بيده) [1] برؤ دائي وشفائي » .

وقال ذو النون : « إن المؤمن إذا آمن بالله واستحكم إيمانه خاف الله ، فإذا خاف الله تولدت من الخوف هيبة الله ، فإذا سكنت درجة الهيبة دامت طاعته لربه، فإذا أطاع تولد من الطاعة الرجاء ، فإذا سكنت درجة الرجاء تولد من الرجاء المحبة ، فإذا استحكمت معاني المحبة في قلبه سكن بعدها درجة الشوق ، فإذا اشتاق أدّاه الشوق إلى الأنس بالله ، فإذا أنس بالله اطمأن إلى الله ، فإذا اطمأن إلى الله كان ليله في نعيم ، ونهاره في نعيم ، وسِرهُّ في نعيم ، وعلانيته في نعيم » . انتهى .

ولا ريب أن الشوق يقتضي القلق ، لكن قد يمنح الله بعض أهله ما يسكن قلقهم من الأنس به [ق/١٨] والطمأنينة إليه ، كما أشار ذو النون ـ رحمه الله تعالى.

وعن إبراهيم بن أدهم قال : « قلت يومًا اللهم إن كنت أعطيت أحداً من المحبين لك ما (سكنت) [2] به قلوبهم قبل لقائك ، فأعطني ذلك فلقد أضر بي القلق . قال : فرأيته تبارك وتعالى في (المنام) [3] فوقفني بين يديه وقال لي : «يا إبراهيم ، أما استحيت مني ؟ تسألني أن أعطيك ما (تُسكِّن) [4] به قلبك قبل

---

(١) في المطبوع :« عنده » .

(٢) في المطبوع :« أسكنت » .

(٣) في المطبوع : « النوم » .

(٤) في المطبوع :« يسكن » .

لقائي، وهل يسكن قلب المشتاق إلى غير حبيبه ؟ أم هل يستريح المحب إلى غير من (يشتاق) [1] إليه ؟ قال : فقلت : يا رب ، تهت في حبك ؛ فلم أدر ما أقول ».

وروى أبو نعيم بإسناده عن عبد العزيز بن محمد قال : « رأيت في المنام قائلا يقول : من يحضر ، من يحضر؟ » فأتيته فقال لي : أما ترى القائم الذي يخطب الناس ويخبرهم عن أعلى مراتب الأنبياء ؟ فأدركه لعلك تلحقه وتسمع كلامه قبل انصرافه . فأتيته فإذا الناس حوله وهو يقول :

ما نال عبدٌ من الرحمن منزلةً أعلى من الشوق إن الشوقَ محمودُ

ثم سلم ونزل ، (فقلت) [2] لرجل إلى جانبي : من هذا ؟ قال : أما تعرفه ؟! قلت لا. قال : هذا داود الطائي . فعجبت في منامي منه ، فقال : أتعجب مما رأيت ؟ والله (إن الذي) [3] عند الله من الزلفى لداود أكبر من هذا وأكثر.

ومما قيل في وصف المشتاقين :

أنَّ من الشوق فلولا دمعه أحرق ما بين العُذيب والنَّقَا

واستعرت أنفاسه وإنما (تَلَهُّبُ) [4] الأنفاس من حرِّ الجوى

مروا على وادي الغضا فقلبُّوا من الجوى قلبي على جمر الغضا

❋ ❋ ❋

---

(١) في المطبوع : « اشتاق » .

(٢) في الأصل : « قلت » وما نقلته من المطبوع .

(٣) في المطبوع : « للذي » .

(٤) في المطبوع : « تلتهب » .

الباب التاسع
في رضا المحبين بمر الأقدار
وتنعمهم ببلاء من يخلق ما يشاء ويختار

قد تقدم أن النبي ﷺ كان يقول في دعائه : « **اللهم إني أسألك الرضا بعد القضاء ، وبرد العيش بعد الموت ، ولذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك**»[1] .

[ق/ ٨ب] وخرج الترمذي [2] من حديث أنس ، عن النبي ﷺ قال : « **إن الله إذا أحب قومًا ابتلاهم ؛ فمن رضي فله الرضا ، ومن سخط فله السخط** » .

وروى جعفر بن برقان [عن ميمون بن مهران] [3] عن يزيد بن الأصم ، عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قال : « نظر رسول الله ﷺ إلى مصعب بن عمير مقبلا وعليه إهاب كبش قد تَنَطَّقَ به ، فقال النبي ﷺ : **انظروا إلى هذا الرجل الذي قد نورًّ الله قلبه ، لقد رأيته بين أبوين يغذيانه بأطيب الطعام والشراب؛ فدعاه حب الله ورسوله إلى ما ترون** » . خرجه الإسماعيلي في مسند عمر ، وأبو نعيم في الحلية [4] . وقد روى من وجه آخر مرسلا .

وروى حسين بن علي الرحبي ـ وفيه ضعف ـ عن عكرمة ، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال : « **ما من عبد يحب الله ورسوله إلا كان الفقر أسرع إليه [من جرية السيل من رأس الجبل على وجهه ، والفقر أسرع إلى من يحب الله**

---

(١) تقدم تخريجه .

(٢) برقم (٢٣٩٦) وقال : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه .

(٣) سقطت من الأصل ، واستدركتها من الحلية (١/ ١٠٨) .

(٤) (١/ ١٠٨) من طريق جعفر بن برقان ، عن ميمون بن مهران ، عن يزيد بن الأصم، عن عمر بن الخطاب . . . فذكره .

ورسوله][1] من جرية السيل على وجهه ، ومن أحب الله ورسوله فليعد للبلاء تجفافًا . وإنما يعني الصبر .

وقد روى [معنى] [1] هذا الحديث من وجوه متعددة ولكن ليس في أكثرها سوى [ذكر] [1] حب الرسول ﷺ .

قال موسى بن وردان : « لما احتضر معاذ بن جبل وتغشاه الموت جعل يقول: اخنق خنقك ؛ فوعزتك إني أحبك » .

قال شهر بن حوشب ، عن عبد الرحمن بن غنم (عن) [2] الحارث بن عميرة : « أن معاذًا نزع نزعًا لم ينزعه أحد ، فكان كلما أفاق من (غمرة) [3] فتح طرفه ثم قال: اخنقني خنقك ؛ فوعزتك إنك تعلم أن قلبي يحبك » [4] .

وقال صالح بن حسان : « إن حذيفة لما نزل به الموت قال : هذه آخر ساعة من الدنيا ، اللهم إنك تعلم أني أحبك ؛ فبارك لي في لقائك » .

وقال أبو علي الرازي : « صحبت الفضيل بن عياض ثلاثين سنة (ما) [5] رأيته ضاحكًا ولا متبسمًا إلا يوم مات ابنه علي ، فقلت له في ذلك فقال : إن الله أحب أمرًا فأحببت ما أحب الله » .

وقال مردويه سمعت الفضيل [ق/ ١٩] يقول: « درجة الرضا عن الله درجة المقربين ليس بينهم وبين الله إلا روح وريحان » قال : وسمعته يقول : « أحق الناس بالرضا عن الله أهل المعرفة بالله » .

وقال أبو عبد الله النباحي : « سأل رجلٌ الفضيل بن عياض فقال : متى يبلغ الرجل غايته من حب الله (تعالى) [1] ؟ فقال له الفضيل : إذا كان عطاؤه ومنعه

---

(١) سقطت من « الأصل » والمثبت من المطبوع .

(٢) في المطبوع : « من حديث » . (٣) في المطبوع : « غمرته » .

(٤) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (١/ ٢٤٠) من حديث الحارث بن عميرة ، وفي إسناده : شهر بن حوشب ، وهو ضعيف .

(٥) في المطبوع : « فما » .

إياك عندك سواء فقد بلغت الغاية من حب الله » .

وذكر أبو القاسم الدمشقي الحافظ في « تاريخه » بإسنادٍ عن أبي شعيب قال: « سألت إبراهيم بن أدهم الصحبة إلى مكة قال : على شريطة : على أنك لا تنظر إلا لله وبالله فشرطت له ذلك على نفسي ، فخرجت معه فبينما نحن في الطواف فإذا أنا بغلام قد افتتن الناس به وبحسنه وماله ، فجعل إبراهيم يديم النظر إليه ، فلما أطال ذلك قلت : يا أبا إسحاق ، أليس شرطت عليّ أنك لا تنظر إلا لله وبالله ؟! قال : بلى . قلت : (إني) [(١)] أراك تديم النظر إلى هذا الغلام ! فقال : إن هذا ابني وولدي ، وهؤلاء غلماني وخدمي الذين معه ، ولولا شيء لقَبَّلْتُه ولكن انطلق فسلم عليه مني. قال : فمضيت إليه وسلمت عليه من والده، فجاء إلى والده فسلم عليه ثم صرفه مع الخدم . فقال : ارجع انتظر (أيش) [(٢)] يراد بك . ثم أنشأ يقول :

هجرت الخلق طُرًّا في هواكا وأيتمتُ العيالَ لكي أراكا
فلو قطعتني في الحبِّ إربًا لما حَنَّ الفُؤادُ إلى سواكا

وروى ابن أبي الدنيا بإسناده عن عبد الواحد بن زيد قال : « خرجت إلى ناحية الحربية ، فإذا إنسان أسود مجذوم قد تقطعت كل جارحة له بالجذام ، وعمي وأقعد ، وإذا صبيان يرمونه بالحجارة حتى دموا وجهه [ورأسه] [(٣)] فرأيته يحرك شفتيه ، فدنوت منه لأسمع ما يقول ، فإذا هو يقول : يا سيدي [إنك لتعلم][(٣)] أنك لو قرضت لحمي بالمقاريض ونشرت عظمي بالمناشير [ق٩/ب] ما ازددت لك إلا حبًّا ؛ فاصنع بي ما شئت ! » .

وعن الأوزاعي قال : « حدثني بعض الحكماء قال : رأيت رجلا [قد] [(٣)] ذهبت يداه ورجلاه وهو يقول : اللهم إني أحمدك حمداً يوافي محامد خلقك كفضلك على سائر خلقك ، إذ فضلتني على كثير ممن خلقت تفضيلا ! فقلت له:

---

(١) في المطبوع : « فإني » .
(٢) في المطبوع : « أي شيء » . (٣) من المطبوع .

على أي نعمة تحمد ؟ ! فقال : « أليس ترى ما قد صنع بي ، قال : قلت : بلى. قال : فو الله لو أن الله صب عليّ [من] [1] السماء ناراً فأحرقتني ، وأمر الجبال فدمرتني ، وأمر البحار فغرقتني ، وأمر الأرض فخسفت بي ما ازددت له إلا حبًّا ، ولا ازددت له إلا شكراً » .

وعن بكر بن خُنَيْس قال : « مررت بمجذوم وهو يقول: وعزتك وجلالك ، لو قطعتني بالبلاء قطعًا ما ازددت لك إلا حبًّا » .

وفي هذا المعنى يقول بعضهم :

لو قطعني الغرامُ إربًا إربًا ... ما ازددت على الملام إلا حبًّا

لا زلت بكم أسير وجدٍ صبا ... حتى أقضي على هواكم نحبًا

وروى أبو العباس بن مسروق بإسناده عن خلف البزار « أنه أتي بمجذوم ذاهب اليدين والرجلين أعمى ، فجعله مع المجذومين وغفل عنه ، ثم ذكره فقال له : يا هذا ، غفلت عنك ! فقال : حبيبي ومن أنا أحبه قد أحاطت محبته بأحشائي ؛ فلا أجد لما أنا فيه من ألم مع محبته لا يغفل عني . فقلت له : إني نسيتك . قال: « إن لي من يذكرني ، وكيف لا يذكر الحبيب حبيبه وهو نصب عينيه تائه العقل واللب ؟! » .

وذكر أبو عبد الرحمن السلمي بإسناده عن بنان [الحمال] [1] قال : « ليس يتحقق (في الحب) [2] حتى يتلذذ بالبلاء في الحب كما يتلذذ (الأغيار) [3] بأسباب النعم » .

وكان عبد الصمد الزاهد يقول : « أوجدهم في تعذيبه عذوبة - يشير إلى صبرهم على الضر والفقر » .

وقالت امرأة من العارفات : « ما النعيم إلا الأنس بالله والموافقة لتدبيره » .

---

(١) من المطبوع .

(٢) كتب في هامش الأصل : « لعله العبد » .

(٣) في المطبوع : « الأغنياء » .

وشكا رجل إلى فضيل الفقر ، فقال فضيل : « أمدبّراً غير الله تريد ؟ ! » .

وقالت رابعة : « إن أولياء [ق/١١٠] الله إذا قضى لهم شيئًا لم (يتسخطوه)[١] » .

وقال يحيى بن معاذ : « لو أحببت ربك ثم جوعك وأعراك لكان يجب أن تحتمله وتكتمه عن الخلق ، فقد يحتمل (الحبيب) [٢] لحبيبه الأذى ، فكيف وأنت تشكوه فيما لم يصنعه بك » .

وفي هذا المعنى يقول القائل :

ويقبح من سواك الفعلُ عندي   وتفعله فيحسنُ منك ذاكا

وقد تقدم ما أنشده أبو تراب النخشبي :

لا تُخدعن فللمحب دلائل   ولديه مِن تحفِ الحبيبِ وسائلُ

منها تنعمه بمر بلائِه   وسُروره في كلّ ما هو فاعل

فالمنع منه عطيةٌ مقبولةٌ   والفقر إكرام وبر عاجل

كان فتح الموصلي : يجمع عياله (في) [٣] ليالي الشتاء ويضم كسائه عليهم ثم يقول : « اللهم أفقرتني وأفقرت عيالي وجوعتني وجوعت عيالي وأعريتني وأعريت عيالي ، بأي وسيلة توسلتها إليك ، وإنما تفعل هذا بأوليائك وأحبابك ، فهل أنا منهم حتى أفرح . ودخل ليلة إلى أهله وهو صائم فلم يجد عندهم عشاءً ، ولا ما يسرجون به فجلس يبكي من الفرح ويقول : « إلهي مثلي يترك بلا عشاء ولا سراج بأي يد كانت مني . فما زال يبكي إلى الصباح » .

ويروى عن الفضيل بن عياض نحو هذا أيضًا .

« وكان علي بن بابويه الصوفي في الطواف (فهجم) [٤] القرامطة على

---

(١) في المطبوع : « يسخطوه » .

(٢) في المطبوع : « المحب » .

(٣) من المطبوع .

(٤) في المطبوع : « هجمت » .

الناس فقتولهم فأخذته السيوف ، فلما وقع تمثل بهذا البيت :

ترى المحبين صرعى في ديارهم   كفتية الكهف لا يدرون كم لبثوا

« واستشهد لبعض السلف ولد في الجهاد ، فجاء النِاس يعزونه فيه فبكى وقال : ما أبكي على موته ، إنما أبكي كيف كان رضاه عن الله حين أخذته السيوف » :

وفي هذا يقول القائل :

إن كان سكان الغضا   رضوا بقتلي فرضا

والله لا كنت لما   يهوى الحبيبُ مُبغضا

[ق/ ١٠ب] صرت لهم عبدًا وما   للعبدِ أن يعترضا

❋ ❋ ❋

فصل

[« انكسار قلوبهم بحب ربهم »] [(١)]

ومما يستحليه المحبون لله - عز وجل - اختيارهم الذل له على الشرف ، والخمول على الشهرة .

قال مخلد بن الحسين : « ما أحبَّ اللهَ عَبْدٌ فأحب أن يعرف الناس مكانه» .

وقال أحمد بن أبي الحواري : « من عبد الله على المحبة لا يحب أن يرى خدمته سوى محبوبه » .

وقال ذو النون : « كل مطيع مستأنس ، وكل عاص مستوحش ، وكل محب ذليل ، وكل خائف هارب ، وكل راج طالب » .

وكان بشر يقول في دعائه : « اللهم إنك تعلم أن الذل أحب إلي من العز ، وأن الفقر أحب إلي من الغنى ، وأني لا أوثر على حبك شيئًا . فسمعه رجل فأخذه البكاء ، فقال : [اللهم] [(٢)] أنت تعلم أني لو علمت أن هذا ها هنا لم أتكلم » .

وسئل يوسف بن الحسين : « ما بال المحبين يتلذذون بالذل في المحبة ؟ ! فأنشأ يقول :

ذُلُّ الفتى في الحبِّ مكرمةٌ   وخضوعه لحبيبه شرفُ

وفي هذا المعنى يقول القائل :

مساكين أهل الحبِّ حتى قبورهم   عليها ترابُ الذلِّ بين المقابر

---

(١) هذا العنوان ليس في الأصل ، وهو من تصرف محقق المطبوع .

(٢) من المطبوع .

ويقول الآخر :

العزُّ ذُلي فلا تَلُمْنِي ... ما ينبغي يا عذولي مني

قال جعفر بن سليمان : عن مالك بن دينار ، قال موسى ـ عليه السلام ـ : « إلهي أين أبغيك ؟ فأوحى الله إليه يا موسى ابغني عند المنكسرة قلوبهم من أجلي ، فإني أدنو منهم في كل يوم وليلة باعًا ، ولولا ذلك لا نهدموا »[1] .

قال جعفر : « فقلت لمالك : كيف المنكسرة قلوبهم ؟ فقال : سألت الذي قرأ في (الكتاب)[2] فقال : سألت الذي سأل عبد الله بن سلام عن المنكسرة قلوبهم ما يعني ؟ قال: المنكسرة قلوبهم بحب الله (جل جلاله)[3] عن حب غيره » .

خرجه إبراهيم بن الجنيد.

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرجه أحمد في الزهد ص (٩٥) ، وأبو نعيم في الحلية (٢/ ٣٦٤) وفي إسناده انقطاع كما هو معروف بين مالك وموسى ـ عليه السلام .

(٢) في المطبوعة : « الكتب » .

(٣) من المطبوع .

[ق/١١١] الباب العاشر
في ذكر خوف المحبين العارفين
وفضله على خوف سائر الخائفين

قال الله ـ تعالى ـ في حق الفجار : ﴿ كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴾ [المطففين : ١٤ـ ١٧] فوصفهم بأن كسبهم ران على قلوبهم ، والران هو ما يعلو [على] (١) القلب من الذنوب من ظلمة المعاصي وقسوتها ، ثم ذكر جزاءهم على ذلك ، وهو ثلاثة أنواع : الحجاب عن ربهم ، ثم صلي الجحيم، ثم التوبيخ .

فأعظم عذاب أهل النار حجابهم عن ربهم ـ عز وجل ـ ، ولما كانت قلوبهم في الدنيا مظلمة قاسية ، لا يصل إليها شيء من نور الإيمان وحقائق العرفان كان جزاؤهم على ذلك في الآخرة حجابهم عن رؤية الرحمن .

قال بعض العارفين : « من عرف الله في الدنيا ، عرفه بقدر تعرفه إليه ، وتجلى له في الآخرة بقدر معرفته إياه في الدنيا ، فرآه في الدنيا رؤية الأسرار ، ويراه في الآخرة رؤية الأبصار ؛ فمن لا يراه في الدنيا بسره ، لا يراه في الآخرة بعينه » انتهى .

فخوف العارفين في الدنيا من احتجابه عن بصائرهم ، وفي الآخرة من احتجابه عن أبصارهم ونواظرهم .

وكتب الأوزاعي إلى أخ له : « أما بعد ؛ فإنه [قد] (١) أحيط بك من كل

---

(١) من المطبوع .

جانب، واعلم أنه يسار بك في كل يوم وليلة ، فاحذر الله والمقام بين يديه ، وأن يكون آخر عهدك به ، والسلام » .

وكان عتبة الغلام يبكي بالليل ويقول : « قطع ذكر العرض على الله أوصالَ المحبين . ثم يحشرج البكاء حشرجة الموت ويقول : تراك يا مولاي تعذب (محبيك) [1] وأنت الحي الكريم . وبات ليلة بالساحل قائمًا يردد هذه الكلمات لا يزيد عليها ويبكي حتى أصبح : إن تعذبني فإني لك مُحبٌ ، وإن ترحمني فإني لك محبٌ ! » .

وكان كهمس يقول في الليل : « أتراك تعذبني وأنت قرة عيني يا حبيب قلباه؟! » .

وكان أبو سليمان [يبكي] [2] ويقول : « لئن طالبني بذنوبي لأطالبنه بعفوه، ولئن طالبني ببخلي لأطالبنه بجوده ، ولئن أدخلني النار ، لأخبرن أهل النار أني كنت [ق/١١ب] أحبه » .

وأخذ هذا المعنى بعض [الشعراء] [2] المتأخرين فقال :

وحقك لو أدخلتني النار قلت للـ ... ذين بها قد كنتُ ممن (أحبه) [3]

وآيةُ حبِّ الصبِّ أن يَعْذُبَ الأسى ... إذا كان من يهوى عليهم (يصيبه) [4]

كان بعض المحبين عند قوم يبكون من الخوف ، فأنشد :

كلهم يعبدون من خوف نار ... ويرون النجاة فضلا جزيلا

أو بأن يسكنوا الجنان فيعطوا ... روضة من رياضها سلسبيلا

ليس لي في الجنان والنار رأيٌ ... أنا لا أبتغي بحبي بديلا

(١) في المطبوع «: محبك » .
(٢) من المطبوع .
(٣) في المطبوع : « يحبه » .
(٤) في المطبوع : « يَصبُّه » .

فقيل له : لو طردوك ، ما كنت تصنع ؟ فقال :

أنا إن لم أجد من الحب وصلا رُمتُ في النار منزلا ومقيلا

ثم أزعجت أهلها بندائي بكرةً في عراصها وأصيلا

معشر المشركين نوحوا على من يدعي أنه يحبُّ الجليلا

لم يكن في الذي ادّعاه محقًا فجزاه به العذاب الطويلا

وقد سبق قول رقية الموصلية : « إلهي وسيدي ومولاي ، لو أنك عذبتني بعذابك كله ، كان ما فاتني من قربك أعظم عندي من العذاب » .

وقال ذو النون : « خوف النار عند خوف الفراق كقطرة في بحر لجي » .

وكان الشبلي يهيج في داره وينشد :

على بعدك لا يصبـــــر مـــن عـــادته القـــرب

ولا يقوى على حجبـــك مـــن تـــيَّمَه الحـــب

فإن لم ترك العـــين فـــقد يبصـــرك القـــلب

***

فصل
[« الحياء والخوف من الله » (*)]

ومما يخافه العارفون فوات الرضا عنهم ، وإن وجد العفو وترك [ق/١١٢] العقوبة [فإن] (١) الرضا أحب إليهم من نعيم الجنة كله مع الإعراض وعدم التقريب والزلفى .

وقد قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ [التوبة: ٧٢] يعني : أكبر من نعيم الجنة .

وفي الصحيح(٢) عن النبي ﷺ [قال] (١) : « **إن الله يقول لأهل الجنة : ألا أعطيكم أفضل من ذلك ؟ قالوا : وما أفضل من ذلك ؟ ! قال : أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدًا** » .

وكان مطرف يقول : « اللهم ارض عنا ؛ فإن لم ترض عنا فاعف عنا » .

ورئي بعضهم في المنام فسئل عن حاله فقال : « غفر لي وأعرض عني وعن جماعة من أهل العلم لم يعملوا بعلمهم » .

فالمحبون العارفون يخافون من مثل هذه الحال ، وإنما يسألون الرضا من أول الأمر .

قال الفضيل : « من سأل الله رضوانه فقد سأله عظيمًا . وقال : لو أخبرت عن جبريل [وميكائيل] (٣) وإسرافيل بشدة (اجتهاد) (٤) ما عجبت ، وكان ذلك قليلا عند ما يطلبون (أتدري) (٥) أي شيء يطلبون ؟ وأي شيء يريدون ؟

(*) هذا العنوان ليس في الأصل وهو من تصرف محقق المطبوع .

(١) من المطبوع .

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٤٩) ، ومسلم (٢٨٢٩) .

(٣) من المطبوع . (٤) في المطبوع : « اجتهادهم » . (٣) في المطبوع : « أتدرون » .

يريدون رضا ربهم - عز وجل » .

وقال جعفر بن سليمان : قال مالك بن دينار « وددت أن الله - تعالى - إذا جمع الخلائق يوم القيامة يقول لي : يا مالك ، فأقول : لبيك ، فيأذن لي أن أسجد بين يديه سجدة ، فأعرف أنه قد رضي عني ، فيقول : يا مالك ، كن اليوم ترابًا » .

وكان أبو عُبَيد البُسْرى يقول : « ما غمي ولا أسفي إلا أن يجعلني ممن عفي عنه . فقيل له : [أليس] (1) الخلق على العفو يتذابحوا ؟ فقال :أجل ، ولكن أي شيء أقبح بشيخ مثلي يوقف غداً بين يدي الله - عز وجل - فيقال له : شيخُ سوءٍ كنت ؛ اذهب فقد عفوت عنك ، أنا أملي في الله أن يهب لي كل من أحبني» .

ومما يشتد قلق العارفين منه الحياء من الله - عز وجل - عند الوقوف بين يديه .

قال بعضهم : ما يمر بي أشد من الحياء من الله - عز وجل .

وقال الحسن : « لو لم نبك إلا من الحياء من ذلك المقام ؛ لكان ينبغي لنا أن نبكي فنطيل البكاء » .

وكان الفضيل يقول : « واسوءتاه منك وإن [ق/١٢ب] عفوت » .

وقال أحمد بن أبي الحواري : سمعت محمد بن حاتم أبا جعفر يقول : قال الفضيل بن عياض : « لو خيرت بين أن أبعث فأدخل الجنة وبين أن لا أبعث اخترت أن لا أبعث . قال : فقلت لمحمد : هذا من الحياء ؟ قال : نعم » . وقال أحمد [بن أبي الحواري] (2) : وسمعت مُضَاء بن عيسى يقول :

كان بعض التابعين يقول : « لئن يؤمر بي من (الجنة) (3) إلى النار أحب

---

(1) من المطبوع .
(2) من المطبوع .
(3) كتب في هامش الأصل : « لعله القبر » .

إليّ من أن أقف بين يديه فيسألني ثم يأمر بي إلى الجنة » قال : فحدثت به أبا سليمان فقال : بل نقف بالموقف فتقر به أعيننا » .

وإلى قول أبي سليمان ذهب أبو يزيد وغيره من المحبين ، وإلى قول الفضيل ذهب حذيفة المرعشي ؛ فإنه قال : « لو نزل عليَّ ملك منَ السماء يخبرني أن لا أرى النار بعيني وأني أصير إلى الجنة ، إلا أني أقف بين يدي ربي ، ثم أصير إلى الجنة . فقلت : لا أريد الجنة ولا أقف ذلك الموقف » .

وروي عن أحمد بن أبي الحواري معنى ذلك أيضًا .

وروي أن الأسود بن يزيد لما احتضر بكى : فقيل له : ما هذا الجزع ؟ قال : « ما لي لا أجزع ومن أحق بذلك مني ، والله لو أتيت بالمغفرة من الله - عز وجل - لأهمني الحياء منه مما قد صنعت ، إن الرجل ليكون بينه وبين الرجل الذنب الصغير فيعفو عنه ، فلا يزال مستحيًا منه » .

قال ابن أبي الدنيا : حدثني حسين بن عبد العزيز قال : « كان عندنا شيخ على أمور ثم أقلع عنها ، فلما احتضر أغمي عليه ثم أفاق ، فقال : إن رأيت كأني ميت، وكأن آتيًا أتاني فانطلق بي إلى الله - عز وجل - حتى وقف بي دون الحجاب ، فكأنه أرادني على الدخول فتداخلني الحياء والخوف ، وكأنه يقول : ما هو إلا الدخول عليه - عز وجل - أو دخول النار . قال : فكأني اخترت دخول النار للذي أصابني من الحياء . قال : فانطلق بي ثم إنه عرج بي وقيل له : انطلق به إلى الجنة » .

وروي عن أبي حامد الخلقاني : « أنه أنشدَ الإمامَ أحمد هذين البيتين :

[ق/ ١١٣] إذا ما قال لي ربي   أما استحييت تعصيني

وتخفي الذنب من خلقي   وبالعصيان تأتيني

فأمره أحمد بإعادتهما عليه ، فأعادهما [عليه] [١] فدخل أحمد داره وجعل

---

(١) من المطبوع .

يرددهما ويبكي » .

وأنشد بعضهم :

يا حسرة العاصين عند معادهم هذا وإن قدموا على الجنات
لو لم يكن إلا الحياء من الذي ستر القبيح (لأعظموا)[1] الحسرات

* * *

(١) في المطبوع : « لكان أعظم » .

الباب الحادي عشر
في شرف أهل الحب وأن
لهم عند الله أعلى منازل القرب

في الصحيحين [1] عن أنس « أن رجلا سأل النبي ﷺ فقال : مَتَى الساعة يا رسول الله ؟ فقال : **ما أعددت لها** ؟ قال : ما أعددت لها من (كثير) [*] صلاة ولا صيام ولا صدقة ، ولكني أحب الله ورسوله . فقال رسول الله ﷺ : **فأنت مع من أحببت** » .

وفي رواية للبخاري [2] : « فقلنا : ونحن كذلك ؟ قال : **نعم** » [قال أنس] [**] ففرحنا يومئذ فرحًا شديدًا .

وفي رواية لمسلم [3] : « قال أنس فما فرحنا بعد الإسلام فرحًا أشد من قوله : « أنت مع من أحببت » قال أنس : «فأنا أحب الله ـ عز وجل ـ ورسوله ﷺ وأبا بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ وأرجو أن أكون معهم وإن لم أعمل بأعمالهم » .

قال بعض العارفين : « يكفي (المحبين) [***] شرفًا هذه المعية » .

وقد قدمنا في أول [هذا] [**] الكتاب أن محبة الله الواجبة تستلزم امتثال طاعته واجتناب معصيته، وكذلك محبة الرسول ﷺ وأصحابه والتابعين لهم

---

(١) أخرجه البخاري (٦١٧١) ، ومسلم (٢٦٣٩) .
(*) في المطبوع : « كبير » . (٢) برقم (٦١٦٧) .
(**) من المطبوع .
(٣) برقم (٢٦٣٩/ ١٦٣) وكذا البخاري (٣٦٨٨) .
(***) في المطبوع : « للمحبين » .

بإحسان .

فالمحبة الصحيحة [لهم] (*) تقتضي مشاركتهم في أصل عملهم ، وإن عجز عن بلوغ غايته . كما قال أنس ـ رضي الله عنه ـ : ولهذا قال السائل للنبي ﷺ « ما أعددت لها (كثير) (1) صلاة ولا صيام ولا صدقة » فدل على أنه قد [ق/١٣ب] أتى من ذلك بما وجب عليه [و] (2) لم يأت بأزيد من ذلك .

قال عبيد بن عمير : « جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ، الرجل يحب المصلين ولا يصلي إلا قليلا ، ويحب الصائمين ولا يصوم إلا قليلا، ويحب الذاكرين ولا يذكر إلا قليلا ، ويحب المتصدقين ولا يتصدق إلا قليلا ، ويحب المجاهدين ولا يجاهد إلا قليلا ، وهو في ذلك يحب الله ورسوله ؟ قال : **هو يوم القيامة مع من أحب** » .

وقال أبو سالم (الجيشاني) (3) : جِاء رجلٍ إلى النبي ﷺ فقال : « يا رسول الله ، إني أرى الرجل الجواد فأحب الجود وفيّ بخل ، وأرى الرجل الحسن الخلق فأحب حسن الخلق (وفي خلقي شيء) (4) وأرى الرجل الجريء فأحب الجراءة وفيً جبن ؟ قال : **أنت مع من أحببت** » .

قال الحسن : « ابن آدم لا تغتر بقول من يقول المرء مع من أحب ، إنه من أحب قومًا اتبع آثارهم ، ولن تلحق بالأبرار حتى تتبع آثارهم وتأخذ بهديهم وتقتدي بِسنَّتهم وتُصبحَ وتمسي وأنت على منهاجهم ، حريصًا على أن تكون منهم فتسلك سبيلهم وتأخذ طريقهم ، وإن كنت مقصراً في العمل ، فإنما ملاك الأمر أن تكون على استقامة ، أما رأيت اليهود والنصارى وأهل الأهواء المردية يحبون

(*) من المطبوع ووقع في المخطوط : « لا » .

(1) في المطبوع : « من كبير » .

(2) من المطبوع .

(3) في المطبوع : « الجوشاني » .

(4) في المطبوع : « وخلقي سيئ » .

أنبياءهم وليسوا معهم ؛ لأنهم خالفوهم في القول والعمل (وسلكوا)[1] غير طريقهم ، فصار موردهم النار ، نعوذ بالله من ذلك » .

وفي « مسند البزار»[2] من حديث أبي سعيد ، عن النبي ﷺ قال : « **إني لأعرف ناسًا ما هم بأنبياء ، ولا شهداء ، يغبطهم الأنبياء والشهداء [بمنزلتهم عند الله ـ سبحانه ـ]**[3] **يوم القيامة ، الذين يحبون الله ويحببونه إلى خلقه ، يأمرونهم بطاعة الله ، فإذا أطاعوا الله أحبهم الله** » .

وخرج إبراهيم بن الجنيد نحوه من حديث أنس مرفوعًا .

قال زيد بن أسلم : « لما وُضع عثمان بن مظعون في قبره قالت امرأته هنيئًا لك أبا السائب الجنة ، فقال رسول الله ﷺ : **وما علمك بذلك ؟!** قالت : كان يا رسول الله يصوم النهار (ويقوم)[4] [ق/١١٤] الليل . قال :(بِحَسْبُكِ)[5] لو قلت : كان يحب الله ورسوله »[6] .

وقال عتبة الغلام : « من عرف الله أحبه ؛ ومن أحب الله أطاعه ، ومن (أطاع الله)[7] أكرمه ، ومن أكرمه الله أسكنه في جواره ، ومن أسكنه في جواره فطوباه وطوباه . . . ؟ فلم يزل يقول : وطوباه وطوباه . . . حتى خر ساقطًا مغشيًا عليه » .

وقال فرقد السبخي : قرأت في بعض الكتب : « المحب لله ـ تعالى ـ أمير مؤمر على الأمراء ، زمرته أول الزمر يوم القيامة ، ومجلسه أقرب المجالس فيما

---

(١) في المطبوع : « وسلوك » .

(٢) برقم (١٤٠ ـ زوائد) قال البزار : لم يتابع سعيد . وقال الهيثمي في المجمع (١/ ١٢٦) : رواه البزار ، وفيه سعيد بن سلام العطار ، وهو كذاب .

(٣) من المطبوع .

(٤) في المطبوع : « ويصلي » .

(٥) في المطبوع : « فحسبك » .

(٦) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ١٠٦) وهو مرسل .

(٧) في المطبوع : « أطاعه » .

هنالك ». خرجهما [إبراهيم] [1] بن الجنيد .

وخرج ابن أبي الدنيا بإسناده عن عبد الله بن عبد الرحمن قال : قال أرميا [عليه السلام] [1] : أي رب ، أي عبادك أحب إليك ؟ قال : أكثرهم لي ذكراً ، الذين يشتغلون بذكري عن ذكر الخلائق ، الذين لا تعرض لهم وساوس (العباد)[2]، ولا يحدثون أنفسهم بالبقاء، الذين إذا عرض لهم عيش الدنيا قلوه ، وإذا زوي عنهم سروا بذلك (أولئك الذين) [3] أبحت لهم محبتي وأعطيتهم فوق (غاياتي) [4] » .

وقال أحمد بن أبي الحواري : حدثنا رباح ، حدثنا عبد الله بن سليمان ، حدثنا موسى بن أبي الصباح « في قول الله ـ عز وجل ـ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة:٢٤٣] قال :إذا كان يوم القيامة يؤتى بأهل ولاية الله يقومون بين يدي الله ـ عز وجل ـ ثلاثة أصناف :

فيؤتى برجل من الصنف الأول فيقول : عبدي ، لماذا عملت ؟ فيقول : يا رب خلقت الجنة وأشجارها وثمارها وأنهارها وحورها ونعيمها وما أعددت لأهل طاعتك فيها ، فأسهرت ليلي وأظمأت نهاري شوقًا إليها ! فيقول الله ـ تعالى ـ : عبدي ، إنما عملت للجنة ، هذه الجنة فادخلها ، ومن فضلي عليك أن أعتقك من النار . قال : فيدخل هو ومن معه الجنة .

قال : ثم يؤتى برجل من الصنف الثاني فيقول : عبدي ، لماذا عملت ؟ فيقول: يا رب ، خلقت نارًا وخلقت سلاسلها وأغلالها وسعيرها وسمومها ويحمومها ، وما أعددت لأعدائك وأهل معصيتك فيها ، فأسهرت ليلي وأظمأت نهاري خوفًا منها ! فيقول (الله)[1]: عبدي ، إنما عملت ذلك خوفًا من النار

---

(١) من المطبوع .

(٢) كتب في هامش الأصل : « لعله الصدور » .

(٣) في المطبوع : «فأولئك » .

(٤) في المطبوع : « غاياتهم » .

[ق/١٤ب] فإني أعتقتك من النار ، ومن فضلي عليك أن أدخلك (جنتي) [١] فيدخل هو ومن معه الجنة.

قال : ثم يؤتى برجل من الصنف الثالث فيقول : عبدي ، لماذا عملت ؟ فيقول: عملت حبًّا لك وشوقًا إليك ، وعزتك [وجلالك] [٢] لقد أسهرت ليلي وأظمأت نهاري شوقًا إليك وحبًّا (لك) [٣] فيقول تبارك وتعالى : عبدي ، إنما عملت (حبًّا لي وشوقًا إليَّ) [٤] فيتجلى له الرب (جل جلاله ويقول) [٥] : ها أنا ذا، انظر إليَّ . ثم يقول من فضلي عليك أن أعتقك من النار (وأمنحك)[٦] الجنة وأزيرك ملائكتي وأسلم عليك بنفسي ، فيدخل هو ومن معه الجنة » .

خرجه ابن أبي حاتم في تفسيره .

وخرج ابن أبي الدنيا في « كتاب الجوع » من طريق إسحاق بن نوح بن عبد الله الشامي ، عن أبيه ، عن جده قال : قال عبد الله بن سلام : « يكون في آخر الزمان (قوم) [٧] خلت أنفسهم من لذة الدنيا وشهواتها ، تكاد أنوارهم تلحق بأنوار الأنبياء يوم القيامة كلما نظر إليهم أهل ذلك الموقف والجمع العظيم كادت أبصارهم تذهب من النور الذي بوجوههم . قيل : بم بلغوا ذلك ؟ ! قال : بحبهم الله واتباع مسرته. جوعوا له أنفسهم ليقيها من الجوع يوم الجوع الأكبر ، وأظمئوا له أنفسهم لينالوا حلاوة الري من فضله يوم العطش الأكبر ، وأهملوا له العيون رجاء أن ينير لهم غدًا في (ظلمة) [٨] القيامة وأهوالها ، زكوا أبدانهم

---

(١) في المطبوع : « الجنة » .
(٢) من المطبوع .
(٣) في المطبوع : « إليك » .
(٤) في المطبوع : « شوقًا إليَّ وحبًا لي » .
(٥) في المطبوع : « عز وجل فيقول » .
(٦) في المطبوع : « وأبيحك » .
(٧) في المطبوع : « أقوام » .
(٨) في المطبوع : «ظلم » .

بترك المطعم والمشرب شوقًا إلى النظر إلى وجهه الكريم، أولئك الآمنون يوم (تعني)[1] الوجوه للحي القيوم » .

ومن طريق إسحاق بن نوح ، عن رجل من السكاسك ، عن عبد الله بن ضمرة عن كعب قال : « إني لأجد نعت قوم يكونون في هذه الأمة بمنزلة الرهبانية ، قلوبهم نور ، وأفواههم نور ، تنطق ألسنتهم بنور الحكمة ، تعجب الملائكة من اجتهادهم واتصالهم بمحبة الله - عز وجل » [2] .

وروينا من رواية أحمد بن الفتح قال : « رأيت بشر بن الحارث في منامي فقلت له : ما فعل معروف [ق/١١٥] الكرخي؟ فحرك رأسه ثم قال : هيهات حالت بيننا وبينه الحجب ! إن معروفًا لم يعبد الله شوقًا إلى جنته ولا خوفًا من ناره [3] ، وإنما عبده شوقًا إليه ، فرفعه الله - تعالى - إلى الرفيق الأعلى » .

وقال الحافظ أبو نعيم : [حدثت عن المهلبي] [4] قال الأنصاري : « رأيت معروف الكرخي في النوم كأنه تحت العرش (والله - تعالى - يقول)[5]: ملائكتي، من هذا ؟ فقالت الملائكة : أنت أعلم ، هذا معروف الكرخي قد سكر من حبك لا يفيق إلا بلقائك » .

وفي الباب حديث مرفوع طويل وهو حسن المتن إلا أنه لا يصح تركنا ذكره لذلك.

وقال إبراهيم بن بشار الخراساني سمعت إبراهيم بن أدهم يقول : «بؤسًا لأهل النار لو نظروا إلى زوار الرحمن وقد حملوا على النجائب يزفونهم إلى الله زفًا وحشروا وفدًا ، وقد نصبت لهم المنابر ووضعت لهم الكراسي ، وقد أقبل

---

(١) في المطبوع : « تعنوا » .
(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٥/ ٣٨١).
(٣) سبق بيان أن هذا الكلام مخالف للهدي الصحيح .
(٤) من الحلية .
(٥) في المطبوع : «فيقول الله » .

عليهم الجليل ـ جل جلاله ـ بوجهه ليسرهم وهو يقول لهم « إليَّ عبادي ، إليَّ عبادي ، إليَّ أوليائي المطيعين ، إليَّ أحبابي المشتاقين إليّ أصفيائي المحزونين ، ها أنا ذا فاعرفوني ، من كان منكم مشتاقًا أو محبًّا متملقًا فليستمتع بالنظر إلى وجهي الكريم ، فوعزتي وجلالي لأفرحنكم بجواري ، ولأسرنكم بقربي (ولأبيحنكم)[1] كرامتي من الغرفات تشرفون وعلى الأسرة تتكئون ، تقيمون في دار المقامة أبدًا لا تظعنون ، وتأمنون فلا تخافون ، تصحون فلا تسقمون ، تنعمون في رغد العيش لا تموتون ، وتعانقون الحور الحسان فلا تملون ولا تسأمون، كلوا واشربوا هنيئًا ، وتنعموا كثيراً بما أنحلتم الأبدان وأنهكتم الأجسام ولزمتم الصيام وسهرتم بالليل والناس نيام » .

قال وسمعته يقول : « لا تنال جنته إلا بطاعته ولا تنال ولايته إلا بمحبته . ولا تنال مرضاته إلا بترك معصيته ، والله ـ تعالى ـ قد أعد المغفرة للأوابين ، وأعد الرحمة للتوابين ، وأعد الجنة للخائفين ، وأعد رؤيته للمشتاقين ، وأعد الحور للمطيعين » .

❋ ❋ ❋

(١) في المطبوع : « ولأمنحنكم » .

الباب الثاني عشر
في نبذ من كلام أهل المحبة وتحقيقهم تقـوى بـه القلـوب على سلـوك طريقهـم

[ق/١٥ب] قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في « قوله تعالى ﴿الْوَدُودُ﴾ [البروج:١٤] قال يقول : الحبيب » .

خرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١) .

وفي حديث أبي جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ـ أو غيره ـ عن أبي هريرة في « قصة الإسراء الطويلة في ذكر سدرة المنتهى ، قال : فيغشاها نور الخالق وغشيتها الملائكة مثل الغربان حين يقعن على الشجرة من حب الله ـ جل ثناؤه » (٢) .

قال الجوزجاني : حدثنا أبو صالح أن معاوية حدثه عن يزيد بن ميسرة أنه

---

(١) انظر الدر المنثور للسيوطي (٦/ ٢٥٦) .

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ١٠) ، وأخرجه البزار (٥٥ ـ زوائد) قال البزار : هذا لا نعلمه يروى إلا بهذا الإسناد من هذا الوجه .
وقال الهيثمي في « المجمع » (١/ ٧٢) : رواه البزار ورجاله موثقون إلا أن الربيع بن أنس قال : عن أبي العالية أو غيره . فتابعيه مجهول .
قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٣/ ٢٥) : وأبو جعفر الرازي ، قال فيه الحافظ أبو زرعة : الرازي يهم في الحديث كثيراً ، وقد ضعفه غيره أيضًا ووثقه بعضهم ، والظاهر أنه سيئ الحفظ، ففيما تفرد به نظر .
وهذا الحديث في بعض ألفاظه غرابة ونكارة شديدة ، وفيه شيء من حديث المنام من رواية سمرة بن جندب في المنام الطويل عند البخاري ، ويشبه أن يكون مجموعًا من أحاديث شتى أو منام أو قصة أخرى غيرالإسراء ، والله أعلم .

سمع أبا الدرداء يقول : « لما أهبط الله آدم إلى الأرض قال له : يا آدم ، أحبني وحببني [إلى خلقي] [1] ولا تستطيع ذلك إلا بي ، ولكني إذا رأيتك حريصًا على ذلك أعنتك عليه ، فإذا فعلت ذلك (تجد) [2] به اللذة والنضرة وقرة العين (والاطمأنينة)[3] .

وقال خليد العصري : « يا إخوتاه ، هل منكمَ من أحد إلا يحب أن يلقى حبيبه؟ ألا فأحبوا ربكم ـ عز وجل ـ وسيروا إليه سيراً كريمًا » .

خرجه الإمام أحمد ، وخرجه أبو نعيم ، وفي رواية له : « فأحبوا الله وسيروا إليه سيراً جميلا لا مصعداً ولا مميلا » .

وخرج ابن أبي الدنيا [4] من طريق ابن لهيعة ، حدثني عبد الحميد بن عبد الله بن إبراهيم القرشي ، عن أبيه قال : « لما نزل بالعباس بن عبد المطلب الموت قال لابنه عبد الله : إني موصيك بحب الله وحب طاعته ، وخوف الله وخوف معصيته ، وإنك إذا كنت كذلك لم تكره الموت متى أتاك » .

وقال أحمد بن أبي الحواري : حدثنا أبو صالح الخراساني ، حدثنا إسحاق ابن نجيح ، عن إسماعيل الكندي قال : « جاء رجل من البصرة إلى طاوس ليسمع منه ، فوافاه مريضًا فجلس عند رأسه يبكي ، فقال : ما يبكيك ؟ ! قال : والله ما أبكي على قرابة بيني وبينك ولا على دنيا جئت أطلبها منك ، ولكن على العلم الذي جئت أطلب منك يفوتني ! فقال له طاوس : إني موصيك بثلاث كلمات إن حفظتهن علمت علم الأولين و[علم] [5] الآخرين ، وعلم ما كان ،

---

(١) من المطبوع .

(٢) في المطبوع : « فَخُذ» .

(٣) في المطبوع : « الطمأنينة » .

(٣) في كتاب « المحتضرين » (٣١١) .

(٤) من المطبوع .

(٥) أما علم ما يكون فهو من الغيبيات التي لم يطلع الله عليها أحداً إلا من ارتضى من رسله ، فهو سبحانه يطلعهم على بعض الأمور الغيبية .

وعلم ما يكون : خف الله حتى لا يكون عندك شيء أخوف [ق/١١٦] منه ، وارج الله حتى لا يكون عندك شيء أرجا منه ، وأحب الله حتى لا يكون شيء أحب إليك منه ؛ فإذا فعلت ذلك علمت علم الأولين ، وعلم الآخرين ، وعلم ما كـان ، وعلم ما يكون . فقال : لا جرم لا سألت أحدًا بعدك عن شيء ما بقيت».

وعن إبراهيم بن الأشعث قال : سمعت الفضيل بن عياض يقول : « مر عيسى - عليه السلام - بثلاثة من الناس نحلت (أبدانهم) [١] وتغيرت ألونهم فقال : ما الذي (بَلَّغَكُمْ) [٢] ما أرى ؟! قالوا : الخوف من النيران . قال : مخلوقًا خفتم وحق على الله أن يؤمن الخائف . ثم جاوزهم إلى ثلاثة أخر ؛ فإذا هم أشد تغيرًا وأنحل أجسامًا ، فقال : ما الذي (بَلَّغَكُمْ) [٢] ما أرى ؟! قالوا : الشوق إلى الجنة. قال : مخلوقًا اشتقتم وحق على الله أن يعطيكم ما رجوتم ، ثم جاوزهم إلى ثلاثة أخر ؛ فإذا هم أشد تغيرًا وأنحل أجسامًا ، كأن على وجوههم المرايا من النور. فقال : ما الذي (بَلَّغَكُمْ) [٢] ما أرى ؟ ! قالوا : حب الله - عز وجل - قال : أنتم المقربون، أنتم المقربون ، أنتم المقربون » [٣] .

وروى إبراهيم بن الجنيد بإسناده عن محمد بن كعب قال : « أوحى الله إلى موسى - عليه السلام - : إن إبراهيم - عليه السلام - لم يحبني أحد من خلقي كحبه إياي » .

وعن أبي حازم القيساري قال : « مكتوب في الإنجيل : يا عيسى ، الحق

---

(١) في المطبوع : « أجسامهم » .
(٢) في المطبوع : « بلغ بكم » .
(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١٠/٧) من حديث إسحاق بن خلف.. فذكره . وهو منقطع بين الرواي وعيسى عليه السلام .
قال الشيخ مجدي قاسم في تعليقه على هذا الموضع من الكتاب : خوفنا الله من النار فوجب علينا أن نخاف ، وشوقنا إلى الجنة فحق علينا أن نشتاق . والحب كالطير له جناحان، وجناحاه الخوف والرجاء فلا يطير إلا بهما .

والحق أقول : إني أحب إلى عبدي من نفسه التي بين جنبيه» .

وعن ابن عيينة، عن رجل، عن يحيى بن أبي كثير اليمامي قال: « نظرنا فلم نجد شيئًا يتلذذ به المتلذذون أفضل من حب الله ـ عز وجل ـ وطلب مرضاته».

وعن سعيد بن عامر ، عن محمد بن ليث ، عن بعضَ أصحابه قال : « كان حكيم بن حزام يطوف بالبيت ويقول : لا إله إلا الله ، نعم الرب ونعم الإله ، أحبه وأخشاه» .

وعن بكر المزني قال : « ما فاق أبو بكر أصحاب محمد ﷺ بصوم ولا صلاة ولكن بشيء (كان) [1] في قلبه » .

قال إبراهيم : بلغني عن ابن علية « أنه قال في عقيب هذا الحديث : الذي [ق/١٦ب] كان في قلبه الحب لله ـ تعالى ـ والنصيحة في خلقه» .

وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا هارون بن سفيان ، حدثنا عبد الله بن صالح ، أخبرني بعض أهل البصرة قال : « لما استقضى سوّار بالبصرة كتب إليه أخ له كان يطلب العلم معه وكان ببعض الثغور : أما بعد ؛ أوصيك بتقوى الله الذي جعل التقوى عوضًا من كل فائت من الدنيا ، ولم يجعل شيئًا من الدنيا يكون عوضًا من التقوى ؛ فإن التقوى عقيدة كل عاقل مستبصر إليها يستروح وبها يستن ، ولم يظفر أحد في عاجل هذه الدنيا وآجل الآخرة بمثل ما ظفر به أولياء الله الذين شربوا بكأس حبه فكانت قرة أعينهم فيه ، وذلك أنهم أعملوا أنفسهم في جسيم الأدب وراضوها رياضة الأصحاء الصادقين ، فطلقوها عن فضول الشهوات وألزموها الفوت المقلق ، وجعلوا الجوع والعطش شعاراً لها برهة من الزمان حتى انقادت وأذعنت وعزفت لهم عن فضول الحطام ، فلما ظعن حب فضول الدنيا من قلوبهم ، وزايلتها أهواؤهم وانقطعت أمانيهم وصارت الآخرة نصب أعينهم ومنتهى أملهم ، ورث الله قلوبهم نور الحكمة ، وقلدها قلائد العصمة ، وجعلهم دعاة لمعالم الدين يلمون منه الشعث ، ويشعبون منه الصدع ، لم يلبثوا إلا يسيراً

---

(١) في المطبوع :« وقر »

حتى جاءهم من الله موعود صادق اختص به العاملين له ، والعالمين به دون من سواهم ، فإذا سرك أن تسمع صفة الأبرار الأتقياء ، فصفة هؤلاء فاستمع ، وشمائلهم الطيبة فاتبع ، وإياك يا سوار وبنيات الطريق والسلام » .

وخرج أبو نعيم بإسناده عن الربيع بن برة ، عن الحسن « في قوله تعالى : ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ [الفجر:٢٧] قال : النفس المؤمنة اطمأنت إلى الله واطمأن إليها ، وأحبت لقاء الله وأحب لقاءها ، ورضيت عن الله ورضي عنها ، فأمر بقبض روحها ، فغفر لها وأدخلها الجنة وجعلها [ق/١١٧] من عباده الصالحين».

وروى ابن أبي الدنيا بإسناده عن مسمع بن عاصم ، عن نعيم بن صبيح السعدي قال : « همم الأبرار متصلة بمحبة الرحمن ، وقلوبهم تنظر إلى مواضع العز من الآخرة بنور أبصارهم » .

قال مسمع : « وسمعت عابداً من أهل البحرين يقول في جوف الليل : قرة عيني وسرور قلبي ، ما الذي أسقطني من عينك يا مانح العصم . ثم صرخ وبكى، ثم نادى : طوبى لقلوب ملأتها خشيتك ، واستولت عليها محبتك ، فمحبتك مانعة لها من كل لذة غير مناجاتك والاجتهاد في خدمتك ، وخشيتك قاطعة لها عن سبيل كل معصية خوفًا من حلول سخطك . ثم بكى وقال : يا إخواتاه ، ابكوا على فوت خير الآخرة حيث لا رجعة ولا حيلة » .

وبإسناده عن أيوب بن خوط عن قتادة قال : « كان في حفرة عتيب شيخ يقال له ميسور بن محمد ، وكان لا يقدر أن يسمع القرآن من شدة خوفه وكان يقول : سيد الأعمال : التقوى ثم البذل ، ثم بعد البذل الشكر ، ثم بعد الشكر الرضا، ثم بعد الرضا التعظيم ، ثم بعد التعظيم الحب لله والإجلال له » .

ومعنى هذا أن درجة الحب المستحبة التي ذكرناها في أول الكتاب متأخرة عن درجة الشكر والرضا والتعظيم والبذل .

أما الواجبة فإنها (داخلة) [1] في التقوى ، كما سبق بيانه .

(١) في المطبوع :« تدخل » .

[الخوف والحب] (1)

ولذلك كان السلف يقدمون درجة الخوف على الشوق ، كما روى ابن أبي الدنيا بإسناده عن واقد العابد مولى أم البنين قال : « قال لي رجل من العباد : ما رأيت القلوب بشيء أنقى جلاء منها بالخوف . قلت : فالشوق ؟ قال : قد يشتاق وصدى الرين على قلبه » .

قال : والرين يعني الذنب على الذنب . وكذلك كانت حالة العلماء الربانيين كالحسن وسفيان وأحمد وغيرهم ، يظهر عليهم الخوف ولوازمه ويكثر كلامهم فيه ويقل كلامهم في المحبة وظهور آثارها [ق/١٧ب] عليهم أيضًا ، حتى حذر طوائف من العلماء ممن يكثر دعوى الشوق والمحبة بغير خوف لما ظهر منهم من الشطح والدعاوي ؛ بل والإباحة والحلول وغير ذلك من المفاسد ، والله - سبحانه - أعلم.

ولهذا « كان أبو عبد الله بن الجلاء - وكان من كبار العارفين - إذا سئل عن المحبة قال :أنا ما لي وللكلام في المحبة ، وأنا أريد أن أتعلم التوبة » .

ويقال : إن أول من أظهر الكلام في المحبة والشوق وجمع الهمة وصفاء الفكر ، وتكلم به على رؤس الناس : أبو حمزة الصوفي ، وكان من أعيان العارفين أيضًا ، وكان يجتمع بالإمام أحمد كثيراً ، وكان أحمد يسأله ويقول [له] (2) : ما تقول يا صوفي ؟ رضي الله عنهم أجمعين .

وكان عباد البصري بعد طبقة الحسن وأصحابه كعبد الواحد بن زيد وأصحابه عتبة وضيغم وغيرهما يظهر منهم المحبة كثيراً مع شدة الخوف أيضًا وكذلك رابعة العدوية والفضيل وداود الطائي وغيرهم .

---

(1) هذا العنوان ليس في الأصل ، وهو من تصرف محقق المطبوع .

(2) من المطبوع .

قال إبراهيم بن الجنيد : حدثني عبد الرحيم بن يحيى الرملي ، حدثني عثمان ابن عمارة قال : قال عتبة : « من سكن حبه قلبه لم يجد حرًّا ولا بردًا . قال عبد الرحيم : يعني من سكن حب الله قلبه شغله حتى لا يعرف الحر من البرد ، ولا الحلو من الحامض ، ولا الحار من البارد » .

وقال عبد الواحد بن زيد : «كان عتبة يجيء إلى المسجد يوم الجمعة وقد أخذ الناس الظل ، فيقوم على الحصى ويسجد السجدة الطويلة . قال عبد الواحد : ما أراه يعقل بحره » . وسمع عتبة قائلا يقول : « سبحان جبار السماء إن المحب لفي عناء . فقال عتبة : صدقت والله ! وغشي عليه » .

وقال ضيغم [يومًا] [1] لمولى له : « منعني والله حب الله من الاشتغال بحب غيره ! ثم سقط مغشيًّا عليه » .

وكان كَلاَّبُ بن جُرَيٍ العابد يقول في سجوده : « وعزتك لقد خالط قلبي من محبتك أمر يكل لساني عما أجد منه في نفسي » .

وقدمت شعوانة العابدة وزوجها مكة فجعلا يطوفان ويصليان ، فإذا [ق/١١٨] كلَّ أو أعيا جلس وجلست خلفه ، فيقول هو في جلوسه : « أنا العطشان من حبك لا أُرْوَى . وتقول هي بالفارسية : يا سيدي أنبتَّ لكل داء دواء في الجبال، ودواء المحبين في الجبال لم ينبت » .

ودخلوا على عابد بالبصرة وهو يجود بنفسه ويقول : « أنا عطشان لم أرو من حب ربي ، وجائع لم أشبع من حب ربي » .

وقال المعافى بن عمران : « كلمت فتحًا الموصلي يومًا في شيء ، فقال : لم تترك المحبة لله في قلوب أوليائه موضعًا لمحبة غيره » .

وقال أبو معمر : « نظرت رابعة يومًا إلى رياح القَيسي [وهو] [1] يقبل صبيًّا صغيرًا من أهله ، فقالت : أتحبه يا رياح ؟ قال : نعم . قالت : ما كنت أحسب

---

(١) من المطبوع .

أن في قلبك موضعًا فارغًا لمحبة سواه ! فخر رياح مغشيًّا عليه ، ثم أفاق وهو يمسح العرق عن وجهه وهو يقول : رحمة جعلها الله في قلوب عباده للأطفال ».

وقال حذيفة المرعشي : « رأيت رجلا بالرقة وبين يديه صَبِيَّان يلعبان ويقتتلان وهو يتشاغل بها فزجرهما ونهاهما . فقلت [له] [1] : إني أحسبك تحبهما ؟ ! قال : « لا والله ما أحبهما ، ولكن أرحمهما ؛ وما أحد أحبّ إليّ من الله ـ عز وجل » .

ثم اتسع الكلام في المحبة من زمن أبي سليمان الداراني وأصحابه بالشام كأحمد بن أبي الحواري وقاسم الجوعي .

وكان قاسم الجوعي يقول : « شبع الأولياء بالمحبة عن الجوع ، ففقدوا لذاذة الطعام والشراب والشهوات ولذات الدنيا ؛ لأنهم تلذذوا بلذة ليس فوقها لذة فقطعتهم عن كل لذة » .

وبالعراق في زمن السري وأصحابه كالجنيد وأصحابه ، وبمصر في زمن ذي النون وأقرانه .

وكان بعض من يذكر بالمحبة ربما حصل له وسوسة ونوع تغير عقل، كسعدون وسمنون ، وكان [سمنون] [2] شديد المحبة [ربما حصل له وسوسة] [1] ، ويقال أنه تكلم يومًا في المحبة فاصطفقت قناديل المسجد حتى تكسرت ، وأنه تكلم يومًا فيها فجاء طائر فضرب بمنقاره الأرض حتى مات؛ وكذلك كان ربما حصل للشبلي نوع [ق/١٨ب] تغير .

ومما ينسب من الشعر إلى بعض هذه الطبقة:

هجرت الورى في حب من جاد بالنعم　　وعفت الكرى شوقًا إليه فلم أنم

وموهت دهري بالجنون عن الورى　　لأكتم ما بي من هواه فما انكتم

(١) من المطبوع .

(٢) في المخطوط : « ميمون » والتصويب من الاستقامة لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (٢ / ٨٩).

فلما رأيتُ الشوق بالحب بائحا كشفت قناعي ثم قلت نعم نعم

فإن قيل مجنون فقد جنني الهوى وإن قيل مسقام فما بي من سقم

وحق الهوى والحب والعهد بيننا وحرمة روح الأنس في حندس[1] الظلم[2]

لقد لامني الواشون فيك جهالةً فقلت لطرفي أفصح العذر فاحتشم

فعاتبهم طرفي بغير تكلم وأخبرهم أن الهوى يُورثُ السقم

فبالحلم ياذا المنٍّ لا تبعدنني وقربْ مزاري منك يا بارئ النِسم

وكان بعض هؤلاء يقول : « إذا بك لم أجن يا حبيبي فبمن ؟ ! » .

ومن هؤلاء من كان يسمى مجنونًا كسعدون وغيره ، ويسمون أيضًا « عقلاء المجانين » وكانت أقوالهم و[أحوالهم] [3] محفوظة غالبًا ، ويصدر منهم من الكلام الحسن شيء كثير .



(١) الحنْدس : الليل المظلم والظلمة . القاموس المحيط مادة « حندس » .

(٢) الظُلَم : ثلاث ليال يلين الدُرَع ، والدُرع : ثلاث ليالٍ يلين البيض ، والبيض : هي الثالث عشر إلى الخامس عشر من الشهر الهجري .

(٣) في المطبوع : « وأفعالهم » .

[مفهوم جيد] (*)

وقد غلط طوائف من المتأخرين في أمرهم فظنوا أن حالهم هو غاية الكمال، وأن العقلاء كلهم من العلماء بالله ، والعمال لله مقصرون عن درجتهم ، وهذا خطأ قبيح جدًا . ثم أدخلوا في طبقتهم من ليس منهم من المجانين الذين لا حكمة لديهم ولا ظهر شيء من الأحوال الصحيحة [عليهم] (1) وإنما تظهر منهم مخالفة الشريعة بالأعمال والأقوال الشنيعة ، ولكن أحسنوا الظن بهم لما يظهر من بعضهم من الإخبار بالمغيبات في بعض الأحيان ، مما قد ظهر أكثر منه من الرهبان والكهان ، ونشأ بهذا السبب اعتقاد أن الأولياء لهم طريقة غير طريقة الأنبياء ، وأنهم واقفون مع الحقيقة لا يتقيدون [ق/١١٩] بالشريعة إلى غير ذلك من أنواع الضلال والبدع الفظيعة .

ووجد بعض من كان في صدره النفاق كامنًا من أنواع الحلولية والإباحية سبيلا إلى إظهار ما في نفوسهم ، فعظم الخطب بذلك واشرأب النفاق ، ولو سمع بذلك أئمة الطريق العارفون بالله كالجنيد ومن قبله لجاهدوا في الله حق جهاده في إنكار هذه العظائم ، ولن تخلو الأرض من قائم لله بحجته ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج : ٤٠] .

وقد ورد حديث : « **إن أكثر أهل الجنة البُله** » .

وله طريقان ضعيفان :

أحدهما : مسند من حديث أنس (2) ، والآخر : مرسل من مراسيل عمر بن

(*) هذا العنوان من تصرف محقق المطبوع .

(1) من المطبوع .

(2) أخرجه البزار (١٩٨٣ ـ كشف) وابن عدي في الكامل (٣/ ٣١٣) .

قال البزار : قد روي بعضه مرفوعًا من وجوه ، وبعضه لا نعلمه إلا من هذا الوجه ، =

عبد العزيز[1] .

قد رواه أحمد بن أبي الحواري بإسناده إلى عمر مرسلا، ثم قال مفسراً له : البُله عن الشر وأعلى عليين لأولي الألباب . يشير إلى أن درجة العقلاء أكمل وأعلى من درجة هؤلاء ، وبيَّن أن المراد : البله عن الشر الذين لا يعرفونه من شدة سلامة صدورهم ، وإنما يعرفون الخير فقط .

وروى ابن أخي ابن وهب عن عمه عبد الله بن وهب ، قال : « سألت مالكًا عن تفسير قول النبي ﷺ: **أكثر أهل الجنة البله** . فقال : الأبله مثل عبد الله ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ كان أبله في معاصي الله ، فطنًا فيما يرضي الله ، مسارعًا إلى ما يرضي الله ، بطيئًا عن محارم الله ، لا تأخذه في الله لومة لائم ».

ثم رواه الحسن بن حبيب الدمشقي عن عبد الله بن عبد الحميد عن ابن أخي ابن وهب به .

وكذلك روي تفسيره عن الأوزاعي ، قال إسحاق بن راهويه في «مسنده » : حدثنا بقية بن الوليد قال : حدثنا الأوزاعي عن أبي يزيد العوفي قال : قال رسول

= وسلامة هو ابن أخي عقيل ، ولم يتابع على حديثه : « **أكثر أهل الجنة البله** » على أنه لو صح كان له معنى. وقال ابن عدي : وهذا الحديث بهذا الإسناد منكر لم يروه عن عقيل غير سلامة هذا.

وأخرجه أبو موسى المديني في « اللطائف » (ق/١٧٥) بتحقيقي وفيه متابعة ابن عيينة لسلامة بن روح ولكن أبا موسى المديني قال : حديث غريب جداً من حديث ابن عيينة عن الزهري ، وإنما يعرف هذا من رواية سلامة بن روح .

وذكر هذا الحديث ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٤ / ٣٠٢) في ترجمة سلامة ابن روح وذكر قول أبيه عنه : ليس بالقوي ، محله عندي محل الغفلة . وقول أبي زرعة : أيلي ضعيف منكر الحديث .

(١) قال العلامة الألباني ـ رحمه الله ـ في تخريجه للعقيدة الطحاوية (ص٥٠٩) : رواه عبد الوهاب الكلابي في « حديثه » (ق/١٧٦/٢) بسنده عن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، عن أبيه ، وعبد العزيز صدوق يخطئ كما في التقريب ، وفيه من لم أجد من ترجمه .

الله ﷺ : « **أكثر أمتي دخولا الجنة البله** . قال : سألت الأوزاعي عن البله ؟ قال: الذين يعرفون الخير ولا يعرفون الشر » .

وهذا مرسل أيضًا .

❊ ❊ ❊

فصل

[الخاتمة] (*)

ولنختم الكتاب بكلمات جوامع من أمر المحبة وأبيات [ق/١٩ب] (رائقة)(١) متضمنة لها .

روى الإمام أحمد في « كتاب الزهد »(٢) بإسناده عن عطاء بن يسار قال : «قال موسى ـ عليه السلام ـ :يا رب ، من أهلك الذين هم أهلك الذين تظلهم في ظل عرشك ؟ قال : هم البريئة أيديهم ، الطاهرة قلوبهم ، الذين يتحابون بجلالي، الذين إذا ذكرت ذكروا بي ، وإذا ذكروا ذكرت بذكرهم ؛ الذين يسبغون الوضوء في المكاره ، وينيبون إلى ذكري كما تنيب النسور إلى وكورها ، ويكلفون بحبي كما يكلف الصبي بحب الناس ، ويغضبون لمحارمي إذا استحلت كما يغضب النمر إذا حرب » .

وفي « كتاب المحبة » لإبراهيم بن الجنيد عن أحمد بن مخلد الخراساني قال : « قال الله ـ عز وجل ـ : ألا قد طال شوق الأبرار إلى لقائي وأنا إليهم أشد شوقًا ، وما شوق المشتاقين إليّ إلا بفضل شوقي إليهم ، ألا من طلبني وجدني ، ومن طلب غيري لم يجدني ، ومن ذا الذي أَقْبَلَ إليَّ فلم أُقْبِلْ إليه ، ومن ذا الذي توكل عليَّ فلم أكفه ، ومن ذا الذي دعاني فلم أجبه ، ومن ذا الذي سألني فلم أعطه؟».

قال أحمد بن أبي الحواري : حدثنا عمر بن سلمة السراج ، عن أبي جعفر

(*) هذا العنوان من تصرف محقق المطبوع .

(١) في المطبوع : « رقائق » .

(٢) (ص ٩٥) طبعة الريان . وإسناده منقطع بين عطاء بن يسار وموسى عليه السلام .

المصري قال : « قال الله ـ عز وجل ـ : يا معشر المتوجهين إليَّ بحبي ، ما ضركم ما فاتكم من الدنيا إذا كنت لكم حظًا ، وما ضركم من عاداكم إذا كنت لكم سِلْمًا» وفي هذا المعنى يقول القائل :

هنيئًا لمن (أمسى) [1] وأنت حبيبه ... ولو أن (نيران) [2] الغرامِ تذيبهُ
وطوبى لصب أنت ساكن سره ... ولو بان عنه إلفه وقريبه
وما ضر صَـبًّا أن يبيت وماله ... نصيبٌ من الدنيا وأنتَ نصيبهُ
ومن تكُ راضٍ عنه في طي غيبه ... فما ضره في الناس من يستغيبه
فيا علةً في الصدر أنتَ شفاؤها ... ويا مرضًا في القلب أنت طبيبه
[ق/ ١٢٠] عُبيدُك في باب الرجا مُتضرعٌ ... إذا لم تجبه أنت من ذا يجيبه
بعيدٌ عن الأوطان يبكي بذلةٍ ... وهل ذاق طعم الذل إلا غريبه
تصدَّق على من ضاع منه زمانه ... ولم يدر حتى لاح منه مشيبه
غدا خاسرًا فالعار يكفيه والعنا ... وقد آن من ضوء النهار مغيبه

ومما أنشده (أبو زيد) [3] النجراني ـ من المتقدمين ـ رحمة الله عليه :

محبٌ نفى ما التذ من غمضه الفكر ... وأعقبه ضرًا فأنهكه الضرُّ
وبات يراعي أنجما [من] [4] بعد أنجم ... ويرعدُ من خوفٍ إلى أن بدا الفجرُ
ويخدم مولاه بالطف خدمة ... ويُسعده في حسن خدمته الصبرُ
به وبمن ساواه في الزهد والتقى ... إذا الجدبُ عمَّ الأرض يستنزل القطرُ
محب خلا بالحب خلوة واجد ... خلا بحبيب والظلام له ستر

---

(١) في المطبوع : « أضحى » .
(٢) في المطبوع : « لوعات » .
(٣) في المطبوع : « أحمد بن زيد » .
(٤) من المطبوع .

يقول بذلتُ الحبَّ يا منتهى المنى ويا نور قلبي أنت لي سيدي ذُخرُ

فلا تُخزِني يا رب وارحم تضرعي فقد وعظيم العفو أثقلني الوزر

وقد خفت من يوم المعادِ مخافةً تيقنت أني ليس لي فيهما عذر

بفضلك زدني منك قربًا وأدنني إليك دُنوًا لا يغيره الدهر

مُرَادي سقامي في الهوى هو قاتلي وبين سقامي والشفاء ينفذ العمر

وفي كبدي مما أقاسي من الهوى ومن (لوعات)[1] الحبِّ يا واحدي جَمر

غزا الحب قلبي قاصدًا بجيوشه ليأسره قسرًا فأذهله الأسرُ

(وحبك)[2] لا أنساك ما دمتُ باقيًا وهل يتسلى من محبته فخر

وأنشدت بعض العارفات

[ق/ ٢٠ب] أحبك حبين حب الوداد وحب لأنك أهل لذكا

فأما الذي هو حب الوداد فحب شغلت به (عَنْ)[3] سواكا

وأما الذي أنت أهلٌ له فكشفك الحجب حتى أركا

فما الحمد في ذا ولا ذاك لي ولكن لك الحمد في ذا وذاكا

وأنشدت أخرى منهن :

حبيب ليس يعدلُهُ حبيب ولا لسواه في قلبي نصيبُ

حبيبٌ غاب عن بصري وشخصي ولكن عن فؤادي ما يغيب

وأنشد بعض المحبين :

أعميت عيني عن الدنيا وزينتها فأنت والروح مني غير مفترق

إذا ذكرتك وفي مقلتي أرقٌ من أول الليل حتى مطلعِ الفلق

---

(١) في المطبوع : « زفرات » .

(٢) في المطبوع : « وحقك » .

(٣) في المطبوع : « عمن » .

وما تطابقت الأجفان عن سنةٍ إلا رأيتك بين الجفن والحدق

ارحم حشاشة نفس فيك قد تلفت قبل (الممات)[1] فهذا آخرُ الرمقِ

ولو مضى الكل مني لم يكن عجبًا وإنما عجبي في البعض كيفَ بقى

وأنشد بعضهم :

والله ما طلعت شمسٌ ولا غربت إلا وأنت حديثي بين جُلاسي

ولا هممت بشرب الماء من عطش إلا رأيت خيالا منك في الكاس

ولبعضهم :

ساكن في القـــلب يعـــمرهُ لســتُ أنســاه فــأذكرهُ

غَابَ عن سمعي وعن بصري فسويداء القلب يبصره

[ق/١٢١]وأنشد آخر منهم :

من عامل الله بتـــقواه وكان في الخـــلوة يرعاهُ

سقاه كأسًا من صفـــاء حبِهِ يسليه عـــن لـــذةِ دُنياه

فأبعدَ الخلقَ وأقصـــاهم وانفرد العـــبدُ بمـــولاه

وأنشد بعضهم أيضًا :

أنت تدري يـــا حبيـــبي [من][2] حبيبـــي أنـــت تدري

ونحـــول الجـــسم والدمـــع يبـــوحان بســـري

يا عزيزي قد كتمت الحـــبَّ حتى ضاق صدري

وأنشد بعضهم أيضًا :

أبى الحبُّ أن يخفى وكمْ قدْ كتمته فأصبح عندي قد أناخَ وطنبا

---

(١) في المطبوع : « الفراق » .

(٢) في الأصل : « يا » والمثبت من المطبوع .

إذا اشتدَّ شوقي هام قلبي بذكره وإن رُمْتُ قربًا من حبيبي تقربا
ويبدو فأفنى ثم أحيا (به له)[1] فيســـــعدني حتى ألذَّ وأطربا

سئل إبراهيم القصاب : « هل يبدي المحب [حبه] [2] أو هل ينطق به ، أو هل يطيق كتمانه ؟ فتمثل بهذين البيتين :

ظفرتم بكتمان اللسان فمن لكم بكتمان عين دمعها الدهر يذرف
حملتُ جبالَ الحبِّ فوقي وإنني لأعجزُ عن حمل القميص وأضعف

ومن كلام يحيى بن معاذ الرازي : « لو سمع (الخلائق) [3] صوت النياحة على الدنيا في الغيب من ألسنة الفناء لتساقطت القلوب منهم حزنًا ، ولو رأت العقول بعيون الإيمان نزهة الجنة لذابت النفوس شوقًا ، ولو أدركت القلوب كنه المحبة لخالقها [ق/ ٢١ب] لتخلعت مفاصلها ولَهًا وطارت الأرواح إليه من أبدانها دهشًا فسبحان من أذهل الخليقة عن كنه هذه الأشياء وألهاهم بالوصف عن حقائق هذه الأنباء » .

أروحُ وقد ختمت على فؤادي بحبك أن يحلَّ به سواكا
فلو أني استطعت غَضَضْتُ طرفي فلم أبصر به حتى أراكا
أحبك لا ببعضي بل بكلي وإن لم يبق حبك لي حراكا
ويقبح من سواك الفعل عندي وتفعله فيحسن منك ذاكا
وفي الأحباب مخصوص بوجدٍ وآخرُ يَدَّعي معه اشتراكا
إذا اشتبكت خدودٌ في دموع تبين من بكا ممن تباكا
فأما من بكى فيذوب وجدًا وينطق بالهوى من قد تشاكا

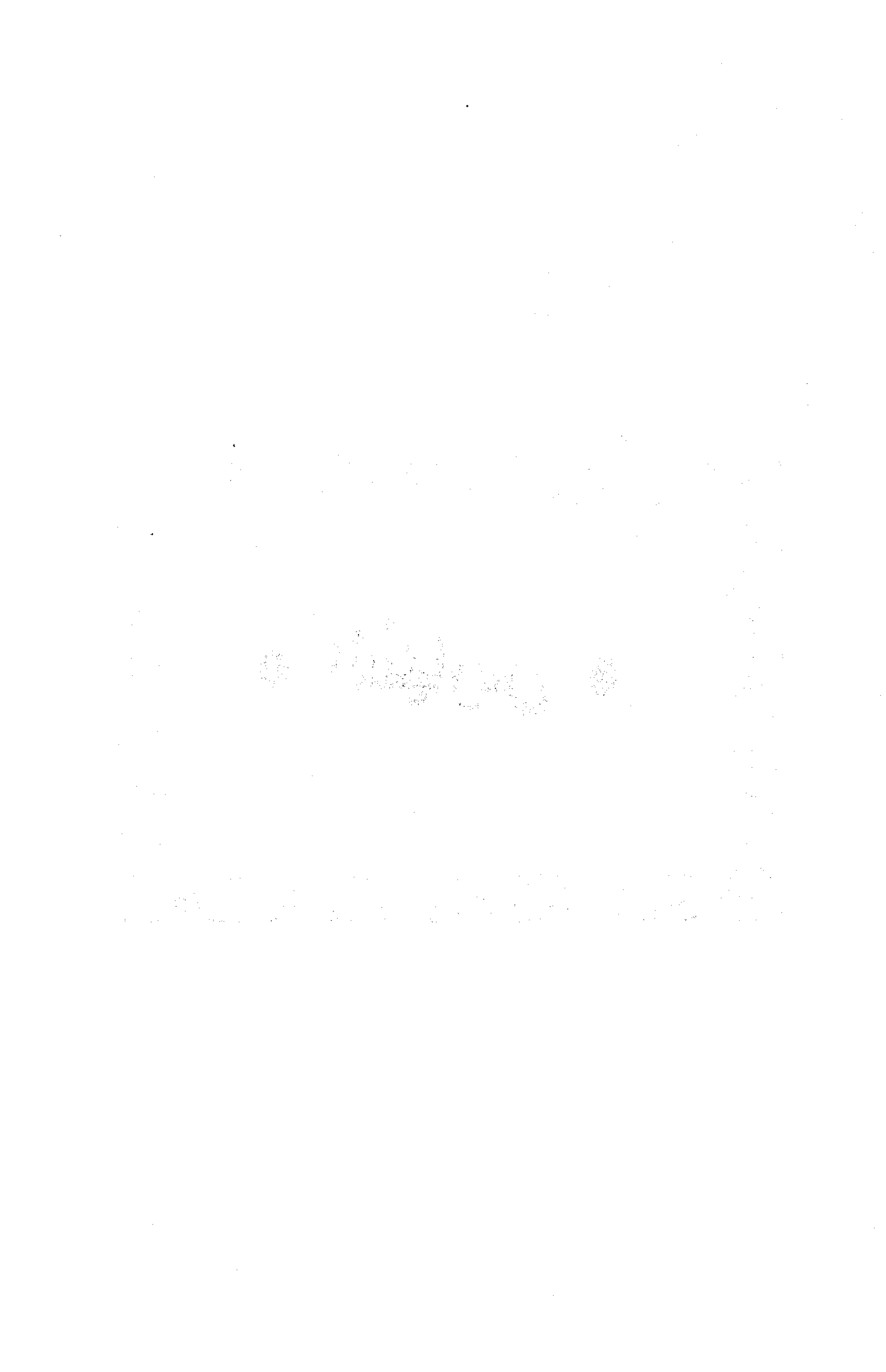
تم الكتاب، والحمد لله الملك الوهاب، وصلى الله على محمد سيد الأحباب.

---

(١) في المطبوع : « بقربه » .
(٢) من المطبوع . (٣) في المطبوع : « الناس » .



• الفهارس •



فهرس الكتاب

الموضوع	الصفحة
فصل : في مشابهة علماء السوء من المسلمين بأهل الكتاب	٣٧
الرسالة الثانية : التوحيد أو تحقيق كلمة الإخلاص	٤١
أهل التوحيد لا يخلدون في النار وإن دخلوها	٤٥
شروط لا إله إلا الله	٤٧
شروط دخول الجنة	٤٩
فهم النصوص المطلقة في ضوء النصوص المقيدة	٥٢
الشرك والكفر له أصل وفروع	٥٤
طاعة الشيطان تقدح في توحيد الرحمن	٥٨
دلالة محبة الله عز وجل	٦٠
تلازم الظاهر والباطن	٦٢
النجاة لا تكون إلا لصاحب القلب السليم	٦٥
احذروا الرياء	٦٦
من صدق في قول لا إله إلا الله نجا من كربات يوم القيامة	٦٩
فصل : فضائل كلمة التوحيد	٧٤
الله الله أيها الناس تمسكوا بأصل دينكم	٨٧
الرسالة الثالثة : نور الاقتباس في مشكاة وصية النبي ﷺ لابن عباس	٨٩
قوله : احفظ الله	٩٤
قوله : يحفظك	٩٩
قوله : احفظ الله تجده أمامك	١١٣
قوله : إذا سألت فسأل الله	١٢١
قوله : وإذا استعنت فاستعن بالله	١٣٣
قوله : رفعت الأقلام وجفت الصحف	١٣٧
قوله : فلو أن الخلق أرادوا أن ينفعوك	١٤٠

الموضوع	الصفحة

الموضوع — الصفحة

الموضوع	الصفحة

الفاروق الحديثة للطباعة والنشر هاتف: ٤٣٠٧٥٢٦-٢٠٥٥٦٨٨ القاهرة